المؤسسة
العربية
للدراسات
والنشر

المسيحية والحضارة العربية



الأب الدكتور جورج شحاتة قنواتي

المسيحية
والحضارة العربية

المسيحيّة والحضارة العربيّة

تأليف

الأب الدكتور جورج شحاتة قنواتي

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

تمهيد

تحديد الموضوع ومنهج البحث

منذ ما يقرب من نصف قرن، نشر عالم مستشرق الماني، الأستاذ جورج غراف Georg Graf كتاباً عن «الأدب العربي المسيحي إلى آخر القرن الثاني عشر». وقد كان لهذا الكتاب أثر واضح لدى الأوساط العلمية مما شجع المؤلف المضي في بحوثه فانكب على عمله بداب وجديّة وجلد لا مثيل لها. وكانت نتيجة عمله الجبّار نشر خمسة مجلدات ضخمة عن تاريخ الأدب العربي المسيحي منذ نشأته حتى القرن التاسع عشر. وهو يقابل كتاب بروكلمان Brockelmann المشهور في تاريخ الأدب العربي.

وقد جمع في هذه الموسوعة الكبيرة كل البيانات التي استطاع الوصول إليها في جميع مكتبات العالم حيث توجد مخطوطات أو كتب لمؤلفين مسيحيين من العرب. وهذا دليل قويّ لما كان للمسيحيين، على مرّ التاريخ، من نشاط في ميدان النشر والحياة العقلية والاجتماعية في المجتمع العربي.

ومنذ مدةٍ طويلة، تقرب من نصف قرن، وجهت القسط الاكبر من اهتمامي إلى دراسة التراث الفلسفي والعلمي واللاهوتي للعرب وتتبعت بدقّة مدى أثره في الحضارة الغربية إبّان القرون الوسطى وفي عهد النهضة. وبموجب تخصّصي في الدراسات العلميّة، وبخاصة الكيائية والصيدلية من جهة، والفلسفية واللاهوتية من جهة أخرى، أتيح لي الاطلاع على مصادر عديدة من تراثنا العربي، فبهرني ثراؤه الذي يصعب ان يتصوّره من لا يدرسه عن كثب.

ولذا عندما طلب مني صديقي الدكتور محمد خلف الله أن أحضر بحثا في مساهمة المسيحيين في تكوين الحضارة العربية وأثرها في الغرب، سررت لدعوته، لأنها جاءت بمثابة استجابة لأمنية طالما داعبت ذهني وإحساسي العميق اللاشعوري. فقبلت الدعوة بكل ترحاب. شاكراً اياه لمشاركتي في عمل علميّ وثقافي جبّار يستحقّ تشجيع ومساهمة كل من يفهمون عظمة الحضارة العربية وأهميتها بالنسبة إلى الحضارة الانسانية العالمية.

وقد فكّرت مطولاً في طريقة تناول الموضوع. وبعد محاولات عديدة وقفتُ على المنهج الآتي.

أولاً كان لا بد من تحديد الموضوع وهو في حقيقة الأمر موضوعان. الموضوع الأول ينصب على «المسيحية والحضارة العربية»، والموضوع الثاني على «أثر الحضارة العربية في العلوم عند الغرب».

وهما موضوعان متميزان كل التميز. فكان لا بد من معالجة كل واحد منهما على حدة. فتركت الموضوع الثاني إلى فيا بعد عندما أنتهي من الموضوع الأول.

والموضوع الأول نفسه هو متسع بمكان ومن الصعب دراسته دراسة دقيقة في كتاب واحد. فقسمته إلى كتابين، يعالج الأول الموضوع لغاية نهاية القرن الثالث عشر عند استيلاء التتر على بغداد سنة ١٢٥٠ ويتناول الكتاب الثاني الموضوع من هذا التاريخ الى وقتنا الحاضر.

وقسمت الجزء الأول إلى قسمين. خصّصْتُ القسم الأول لدراسة الإطار التاريخي والاجتماعي والثقافي للمسيحية في البلاد العربية منذ نشأتها الأولى حتى أوج الحضارة العربية عند العباسيين. أما القسم الثاني فخصصته لدراسة الرجال أنفسهم.

أما القسم الأول فيشمل أربعة أبواب. درست في الباب الأول نشأة المسيحية وعقائدها الأساسية

وفي الفصل الثاني المبادىء المشتركة بين المسيحية والاسلام لكي نستطيع أن نفهم كيف استطاع المسلمون والمسيحيون، ان يعيشوا معاً على مرّ القرون.

أما الباب الثاني، فهو مخصّص لدراسة نشأة الطوائف المسيحية الشرقية المختلفة وهي الاريوسيون، انصار أريوس. ثم النساطرة واليعاقبة، والاقباط والملكيّون، والموارنة. وأشرنا، لكل طائفة، ظروف نشأتها ومميزاتها العقيدية وفي أي بقاع انتشرت.

ولما كان هذا الانتشار قد حدث قبل مجيء الاسلام فكان لا بدّ من دراسة حالة المسيحية في جزيرة العرب قبل الاسلام لكي نقف على مدى رسوخها في العروبة.

ثم في الباب الرابع، ركّزت البحث على المراكز الثقافية المسيحية في الديار العربية قبل الاسلام وبعده وكيف لعبت دورها في لقاء الدين الجديد في الحضارات السابقة. فوصفت حالة المدن الآتية: الاسكندرية، وانطاكية والرها ونصيبين وجند يشابور كما أني ابرزت ما كان للأديرة من مساهمة في تكييف بعض مظاهر الحضارة العربية.

وفي الباب الخامس، تتبعت حركة انتقال التراث القديم الى العرب وبخاصة حركة الترجمة ونشاط المسيحيين في بغداد.

وبعد وضع هذه الخلفية التاريخية والاجتماعية والثقافية، تناولت في القسم الثاني دراستي للشخصيات أنفسها، تلك التي تركت بصماتها على صفحات التاريخ فخصصت الباب الأول للشعراء، والباب الثاني للأطباء والصيادلة والباب الثالث للمؤرخين والفلاسفة واللاهوتيين وزيادة للفائدة، ميّزت في الباب الثالث بين شخصيات الطوائف الأربعة: الأقباط، والنساطرة، واليعاقبة والملكيون.

وقد أثبتنا في آخر الكتاب المصادر التي استقينا منها مواد بحثنا. واتماماً للفائدة، صنعنا عدة فهارس لمساعدة القارىء في العثور بسهولة على ضالته.

ونرجو أن نكون قد ساهمنا بعملنا المتواضع هذا. في تعريف بعض مظاهر حضارتنا العربية العظيمة وإبراز ما قام به المسيحيون العرب من علماء وشعراء ومؤرخين ولاهوتيين مع اخوانهم المسلمين، يداً بيد، في سبيل تشييد صرح الحضارة العربية ورفع شأنها، هذه الحضارة التي هي ثمرة مجهود الجميع وموضوع فخر كل الناطقين بالضاد.

وفقنا الله جميعاً إلى ما يرضيه وإلى مواصلة إشعاع عروبتنا العزيزة.

القسم الأول

الباب الأوَّل

نشأة المسيحيَّة

الفصل الأوّل

الدّعوى الأولى

لكي يفهم القارىء ماهية الفرق المسيحية الرئيسية التي اشتركت بطريقة فعالة في نشأة وتكوين الحضارة العربية، يحسن بنا أن نلخّص بطريقة دقيقة ماذا كان مشتركاً بينها من العقائد والفوارق الأساسية التي كانت تميّز فرقة عن الأخرى.

١ ـ إن الدين المسيحي دين تاريخيٌّ وليس هو «إيديولوجيا» أو بناءً فكري أو غنوصية فلسفية. وهو تاريخي لمعنيين:

(أ) هو تاريخي لأن مؤسسه السيد المسيح هو شخصية تاريخية ظهرت في فترة معينة من الزمن، ولد وترعرع في جهة محدّدة من العالم وحوادث حياته مسجّلة في كتب ووثائق لا يمسّها أي شكٌّ.

(ب) وهو تاريخي ثانياً لأنه ثمرةُ وحيٍ امتد عدة قرون (عشرون قرناً تقريباً) والذي وصل الى القمة في شخص السيد المسيح، حسب تعبير القديس بولس: «إن الله الذي كلّم الآباء قديماً في الأنبياء كلاماً متفرّق الأجزاء مختلف الأنواع كلّمنا أخيراً في هذه الأيام في الابن الذي جعله وارثاً لكل الأشياء وبه أنشأ الدهور» (رسالة إلى العبرانيين ١ : ١).

٢ ـ أحد المميزات الأساسية لهذا الوحي هو ظهوره المرْحَلي عِبْر التاريخ. لم ينزل دفعةً واحدة بل ساير ظروف تطوّر الانسانية واحتياجاتها. وهناك ترابطوتقابل بين فترات الوحي المختلفة وهي في نظر المسيحية تتجه كلُّها نحو مجيء المسيح وتتنبىء به وتشير إليه تحت ستار الرموز والايماءات. وقد ميّز توما الأكويني بين ثلاث مراحل كبيرة للوحي: أ ـ قبل الناموس مع ابراهيم. ب ـ تحت الناموس مع موسى. جـ ـ تحت نعمة المسيح مع الرسل.

٣ ـ ان تعليم العهد القديم إلهيٌّ من وجهتين: فمن جهةٍ، لقد نُقل بواسطة وَحْيٍ علَنيٍّ أوصله الله إلى أشخاصٍ مختارين هم الأنبياء؛ ومن جهة أخرى قد سُجّل في أسفارٍ كتبت تحت إلهام من عند الله. وعدد هذه الكتب. وعلى هذا الأساس قبلته اليهودية، والمسيحية بدورها تناولته. والكتب التي تحوي العهد القديم كانت ولا تزال الكتب المقدسة للشعب العبري، قبل أن تصبح الكتب القانونية المعتبرة لدى الكنيسة. لقد تقبلته الكنيسة كتراثها الأصيل وتعتبره ملهماً مع اعترافها بأنه غير كامل وانه يجد تكملته ومعناه العميق في العهد الجديد.

٤ ـ ان الوحي الوارد في العهد القديم يحوي تعليماً خاصاً بالله وبالانسان وبصلاتهما. وهو ينظم سلوك الانسان والمجتمع، ويفرض طرق العبادة والصلاة.
محتوى الوحي الوارد في العهد القديم.

٥ ـ ان الله هو القديم، الواحد، المتعالي، الكامل يخلق العالم من لا شيء بملء حرّيته لا بحتّميّة طبيعية.

٦ ـ خلق الانسان على صورته وشبهه لكي يشاركه في حياته ويجعله ملكاً للخليقة. خلقه للسعادة الكاملة التي لا تتحقق إلا بحياة الصداقة والوحدة مع خالقه. وحيث إن الله هو السيّد والخالق، وضع شرطاً لهذه السعادة وهو أن يخضع المرء لخالقه معترفاً بحالته كمخلوق. ولكن أغوى الشيطانُ الانسان فعصى ربّه ففقد امتيازاته. انفصل الانسان عن أساس كيانه واغترب عن الله. فاستولى عليه الفساد، تحطمت فيه صورة الله، فتفككت وحدة الانسان وتصعدت مع ذاته. أصبح الانسان عبيد إثمه غير قادرٍ على عمل الخير. وبمرور الأجيال تراكمت الخطايا فترك الانسان العنان لأهوائه وأخذ يضمر الحقد لأخيه ويقاتله وبدلاً من عبادة الإله الواحد أخذ البشر يعبدون المخلوقات والأصنام ويؤلهون أهواءهم. هذا هو عهد الوثنية والشرك.

غير أن الله لم يترك الانسانية في حضيض سقوطها. فقد بشر آدم وحواء بعد سقوطهما بالخلاص. ووعد لنوح، بعد الطوفان، بنظام جديد للعالم.

وقد اختار ابراهيم أباً للمؤمنين وقطع عهداً معه واعداً له ثلاثة أشياء: ١ ـ ذريةً عظيمة ٢ ـ مُلْكاً ٣ ـ مجداً. وقد جدّد هذا الوعد لإسحاق ويعقوب وبواسطة موسى سجّل هذا الميثاق وهو ميثاق العهد القديم. ويتطلب هذا العهد من الشعب المختار الأمانة وملازمة المحبة نحو الله.

وقد حدّد الله نفسه شروط هذه الأمانة فأعطى للشعب المختار الناموس الذي ينظم حياة الاسرائيليين الروحية والمادية. وأساس هذا الناموس موجود في الوصايا العشر الذي أصبح ميثاق الانسانية قاطبة.

وجاء بعد هذا تعليمُ الأنبياء فأوضح الأفكار الموسوية وكشف عن بعض صفات الله وأخذت فكرة الله تكتسب وضوحاً وعمقاً: الله واحد، خالق السموات والأرض، المسيطر المطلق على العالم، لديه مفاتيح أسرار الطبيعة، هو الذي يعطي للأرض الأمطار الغزيرة والى الانسان ثروات الأرض، ويحدّد للأفلاك قوانين سيرها: هو اله عالمي، خالق جميع الأمم ومدبّرها، هو اله عدلٍ، ملك يوم الدين: عدل مرفوق بالرحمة فهو كله جود وحنان: هو اله متعالٍ، ذو القداسة المتناهية والكمال التام فلا يقربه الانسان الآثم. فمن يريد ان يقترب منه؛ يجب أن يبتعد عن الإثم ويلتفت نحو الله

وعلى مرور السنين أخذتْ التقوى تتعمّق. فالبحث عن الله يقتضي مزاولة العدل، ومساعدة اليتامى والارامل، والسير في تواضع في السبيل الذي يؤدي إلى الله. وتدريجياً أخذت القيم الروحية تتأكد وتتعدى وترتفع فوق المراسيم. وأخذ العالم يصبو إلى ملكوت الله، يكون ممثّله في العالم

المسيح. يكون هذا المسيح من سلالة داوود ويخرج مثلها من بيت لحم ولكن يفوق داوود. ويتنبىء اشعيا بولادته العجيبة (٧، ٩) ويُضفي عليه الكتاب المقدس الصفات المميّزة: «يستقرّ عليه روح الرب، روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح العلم وتَقْوَى الربّ» (١١: ٢ - ٥)، ويكتشف له أسماء عظيمة: «لانه قد وُلِدَ لنا وَلَدٌ، أُعْطِيَ لنا ابنٌ فصارت الرئاسةُ على كتِفِه ودُعِيَ اسمه عجيباً، مشيراً، إلهاً جبّاراً، أبا الأبدِ، رئيس السلام، لنمو الرئاسةِ ولسلامٍ لا انقضاءَ له على عرش داوود ومملكته ليقرّها ويوطدها بالانصاف والعدل من الآن إلى الأبد» (اشعيا ٩: ٦ - ٧).

فالمسيح هو النهاية التي كان يتجه إليها، بطريقة غامضة، هذا التاريخ للنجاة الذي يتحقّق تماماً به، فالمسيح يقطع العهد الجديد وما كانت العهود القديمة إلا اشارةً له وهو يُدْخِل فيه المسيحيين، وهم ورثاء ابراهيم بالايمان. أما الناموس فلم يُعْطَ إلا كحافظ للوعد، كمعلّم يقود إلى المسيح الذي فيه تتحقق هذه الوعود.

فقد سقطت مراسيم الناموس القديم مع حفظ تعليمه الأخلاقي الأساسي. فلم يأت المسيح ليحلّ الناموس والانبياء ولكن ليتممهم (متى ٥: ١٧).

وأساس المسيحية هو ظهور إله أصبح انساناً لكي يشرك الإنسان بالحياة الإلهية، لكي يدخل في أعماق الله كما يقول القديس بطرس.

على غرار ما حدث في العهد القديم: ظهر الوحي، في العهد الجديد، تدريجياً. ونستطيع أن نحدّد لظهوره ثلاث مراحل:

أولاً: اعلان مجيء ملكوت الله الذي يسوع هو مؤسسه.

ثانياً: اظهار Révélation المنهج الجديد المؤدّي إلى النجاة. يتطلب هذا المنهج الإقلاع عن الخطيئة والاندماج في المسيح، الامر الذي يجعل المسيحي «انساناً جديداً».

ثالثاً: اظهار يسوع كسيّد وابن الله، كنور وحياة واظهار الروح القدس والصلات بين الأقانيم الالهية

(أ) ملكوت الله ومؤسسه

١ - لقد بشّر يوحنا المعمدان بحلول الملكوت وكان يعلن تعميد التوبة وقرب مجيء المسيح.

٢ - ابتدأ المسيح بالتبشير عن تحقيق الملكوت وحدّد ميثاق هذا الملكوت وهو الطوباويات. المدعوون إلى هذا الملكوت هم الفقراء والبؤساء، والمعذبون، والعطشى الى العدل، والمتواضعون، والودعاء، والرحماء. والحياة في الملكوت هي تذوق مسبّق للنعيم السماوي.

٣ - يتقدّم المسيح كمؤسس هذا الملكوت اذ هو المسيح المنظور، «ابن الانسان».

(ب) المنهج الجديد للنجاة

١ ـ يفتح هذا الدخولُ في الملكوت أسلوباً جديداً للحياة وتأتي بمعايير جديدة. وهو أساسياً الانتقال من حالة الخطيئة، وهي حالة الانسان بدون النعمة، إلى حالة الأبرار. وهذه الحالة الجديدة ليست نتيجة الالتزام بمقتضيات الناموس، وقد أصبح ساقطا، ولكن يتحقق بالايمان في المسيح. لا يُدْمج هذا الايمانُ المؤمنَ بالمسيح. والتعميد يرمز إلى هذا الاندماج ويحقق الاقلاع التام عن الخطيئة والاشتراك بالمسيح الحي في حياة حقيقية مشتركة أساسها روح الله والمسيح.

٢ ـ فقد أصبح المسيحي وانساناً جديداً... لا يعيش، بَعْدَ الآن، حسب الجسد... أسير أهوائه، ولكن قد أصبح حراً بالمسيح تحت توجيه روح القدس. وهي حُرّيةُ أولاد الله. فحياة الانسان الجديد، حياته الشخصية والعائلية والاجتماعية، هي أساسياً، هبة المؤمن إلى المسيح، حياة به ومعه لتوسيع ملكوته، وعِبْر محبة الله. جعل المحبة تسود البشر. «وأنا حيٌ، لا أنا، بل إنما المسيحُ حيٌ فيّ». (غلاطية ٢ : ٢٠).

٣ ـ وليست هذه الحياة الدنيا إلا توطئةً للحياة الأخرى، فالمسيحي يرجو ان يتقبل في حياته الحاضرة نعمة المسيح وفي الحياة الأخرى السعادة القصوى. وعنده رجاءً لا يُقْهر في انتشار ملكوت الله الذي هو مدعو إلى المساعدة في انتشاره.

اظهار شخصية المسيح

١ ـ تدريجياً وبخاصة بعد بعثه، اخذت شخصية المسيح تظهر بهويتها الحقيقية وتكشف عن ماهيتها. نعم ان المسيح انسان بكل معنى الكلمة: والدليل على ذلك حياته الأرضية وآلامه وموته. ولكن حتى أثناء حياته الأرضية كان يُلَقّب بكلمة الربّ «كيريوس» ومعناها الأصلي هو الملك، المسيح المالك. ونفس التسمية أطلقت عليه، بعد بعثه، في الجماعة الفلسطينية.

٢ ـ وأطلقت عليه أيضاً تسمية: «ابن الله»:

٣ ـ وقد أكد القديس يوحنا أوجهاً أخرى من شخصه: فقال عنه هو نور العالم، هو الحياة والمحبة. هو كلمة الله التي تنير كل انسان آت الى العالم. هو والآب واحد. «من رآني فقد رأى الآب». وأيضاً مخاطباً الآب «كل ما هو لي فهو لك وكل ما هو لك فهو لي». «والآن مجدني يا ابت عندك بالمجد الذي كان لي لديك من قبل كون العالم» «الحق الحق اقول لكم قبل ان يكون ابراهيم أنا كائن» وهو يعد تلاميذه أنه الآب، سيرسل لهم روح القدس الفراقليطوس الروح المقدس، الذي سينيرهم ويقويهم، الذي سيكون روح الكنيسة الذي هو جسدها.

انتشرت المسيحية تدريجياً، وهي قبل كل شيء حركة روحية واعتنقها أناس من مختلف الطبقات: عمال فقراء وموظفون في الادارات الحكومية بل ورجال مثقفون تجمعهم روح واحدة والسعي وراء حياة فاضلة كلها مكرسة لعبادة الله والاتصال بالمسيح الحي وخدمة الغير.

ومع انتشار الحركة وتعدّد المسيحيين كان لا بدّ من تنظيم الجماعات في مختلف الديار التي انتشر فيها الدين الجديد. فأخذت الادارة الكنسيّة نفس تقسيم المدن والضواحي الذي كانت السلطة المدنية تتبعها. وسهر الرسل ومساعدوهم على تنظيم شؤون الكنيسة الدينية والاجتماعية وأحوالها الخاصة ثم نصّبوا عليها شيوخاً وأساقفة ليكونوا لها رعاة ومرشدين.

وعندما ازداد عددهم، تنبهت الوثنية إلى خطرهم لا لأنهم يتدخلون في السياسة بل لأنهم كانوا يرفضون تقديم القرابين إلى الأمبرطور الذي كان يعتبر الهاً. فاشفقت الدولة من الخلاف وتفريق الشمل وأخذت تدابير لاضطهادهم وارغامهم على الاذعان لقوانين الدولة وصادرت أموالهم وصادرت كنائسهم ونكلت فيهم ووصل الأمر في سوء معاملتهم إلى القائهم للسباع المفترسة في الملاعب العامة. وبالرغم من هذه الاضطهادات، صمد المسيحيون وتمسكوا بعقيدتهم، وأخيراً استتب الأمر ودفعت الظروف السياسية قسطنطين إلى اعلان الحرية الدينية، فقد اصدر في سنة ٣١٣ قراراً بالتسامح الرسمي مع الدين المسيحي وفي سنة ٣٢٥ دعا أول مجمع عام في نيقية Nicée لتحديد نقاط الخلاف في العقيدة المسيحية.

وفي عهد مجمع نيقية كانت الوحدات الاقليمية تتجمّع كلها في أحلاف على غراء الولايات المدنية، وتعرف كل منها باسم «ابروشية» وكان في الكنيسة الشرقية أربع من هذه الأبروشيات هي أبروشيات الشرق وبنطس وآسيا وتراقيا.

وكانت الأبروشية تنقسم إلى مطرانيات يرأس كل منها مطران أو مطرانان، وصار كبير الأساقفة أو المطارنة في كل مطرانية يعرف باسم رئيس الأساقفة.

وكان هناك تسليم عام بصدارة الكنائس الكبرى، وهي كنيسة روما وأنطاكية وضمّت إليها كنيسة الاسكندرية، وكنيسة أورشليم. وقد وضع مجمع خالقيدونية حداً لاستقلال كنائس بنطس وآسيا وتراقيا وجعلها كلها تحت رئاسة أسقف كنيسة القسطنطينية التي رفعت إلى مصاف كنيسة انطاكية والاسكندرية.

وكان أسقف هذه المجموعات الكبيرة من الكنائس يسمى بطريركاً.

عندما أصبحت الامبراطورية الرومانية موالية للمسيحية وأخذ الامبراطور يعتبر نفسه حامياً للكنيسة، كانت الكنيسة تنظم نفسها على أسس مشابهة للأسس المتبعة في الادارة المدنية الامبراطورية.

اما الكنائس التي كانت خارج نفوذ الامبراطورية الرومانية فكانت تلحق باحدى الابروشيات الكبرى. فكنيسة ما بين النهرين مثلاً، الواقعة فيما وراء حدود الامبراطورية الرومانية، كانت تعدّ تابعة لأبروشية انطاكية، ومع ذلك فقد أطلق على كبير اساقفتها في تاريخ متقدم، لقب الجاثليق وهو

اللقب الذي كان الامبراطور قسطنطين يطلقه في رسائله على اسقف قرطاجة. كما كان يطلق في الادارة المدنية على نائب حاكم الولاية وهو اللقب الذي يطلقه بروكوبيوس (Procopicea) على رئيس الكنيسة الفارسية. وقد أصبح اللقب في آخر الأمر لقباً خاصاً بأسقف سلوقية، واتخذه أساقفة سلوقية بعد الانشقاق النسطوري لقباً خاصاً برئيس الطائفة النسطورية.

الفصل الثاني

المبادئ المشتركة

لكي نفهم كيف استطاع المسيحيون ان يعيشوا في اطار الحضارة الاسلامية العربية ويشعروا أنهم من لحامها وسداها وأنهم ليسوا غرباءً عنها بل من العناصر الفعالة في تشييد الحضارة العربية ومساعدة اخوانهم المسلمين لصيانة عقائدهم في مختلف ميادين العلوم ومقتضيات الحضارة، يجب ان نشير الى الأسس المشتركة بين الديانتين المسيحية والاسلامية ومواطن الالتقاء في ميادين الحياة.

١ ـ هناك اولاً وأساسياً هو الاعتقاد بإله واحد خالق السموات والأرض وكل ما يرى ولا يرى. يعتقد المسلمون والمسيحيون أن وجود الله يثبته العقل ويؤكده الوحي. فقد أقام علماء الدين المسيحيون والمسلمون براهين شتى مختلفة ولكنها متشابهة لإثبات وجود الله وتحث الكتب المقدسة على التأمل والاعتبار في آيات الله الكونية والنفسية. فهناك تشابه كبير بين علم التوحيد المسيحي وعلم التوحيد الاسلامي برغم الفوارق.

٢ ـ الله واحد حيٌ قيوم

لقد اعتقد دائماً المسيحيون واليهود من قبلهم، بإلهٍ واحدٍ قيّوم. وقد امتلأت كتبهم بالنصوص التي تشهد لهذا. ولذلك عندما يقر المسيحيون بتلاوتهم المزامير: «من هو الله من غير الله؟» وعندما يؤكدون في عقيدتهم: «نؤمن بإلهٍ واحدٍ، آب ضابطالكلّ، خالق السموات والأرض كل ما يرى ولا يرى؟ لأن يسوع المسيح قد ذكّرهم ان أول الوصايا وأعظمها هي هذه: «أحبب الربّ إلهك بكل قلبك وكل نفسك وكل قدرتك وكل ذهنك» (لوقا ١٠: ٣٧؛ تثنية الاشتراع ٦: ٥). فيقول القديس بولس مفسراً: «للجميع ربٌ واحد ومعمودية واحدة وإله واحد وآب واحد هو فوق الجميع ومع الجميع وفي الجميع (افسس ٤: ٥ ـ ٦). ولهذا عندما يرنم المسيحيون مع صاحب المزامير: «منْ إلهٌ غير الربّ، من صخرة سوى إلهنا؟» (المزامير ١٧: ٣٢) يظهرون كأنهم اخوان للمسلمين الذين يشهدون «ان لا إله الاّ الله»

عندنا أجمعين «الرب هو الله ليس إله سواه» (تثنية الاشتراع ٤: ٣٥). لأننا «نحن لا نعرف إلها غيره» (يهوديت ٨: ١٩) انه الواحد: «هو الله أحد الله الصمد» كما ورد في القرآن (١١٢: ١/٢) وفي كتاب المزامير (١٧: ٣٢) «من مثل الرب إلهنا ساكن الأعالي؟ . . (١١٢: ٥) وفي القرآن «ولم يكن له كفواً أحد (١١٢: ٤) فهو «الأول والآخر. (اشعيا ٤١: ٤): «اني انا الربّ لا اتغيرّ (ملاخي ٣: ٦)؛ لأن الله هو القيوم المتين، لا يتعب ولا ينسى» أشعيا ٤٠: ٢٨)؛ فهو

السرمدي (أشعيا ٤٠ : ٢٨) الذي يبقى وجهه الى الأبد لأنه هو الحق والغنيّ «والحي بالحق، (ارميا ٤ : ٢؛ قرآن ٢ : ٢٥٥) «الى دهر الدهور» (رؤيــا ١ : ١٨) اذ هو «الحي الذي لا يموت» (قرآن ٢٥ : ٥٨) «من قبل ان ولدت الجبال وانشأت الأرض والمسكونة، من الأزل الى الأبد، انت الله» (مزامير ٨٩ : ٢).

٣ ـ الله خالق السموات والأرض

إن الله هو الحيّ ولهذا تجلّى لنا من خلقه: «خلق في البدء السماوات والأرض. . (التكوين ١ : ١)؛ هو «بديع السماوات والأرض» (قرآن ٢ : ١١٧). هو الخلاق المصور الذي يعمل ما يشاء من غير ان يجبره على ذلك سواه: «يداك صنعتانـي وكونتانـي» (مزامـير ١١٨ : ٧٨): «الجميع يرجونك لترزقهم أكلهم في أوانه. . . تحجب وجهك فيفزعون، وتقبض أرواحهم فيموتون. . . ترسل روحك فيخلقون وتجدّد وجه الأرض» (مزامير ١٠٣ : ٢٧ ـ ٣٠). هو البّر الرحيم المقيت الوهاب الرّزاق. فقد ورد في القرآن: «ما كنا عن الخلـق غافلـين» (٢٣ : ١٧) وورد في أعمال الرسل: «إنا به نحيا ونتحرك ونوجد» (١٧ : ٢٨)

ولا يستطيع المؤمن ألا يعجب كل الاعجاب عندما يرى ما في الكون والتاريخ من جمال ونظام وروعة: «إني ارى سماواتك عمل اصابعك والقمر والكواكب التي كونتها فما الانســان حتى تذكره وابن البشر حتى تفتقده؟ نقصته عن الملائكة قليلاً وكللته بالمجد والكرامة، سلطته على اعمال يديك واخضعت كل شيء تحت قدميه. . . أيها الرب سيدنا ما أعظم اسمك في كل الأرض.» (مزامير ٨ : ٤ ـ ٧، ١٠)

فيسبب هذا الاعجاب عند المؤمن التغني بأعمال الله: «ما اكثر ما صنعت لنا أيها الرب إلهي من معجزاتك وأفكارك انه لا شيء يعادلك فان اخبرت وتحدثت بها فهي أعظم من أن تحصى» (مزامير ٣٩ : ٦) ويحثه على الشكر على الدوام.

٤ ـ الله محب للبشر

الله هو العليم الحكيم الذي يعرف خليقته حق العلم: «يا ربّ قد فحصتني فعلمتني، علمت جلوسي وقيامي، فطنت لأفكاري من بعيد، اختبرت سعيي وسكوني، واطلعت على جميع طرقي، قبل ان يكون كلامي على لساني ، أنت يا ربّ عالم به كلّه «من وراء ومن قدام أحطت بي وجعلت عليّ يدك» (مزامير ١٣٨ : ١ ـ ٥).

هو الأكرم اللطيف الخبير الولي المهيمن: «رأى الربّ جميع بني البشر، من مقرّ جلوسه، راقب سكّان الأرض اجمعين، هو جابل قلوبهم جميعاً وعالم بأعمالهم كلها.» (مزامير ٣٢ : ١٣ ـ ١٥). وإننا نجد نفس الأسماء تستعمل في القرآن لتؤدي نفس المعنى، مثل: «ان الله كان على كل شيء حسيبا» (٤ : ٨٦)؛ وإنه «أحصى كل شيء عدداً» (٧٢ : ٢٨).

فعلى الانســان ان يقرّ بخضوعه التام لإرادة الله وما قدره في شأنه: إنه الحكم والحاكم، هو العدل المقسط. يحب الله البّر والعدل» (مزامير ٣٢ : ٥).

فلا يخاف المؤمن من قبل خالقه شيئاً لأننا على حسب قول القديس بولس: «نعلم ان الذين يحبّون الله كل شيء ويعاونهم للخير. . . فاذا كان الله معنا فمن علينا؟» (رومية ٨: ٢٨ - ٣١). فيقبل المؤمن أن يكون الله هو القابض والباسط ، والنافع والضارّ، والمقدم والمؤخر لما يحدث له. فيتذكر المؤمن دعاء حنّة اذ قالت: «الرب يميت ويحيي، يحدر الى الجحيم ويصعد، الـربّ يفقـر ويغني، يحطّ ويرفع ، ينهض المسكين عن التراب - يقيم البائس من المزبلة ليجعله مع العظماء. . وهو يحفظ أقدام اتقيائه والمنافقون في الظلمة يصمتون» (سفر الملوك الأول ٢: ٦ - ٩)

الله ذو الغفران والرحمة

لقد ورد في القرآن الكريم مئات من المرات ان الله رحيم غفور، وأنه كتب على نفسه الرحمة، وأن عنده خزائن الرحمة، إنه الرحمن الرحيم، إنه أرحم الراحمين. وإننا لنجد نفس المعنى ونفس التعبير في العهد القديم والعهد الجديد. فورد مثلاً في سفر الخروج (٣٤: ٦ - ٧) إنه «إله رحيم، رؤوف، طويل الأناة، كثير المراحم والوفاء، يحفظ الرحمة لألوف، ويغفر الذنب والمعصية والخطيئة ولا يتزكّى أمامه الخاطىء».

لذلك لا خوف للمؤمن إذا ما اعترف بخطيئته وتاب وطلب من الله الغفران: «يا ربّ، يا سيّد استمع صوتي، لتكن أذناك مصغيتين إلى صوت تضرّعي، ان كنت للآثام راصداً يا رب، يا سيّد فمن يقف». (مزامير ١٢٩: ١ - ٣). «ارحمني يا الله بحسب رحمتك وبحسب كثرة رأفتك امح معاصيّ، زدني غسلاً من إثمي وطهرني من خطيئتي. . . اليك وحدك خطئت وأمام عينيك صنعت الشرّ. . قلباً طاهراً. . اخلق فيّ يا الله، وروحاً مستقيماً جدّد في داخلي ولا تنزع مني روحك القدوس». (مزامير ٥٠: ٣ - ٦، ١٢ - ١٣).

ونجد معاني متشابهة في الآيات القرآنية. «إن الانسان خلق هلوعاً» (٧٠: ١٩) وانه «لظلوم كفّار». (١٤: ٣٤) إذ «كان ظلوماً جهولاً» (٣٣: ٧٣). فالمسيحي والمسلم يستطيع ان يدعو الله قائلاً: «التفت الي، يا الله، وارحمني» (مزامير ٥٨: ١٦) لأنه هو التوّاب، يتوب الى البشر قبل أن يتوبوا إليه، فيغفر لهم ذنوبهم وخطاياهم إذ كان غفوراً وعفوّاً، إنه الغفّار لأنه الحليم والصبور، والرؤوف والودود. «استغفروا ربكم ثم توبوا إليه، إن ربّي رحيم ودود» (١١: ٩٠) لأن الله قد «كتب على نفسه الرحمة» (٦: ١٢). وقد جاء في الحديث «إنّ رحمتي سبقت غضبي».

الله هو الحميد المجيد

هذا الخالق الكريم والحاكم الرحيم هو نور السماوات والأرض. . . نور على نور «قرآن ٢٤: ٣٥). هو ملك ولبس البهاء، لبس الربّ العزّة وتنطق. . . ما أعظم الربّ في العلى. شهادتك صادقة جداً، ببيتك تليق القداسة يا ربّ طول الأيّام» (مزامير ٩٢: ١ - ٥) إذ هو ذو الجلال والإكرام لأنه «صنع كل ما يشاء» (مزامير ١١٣: ١١). فيردّد المسيحيون والمسلمون، من جيل إلى جيل، إنه هو القدوس العظيم العليّ الجليل الواسع «وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلاّ هو» (قرآن ٦: ٥٩)، المتعالي المجيد، الكبير «هو الملك القدوس، السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار

المتكبّر. . . العزيز الحكيم». (قرآن ٥٩: ٢٣ ـ ٢٤)، إنه هو الفتّاح على الدوام. وكل يعرف ما تعبر عنـه «أسماء الله الحسنى» وصداها في قلوب المؤمنين وكيف تقربهم من ذلك الغيب الرهيب: «بكلّ اسم هو لك، سمّيت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك». وقد ترك يسوع لتلاميذه هذه الوصية التي تروي أنّ «الحياة الأبـدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك» (يوحنا ١٧: ٣) وقد استودعهم بعض الاسماء الحسنى لذلك السرّ المكتوم «منذ الدهور والأجيال» (كولسّي (١: ٢٦).

د ـ أنبياء يرسلهم الله

من أهم المعاني المشتركة بين المسيحيين والمسلمين هو الاعتقاد بأن الله لم يترك الانسانية الى حالها بل ان الله قد كلّـم البشر التـاريخ «في الأنبياء كلاماً متفرق الأجزاء، مختلف الأنـواع» (العبرانيين ١: ١٠)، أو «وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي باذنه ما يشاء» (قرآن ٤٢: ٥٠ ـ ٥١). فالمسيحيون والمسلمون على السواء يسمّون ابراهيم خليل الله، وسيدنا موسى كليم الله فيتخذون حياة الأول والثاني أسوةً حسنة ومثالاً أعلى لايمانهم وطاعتهم.

نعم هناك اختلاف جوهري بين المعتقد المسيحي للنبوة والمعتقد الاسلامي كما أوضحناه فيما سبق. ففي نظر المسيحية أن النبوة الكاملة النهائية قد تحققت في يسوع المسيح غير أنهم يعتقدون أن روح النبوة لا يزال يظهر من جيل إلى جيل. أما المسلمون فيرون في محمد خاتم الأنبياء وان اعترفوا بأن حياة يسوع المسيح لها أبعاد خارقة للعادة من حيث ولادته ورفعه الى السماء، ولكن لم يمنع هذا الفارق من أن يحترم كل فريق عقيدة الفريق الآخر وان يتاح لأهل الكتاب الحياة المدنية المشتركة في «ذمة الاسلام ورعاية حقوقهم الاساسية وممارسة طقوسهم الدينية.

الله يحيي الأموات ويرضي الأنفس

وهناك عدة عقائد يشترك فيها المسيحيون والمسلمون مثل وجود مخلوقات أخرى من ملائكة وشياطين، كما أنهم يعتقدون ان لهذه الدنيا نهاية في الزمان كما كانت لها بداية فلن يبقى إلا وجه الله الكريم. وستعود إليه جميع المخلوقات في حشر كبير ونشر عظيم تتحدث عنه الكتب المقدسة في صور وأوصاف خيالية متعددة. ويعتقدون ان عيسى سيأتي بمجدٍ عظيم ليدين الأحياء والأموات، وفي يوم القيامة ويوم الحساب ويوم الدين حيث «تجمع لديه كل الأمم فيميز بعضهم من بعض» (متى ٢٥: ٣٢)، «يومئذ يصدر الناس اشتاتاً ليرُوا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرّة شراً يره». (قرآن ٩٩: ٦ ـ ٧). فقد أكّد القديس بولس من قبل فقال: «ولأنا جميعنا لا بدّ من أن نظهر أمام منبر المسيح لينال كلّ واحد على حسب ما صنع بالجسد خيراً كان أو شراً» (٢ كورنتس ٥: ١٠).

ويؤكد المسلمون والمسيحيون على السواء ان هناك دار الثواب وهي الجنة ودار العقاب وهي النار ولو اختلفوا كثيراً في وصفهما.

الانسان والعبادة

ان المسيحيين والمسلمين يحاولون ـ كلّ حسب مذهبه. ان يكونوا خاضعين لمشيئة الله وأحكامه الخفية. فيحققوا هكذا ذلك الاسلام الحقيقي الذي عاشه سيدنا ابراهيم وابنه الذبيح وسيدنا موسى ورفيقه الخضر فمريم العذراء وابنها المسيح والحوّاريون الذين شهد الله أنهم كلّهم «مسلمون».

فالمسيحيون يقولون كما يؤكد المسلمون أنه لا خلاص للإنسان إلا بالايمان. فيقول القديس بولس: «بغير إيمان لا يستطيع أحد ان يرضي الله لأن الذي يدنو إلى الله يجب عليه ان يؤمن بأنه كائن وأنه يثيب الذين يبتغونه» (عبرانيين ١١: ٦).

ويقر المسيحيون والمسلمون ان أعمال الانسان كلها هي طاعة لله وأن المثل الأعلى للمؤمن الحقيقي أن يمتثل لشريعة الله أحسن امتثال.

ان الرسوم والطقوس في الصلاة والصيام والصدقة ان اختلفت عند المسيحيين والمسلمين إلا أن قصدها واحد فكلهم يجتهدون لعبادة الله تعالى العبادة الحقّة «مقرّين باللسان ومصدّقين بالقلب ومخلصين بالعمل». إن الصلاة والدعاء والذكر والتأمل والتضرع والاعتكاف، كل هذه عادات قديمة أصيلة يشترك فيها المسيحيون والمسلمون على السواء.

الانسان واعترافه بحقوق الله

ان الانسان في المسيحية وفي الاسلام هو في قلب العالم. يقول سفر التكوين ان الانسان خلق على صورة الله وعلى شبهه. ويقول القرآن إن الانسان بالرغم من أنه من طين، فقد نفخ الله فيه من روحه (٢٢، ٨ ـ ٩). ولكي يحقق دعوته في الأرض أعطاه سمعاً وبصراً وقلباً.

خلق الله العالم لكي يكون مستمراً للانسان من حيث هو خليقة الله. في حالة كماله الأولية كان للانسان في الخلق مركز الشرف. ولهذا أمرت الملائكة بأن تسجد له (قرآن ٢٠: ١١٥) ولكن في حالته الحاضرة، يجب عليه أن يكافح لكي يرتفع إلى الله، ولكي يسيطر على الطبيعة ويسيطر على نفسه فيسترجع حالته الاولى.

لقد خلق الانسان لكي يشهد أن لا اله إلا الله، لكي يعبد خالقه ويمدحه ويخدمه. وقد وضعه الله في وسط العالم لكي يستولي عليه باسمه ويكون ملكاً عليه أو بالأحرى لكي يكون خليقة الله عليه. جميع خيرات العالم تحت تصرفه. ولكن يجب عليه أن يستعملها بحكمة، إذ انه سيحاسب على كيفية تصرفه. فالانتروبولوجيا الاسلامية هي مثل الانتروبولوجيا المسيحية متجهة نحو الله. فلا يفقه الانسان إلاّ بنسبته إلى الله.

وهناك حقوق لله غير قابلة للسقوط ولها الأوليّة ففي المسيحية كما في الاسلام ان الله هو الذي يُخدم قبل كل شيء. والله هو أساس حقوق الانسان. فللانسان شخصية ذات سيادة وحرية، له الحق أن يعيش ويحقق سبل عيشه، وان يملك، وان يختار عمله وأن يعبر عن آرائه. ان الله هو، بلا

جدال، سيد النظام في المجتمع حيث انه أساس العدل الذي يجب ان يسود فيه، وأساس الحياة الأخلاقية التي يجب ان يلتزم بها المواطنون والدول.

فالمؤمنون أخوة. ويقول الغزالي في كتاب الاحياء «لا يؤمن أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبّ لنفسه». اما الانجيل فيذكرنا على استمرار بأن الوصية الثانية شبه الأولى تماماً: «أحبب قريبك كنفسك» (متى ٢٢: ٣٩). وبأننا في يوم الدينونة سنحاكم على مقدار الصالحات التي قمنا بها.

لقد أسهبنا بعض الشيء في إبراز المبادىء المشتركة بين المسيحية والاسلام لأننا نعتقد أن هنا مفتاح فهمنا كيف عاش، عادة، المسيحيون، بوئام تام، مع اخوانهم المسلمين، وأنهم قد ساهموا بطريقة طبيعية ومستمرة في تشييد الحضارة العربية وإبقائها. ونستطيع ان نضيف أنّ، من جهة الأسرة، أباحت الشريعة الاسلامية زواج المسيحية من المسلم بدون ان يتحتم عليها الاقلاع عن عقيدتها. فوجود عناصر مسيحية في صميم حياة الاسرة المسلمة من شأنه ان يدخل في حياتها بعض مميزات أو عادات مسيحية. زد على ذلك أن كثيراً من المسيحيين الناضجين قد اعتنقوا الدين الجديد ولم يمكنهم أن يتخلّوا، بين ليلةٍ وضحاها، عمّا تعودوا أن يعتقدوه ويحيوه منذ طفولتهم.

الباب الثاني

الطوائف المسيحية الشرقية

لما كان قصدنا في بحثنا هذا هو تحديد مدى مساهمة المسيحيين العائشين في المجتمع العربي في نشأة الحضارة العربية وتكوينها، فلا بد لنا ان ندرس بدقة نشأة هذه الطوائف ومميزاتها العقائدية والإطار التاريخي والجغرافي الذي عاشت فيه.

قلنا فيما سبق إن أساس العقيدة المسيحية هو تعاليم السيد المسيح كما ورد في العهد الجديد. ولكن إذا كانت العناصر الأساسية لهذه العقيدة جلية لا خلاف فيها، فتفسيرها أو فهمها او تعليلها في نور الفلسفات المختلفة التي كان يلجأ اليها مفكرو المسيحية قد أحدثت في فهم العقيدة فروقاً جوهرية كان من شأنها أن تؤدّي الى انشقاقات في المجتمع المسيحي، وبخاصة إذا تدخّلت النزعات السياسية والأهواء الدنيويّة في مؤازرة ذاك او تلك من زعماء الدين المرموقين.

الفصـل الأوّل

الآريوسيَة

نسبة لاريوس

كان كاهناً في مصر في القرن الرابع. وقد ولد في سنة ٢٥٦ وكان ليبي الأصل ولكنه أخذ العلم عن لوقيانوس الانطاكي. وأخذ ينشر آراءه قبل ٣٢٠ بقليل. ولقد كفّره من أجلها مجمع عقد في الاسكندريه فلجأ هو الى فلسطين. وألف كتاباً عنوانه «ثاليا» أي المائدة، فيه تعمد اسلوباً يجمع بين النثر والشعر، ترويجاً لأقواله في اوساط المحترفين وأهل الصناعات.

كان يقول: «إن الله واحد غير مولود، لا يشاركه شيء في ذاته تعالى. فكل ما كان خارجاً عن الله الأحد إنما هو مخلوق من لا شيء بإرادة الله ومشيئته. أما «الكلمة» فهو وسط بين الله والعالم. كان ولم يكن زمان، لكنه غير أزلي ولا قديم. بل كانت مدة لم يكن فيها «الكلمة» موجوداً. فالكلمة «مخلوق»، بل انه مصنوع، واذا قيل انه «مولود» فبمعنى ان الله «تبنّاه». ويؤدي ذلك الى ان الكلمة غير معصوم طبعاً، ولكن استقامته حفظته من كل خطأ وزلل. فهو دون الله مقاماً، ولو كان معجزة الأكوان خلقاً بلغ من الكمال ما لا يستحيل معه شيء أكمل منه رتبة ومالاً.

فيقوم هذا المذهب على انكار اللاهوت في المسيح وتصوره انساناً محضاً مهماً كان عظيماً. ولذلك أجمع الآباء في نيقية على تكفيره وعلى الاعتراف بأن المسيح إله وأنه «هُمُوْسيوس» أي متساوٍ مع الاب في الذات والجوهر.

سبّب هذا القرار تردد بعض الأساقفة ولكن معظمهم في الشرق والغرب ما زالوا يردّون على هؤلاء الخوارج ويدافعون عن العقيدة التي اجمعوا عليها في نيقية ويوضحونها. ولقد وفقوا الى القضاء على الهرطقة في الامبراطورية بتحديدهم الدقيق للفظتين «أوسيا» التي تعني الذات والجوهر. و«هيبوستاس» التي تعني الأقنوم. فخرجوا من ذلك كله بالصيغة العقدية الواضحة التي لم تزل عليها الأجيال المسيحية في سر الثالوث وهي: «ان الله واحد في ثلاثة أقانيم» على أنهم لم ينتهوا الى هذه الصيغة الكاملة الا في مجمع القسطنطينية الذي كان اول الأمر مجمعاً محلياً، ثم تحوّل الى مجمع مسكوني بعد موافقة بابا روما على ما قرّر فيه.

وقد صيغ بهذه المناسبة قانون الايمان الذي يعرف بقانون نيقية وهذا هو نصه:

نؤمن بإله واحد، آب ضابط الكل، خالق جميع الاشياء المتطورة وغير المتطورة، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الواحد المولود من الآب، أي من جوهر الآب، إله من إله نور من نور، إله حق من إله حق، مولود، غير مخلوق، مساوٍ للآب في الجوهر، به كان كل شيء، ما في السماء وما

على الأرض، الذي من اجلنا، نحن البشر ومن اجل خلاصنا نزل، تجسد وصار انساناً وتألم وقام في اليوم الثالث. وصعد الى السماوات وسوف يأتي ليدين الأحياء والأموات وبالروح القدس.

وهذا النص سيكتمل من بعض النواحي فقد أضاف اليه مجمع القسطنطينية سنة ٣٩١ بعض الاضافات وحينئذ اتخذ صيغته النهائية حتى أيامنا هذه في الكنيسة الجامعة.

الفصل الثاني

النساطرة أو أصحاب الطبيعتين

في المجادلات التي نشأت فيا يتصل بكيان المسيح وتفسير طريقة وحدة شخصيته، لا بد من تحديد المعاني والكلمات، لكن سوء الفهم فيها يؤدي إلى التباس وعدم الوصول إلى كنه الخلاف بين الفرق التي نشأت إثر المجادلات.

ولما كانت نقطة الانطلاق هي نصوص الكتاب المقدس فلا بد من حصر الاقرارات الموجودة فيه التي تتصل بشخصية المسيح. يستعمل انجيل يوحنا في أول فصوله التعبير: «في البدء كان الكلمة» وهنا كلمة تقابل الكلمة اليونانية «لوغوس» وقد جرت العادة عند المفكرين العرب أن يستعملوا هذه الكلمة في صيغة المذكر. ولكي نتفادى كل لبس، سنستعمل نحن في بياناتنا كلمة «لوغوس» التي هي، بطبيعتها، لها صيغة المذكر.

وصلب الموضوع هو الجواب على السؤال الآتي: إن «اللوغس» المتجسد، اي الانسان والإله معاً كيف حفظ وحدته؟

لقد سبق أننا بينا عندما تكلمنا عن آريوس، أنه كان يقول بأن اللوغس (الكلمة) هو أكمل الخلائق ويبين من جهة أخرى انه خُلِق قبل كل خليقة منظورة وكان الفضل في ايضاح الحقيقة وإلقاء النور على التعليم الصحيح الى القديس اثاسيوس. وكان قد أرسل سنة ٣٦٢ رسالة إلى كنيسة أنطاكية جاء فيها:

«لم يكن ممكنا، وقد صار الرب انساناً لأجلنا، أن يكون ناسوته بلا فهم. والخلاص الذي تحقّق باللوغوس (الكلمة) نفسه لم يكن خلاص الجسد وحده بل خلاص النفس أيضاً. وبما انه حقاً ابن الله فقد صار أيضاً ابن الانسان. واذ أنه ابن الله الواحد، فقد صار بكْر عددٍ كبير من اخوته (رومية ٨: ٢٩) وعلى هذا، فلم يكن لله ابن قبل ابراهيم وابن آخر بعده، ولا أنه كان من أقام لعزار، وكان آخر سأل عنه، بل كان هو عين الذي قال كانسان «أين لَعازر» والذي أقامه كإله من الموت، هو جسدياً كإنسان، صنع طيناً بريقه، ولكنه، إلهياً كإله. فتح عينَي المولود أعمى، وبينما تألم بالجسد، كما يقول بطرس (ابطرس ٤: ١) قد فتح القبر وقام من الموت كإله».

وكان لا بد، لكي يُتفادى اللبس وسوء التفاهم. أن يلجأ اللاهوتي إلى تعابير فلسفية دقيقة تعبّر بدون التباس عما يريد التعبير عنه.

فان مدرسة الاسكندرية كانت تستعمل لإثبات وحدة اللوغوس (الكلمة) المتجسّد (أو ما

نسميه اليوم (الاقنوم) كلمةَ فوزيس Physis ، التي ترجمتها هي «طبيعة» فكانت تقول: ليس في المسيح إلا طبيعة واحدة للوغوس (كلمة) المتجسد.

أما مدرسة انطاكية فانها كانت مهتمة في أن تبينّ الفرق بين مختلف أفعال اللوغوس المتجسد، فكانت تقول:

«إن في المسيح طبيعتين» وواضح أن كلا من المدرستين كانت تعبر عن حقائق مختلفة ممّا أدّى ضرورةً إلى سوء التفاهم.

ثم تعين بعد حين لفظ «اقنوم» للدلالة على اللوغوس (الكلمة) الواحد المتجسد، واحتفظ بكلمة طبيعة للتعبير عن مبدأ الأفعال. فهناك طبيعة إلهية للأفعال الإلهية، وطبيعة إنسانية للأفعال الإنسانية. فيقال حينئذٍ ان في المسيح أقنوماً واحداً أي كائن واحد Hypostesis Sujet يقوم بأفعال إلهية وانسانية، «كائن» واحد هو في الوقت نفسه ابن الله وابن البشر.

ولكن لم تكن هذه التوضيحات في القرن الخامس قد وصلت إلى هذه الدقة في التعبير.

وحدث انه انتخب لكرسي القسطنطينية في سنة ٤٢٨، لاهوتي من انطاكية هو نسطوريوس وكان، بموجب مدرسته، يشدّد في تمييز الطبيعتين في اللوغوس (الكلمة) ولكن الى درجة المبالغة في الفصل بينهما كان هناك، مسيحين: مسيحاً إلهياً ومسيحاً بشرياً، واحداً قبل التجسد وآخر بعده، وقد ربط بينهما اتحاد أدبي بسيط.

ولسوء حظ نسطوريوس انه كان في القسطنطينية كاهن من تلاميذه يدعى انسطاس لم تكن عنده فطنة معلمه

فقد قال في احدى عظاته «لا يحق لمريم العذراء أن تدعى أم الله» بل «ام يسوع لا غير» فسئل نسطوريوس أن يلوم معاونه وينكر قوله فأبى. فتدخل عندئذ كيرلس، اسقف الاسكندرية فأرسل الى نسطوريوس عدة رسائل يسأله فيها أن يرجع عن قوله. فلم يرجع فرفع حينئذ الأمر الى بابا روما فعقد البابا سنة ٤٣٠ مجمعاً اعلن فيه صحة موقف كيرلس وهرطقة نسطوريوس. ولكن بالرغم من هذا الموقف الحازم وإلحاح صديقيه يوحنا الأنطاكي وتيودوريت، لم يرجع نسطوريوس عن آرائه.

فوجه له كيرلس، اعتماداً على التفويض البابوي، رسالة طويلة تتضمن إثني عشر حرماً يتبينّ فيها الايمان الصحيح فتمسك نسطوريوس بموقفه وطلب من الامبراطور عقد مجمع. وكان هذا المجمع المسكوني الثالث. وقد عقد في مدينة افسس Ephèse سنة ٤٣١ وترأسه كيرلس. وبالإضافة الى الحكم على موقف نسطوريوس، أراد كيرلس ان يفرض صيغة الايمان المستعملة في كنيسة الاسكندرية معتقداً أنها من القديس اثناسيوس، المدافع الأكبر عن صحة العقيدة ضد آريوس، على حين أن صانعها في القرن الماضي كان ابوليناريوس Apollinarius اللاذقي، وكان كيرلس، يجهل الأمر الذي لا ينجلي إلا في القرن الآتي، بفضل ما قام به ليونس البيزنطي من الأبحاث.

قرّر المجمع العقيدة المسيحية وأكدّ أمومة مريم الإلهية ولكن يوحنا أسقف أنطاكية كان شديد المعارضة للصيغة التي يستعملها القديس كيرلس. ولم تتم المصالحة بين كرمي الاسكندرية وكرمي انطاكية الا بعد مجمع افسس سنة ٤٣٣ على أساس الصيغة الآتية التي قبلها الجانبان.

«ان ربنا يسوع المسيح، ابن الله الواحد، إله كامل وانسان كامل، مركب من نفس عاقلة ومن جسد، وهو بحسب لاهوته مولود من الآب قبل العالم، وبحسب ناسوته مولود في الأزمنة الأخيرة لأجل خلاصنا، من مريم العذراء، مساوٍ للآب في الجوهر من حيث لاهوته، ومساوٍ لنا من حيث ناسوته. وفي اتحاد الطبيعتين نعترف بربٍّ واحدٍ، مسيح واحدٍ، ابن واحدٍ، وبناءً على ذلك نعترف أن العذراء المباركة هي أم الله، لأن لوغس (كلمة) الله تجسد وصار انساناً».

بعد مجمع افسس، كان يوجد حزب «نسطوري» قوي في شرق سوريا حول ايباس قائد المدرسة اللاهوتية في الرها وايباس كان، على ما يظهر، نسطورياً.

بعد المصالحة اللاهوتية بين كيرلس الاسكندري ويوحنا الأنطاكي، رفضها عدد من المطارنة.

وتقربوا بطريقة أوثق من الكنيسة السورية في ايران، التي كانت اعتمدت رسمياً النسطورية في سينودوس Sélencie المنعقد سنة ٤٨٦ وفي سنة ٤٨٩ طرد الامبراطور زينون النساطرة من الرها فهاجروا إلى فارس. ومنذ ذلك الحين انفصلت الكنيسة النسطورية من الكنيسة البيزنطية التي كان مقرها الاساسي في القسطنطينية.

وقد أكّد النساطرة موقفهم بطريقة أوضح في سينودوس ٦١٢ عندما اعتمدوا المبادىء المخالفة للكنيسة الجامعة. طبيعتان، واقنومان Hypostaseis و prosopon واحد. وقد أقصوا تماماً كلمة Theotôkis أي والدة الله عن مريم. وقد ازدهرت هذه الكنيسة بالرغم مما لاقت من اضطهادات تحت حكم الساسانة وغزوات الأتراك والتتر. ودليل ازدهار هذه الكنيسة مدارسها اللاهوتية في Setencie ونصيبين Nisibe وانتشار الأديرة، وحركتها التبشيرية في جزيرة العرب والهند (ملابار) والتركستان والتيبت وحتى في الصين، وقد وجد في مدينة سينجان في الصين نقش على الحجر باللغتين السريانية والصينية يرجع عهدها إلى سنة ٧٨١.

وقد كان لغزو تيمورلنك واضطهاده (سنة ١٣٨٠) أسوأ الأثر في الكنيسة النسطورية وكاد يعدمها. وهي الآن في العراق وايران وسوريا تحوي جماعات قليلة كما يوجد عدد من كنائسها في الولايات المتحدة.

الفصل الثالث

أصحاب الطبيعة الواحدة أو اليعاقبة

لم ينه مجمع أفسس الخلافات التي كان نسطوريس سببها. توفي يوحنا الانطاكي سنة ٤٤٢ وبعد سنتين توفي بدوره كيرلس الاسكندري. فلم تلبث المشاجرات أن تجددت بين أتباع مدرسة الاسكندرية وأتباع المدرسة الأنطاكية.

ظهر في القسطنطينية رئيس دير اسمه اوتيخا معروف باعجابه الشديد لكيرلس والتمسك بحرفية تصريحاته بدون أن يفهمها تماماً. فبدلاً من أن يتبع اوتيخا القديس كيرلس في تفسير الصيغة المشهورة: ليس في المسيح إلا طبيعة واحدة متجسدة من اللوغس (الكلمة) صار يقول: قبل التجسد، كان للمسيح طبيعتان، ولكن بعد الاتحاد لم يبق إلا واحدة، الالهية ويفسر ذلك قائلاً: بقيت الطبيعة الالهية على ما كانت عليه وذابت البشرية فيها كما يُذوِّب ماء البحر نقطة العسل التي تسقط فيه.

وكان لأوتيخا صديق كان ذو حظوة في بلاط الامبراطور تيودوسيس الثاني. فاستعمل نفوذه لاضطهاد كل من لا يجاريه في افكاره وخصوصا أتباع المدرسة الأنطاكية. ولكن امتاز حينذاك في صفوف الأرثوذكسيين الشرقيين أسقف شجاع هو اوسيبيوس الدوريلي Eusèbe de Dorylée وكان من أوائل من حملوا على نسطوريس من نحو عشرين سنة. فتصدى بقوة لتعاليم اوتيخا وأقنع فلافيانس Flavianus ، اسقف القسطنطينية أن يعقد في هذه المدينة سنة ٤٤٨ مجمعاً محلياً. لكن رفض اوتيخا ان يرجع عن أقواله فحُرم وعزل من رئاسة ديره. وأقر المجمع القول بطبيعتين ومشيئتين بعد الاتحاد.

ولكن استطاع اوتيخا. بواسطة تلميذه كريساف، ان يقنع الامبراطور ثيودوسيوس الثاني ان يعقد مجمعاً في افسس سنة ٤٤٩. وأسند الامبراطور رئاسة المجمع الى ديسفورس، بطريرك الاسكندرية الذي كان سكرتيراً للقديس كيرلس وخلفه على كرسي الاسكندرية.

وكان حينئذ في روما، البابا ليون. أذكى عقل في عصره. أطلعه فلافيانوس، بطريرك القسطنطينية على الأمر الجاري فأرسل إلى أفسس كنواب عنه، اشخاصاً يحملون رسالتين: واحدة الى المجمع وأخرى الى فلافيانوس وقد أوضح فيها موقفه من ضلالات اوتيخا. ولكن، للأسف لم يجد هؤلاء النواب قبولاً حسنا بل اسيئت معاملتهم ولم تقرأ رسالتا البابا ليون. ولقي فلافيان نفسه، أسقف القسطنطينية اشنع معاملة، وأنزل عن منصبه وألقي في السجن ثم أرسل الى المنفى حيث مات بعد قليل.

وقد أثار هذا التصرف احتجاج البابا ليون وعدد من الاساقفة الشرقيين. وفي هذه الأثناء مات الامبراطور ثيودوسيوس الثاني وخلفته على العرش اخته بولكريا وزوجها مرقيان فانعقد العزم بدعوة لمجمع شامل في خلقيدونية وهي مدينة تجاه القسطنطينية، على الشاطىء الشرقي.

هناك اجتمع ستمائة من الآباء، جميعهم شرقيون ما خلا اثنين أفريقيين. وعندما قرىء رسالة ليون إلى فلافيان، صاح الآباء الحاضرون جميعاً بصوت واحد «هذا إيمان آبائنا، هذا ايمان الرسل. وهكذا نؤمن جميعاً. وهكذا يؤمن الارثوذكسيون فليكن محروماً من لا يؤمن هذا الايمان. هو بطرس قد تكلم بفم لاون».

أما ديسقوروس وأساقفة مصر فأبوا أن يقبلوا رسالة ليون إلى فلافيانس كما كان آباء المجمع يطلبون منهم. ورفضوا أيضاً ان يوقعوا تجديد الايمان المتقدم.

وأخيراً أصدر المجمع الحكم الآتي: «قد ظهرت وتحققت الأمور التي صنعها ديوسفورس... فقد قبل اوتيخا بخلاف ما تأمر به القوانين... واستخصّ لذاته الولاية قهراً... ولم يأذن أن تقرأ رسالة لاون المرسلة إلى فلافيانوس... وقد زاد إثماً على سيئاته الأولى فيما تجاسر وحرم لاون الحبر الأقدس صاحب كرسي كنيسة رومية.. وقد دعاه المجمع ثلاث دفعات بموجب القوانين الكنائسية فخالف أمره وأبى السير اليه... فلأجل ذلك لاون الحبر الأقدس بواسطتنا... قد نزع عنه درجة الأسقفية وعزله من خدمات الكهنوت. فالآن هذا المجمع المقدس يحكم في دعوى ديوسفورس بما رسمته القوانين.

بعد انتهاء مجمع خلقيدونية، اصدر الامبراطور أمراً ينفي ديوسفورس إلى جزيرة غاغرا. في آسيا الصغرى، مضى فيها خمس سنين وتوفي سنة ٤٥٧ م.

الفصل الرابع

الأقباط

يعتز أقباط مصر بحوادث أربعة:

أولاً: قدوم العائلة المقدسة الى القطر المصري هرباً من اضطهاد ملك اليهود الذي كان يريد قتل الطفل يسوع (انظر متى ٢: ١٣ - ١٤)

ثانياً: تأسيس كنيسة الاسكندرية على يد الرسول مرقس.

ثالثاً: النشاط الفكري لمدرسة الاسكندرية.

رابعاً: تأسيس الرهبنة التي وجدت في أرض مصر مهداً لنشأتها وترعرعها.

ان لمصر اقدم تاريخ في العالم الحضاري. وقد ترتقي فيها الحضارة إلى أيام الفراعنة بناة الأهرامات والهياكل وقد تلاحقت عليها سلسلة من الحضارات، فرعونية، يونانية، رومانية، فارسية بدون أن تفقدها نزعتها الدينية العميقة.

ويجدر بنا في محاولة تحديد مميزات الشخصية القبطية إزاء الحضارة العربية التي وصلت إلى مصر في القرن السابع عندما جاء عمرو بن العاص الى وادي النيل، أن ندرس حالة مصر المسيحية منذ نشأة المسيحية فيها وكيف تعربت تدريجياً بدون أن تفقد شخصيتها العميقة.

يمكننا أن نقسم العصر القبطي لمصر على النحو الآتي:

١ - أولا عصر سيادة الثقافة الاغريقية وهو يمتد من سنة ٣٠ ق.م أي من الفتح الروماني حتى عام ٣١١ أي عام صدور مرسوم التسامح الديني الذي اصدره الأمبراطور قسطنطين. فاصبحت حينئذ الديانة المسيحية بمقتضاه احدى الديانات المعترف بها رسمياً في الدولة الرومانية.

٢ - مرحلة استقرار المسيحية وسيادة الثقافة القبطية وهي تمتد حتى أوائل القرن الثامن من سنة ٧٠٦ م.

٣ - مرحلة سيادة الثقافة العربية: من أوائل القرن الثامن حتى نهاية العاشر الميلادي. وفيها أخذت الثقافة القبطية تتلاشى تدريجياً وأصبحت الكنيسة تتمثل اللغة العربية فتمكن علماؤها من التعبير بلغة عربية فصيحة عن العقيدة المسيحية وتعاليمها وتدوين قوانينها وتاريخها.

يمتد العصر الأول من سنة ٣٠ ق.م إلى سنة ٣١١ م وفي اثنائه ظهرت المسيحية سنة ٦٠ وأخذت تنتشر وتترعرع. وكان لا بد من الاصطدام مع الحضارة الوثنية المستمدة أصلا من

اليونانية. وكان الخلاف بين العقيدتين واضحاً. فمن جهة تنادي الدولة الرومانية (وهي وريثة الثقافة اليونانية) بعبادة الامبراطور بينما تنادي المسيحية بعبادة الله وحده. فلما عارض المسيحيون مزاعم السلطة وقاطعوا الاحتفالات والألعاب والملاهي، أصبحوا عرضة للاضطهادات المتتالية.

ومن جهة أخرى كان انعدام المساواة بين الطبقات الاجتماعية في المجتمع الروماني يخالف ما يدعو اليه الدين الجديد. هذا فضلاً عن التفرقة في المعاملة بين المتأغرقين من سكان العواصم وبين جمهرة الأهالي المصريين من سكان الريف. وكما يقول المؤرخ روستو نسيم (ص ٨٦). «فكان الوثني المتحول إلى المسيحية يجد نفسه في عالم ذي قيم مخالفة لقيمه السابقة إذ عمت الامبراطورية فورات دافعة من الشعور الخلقي ضد مظاهر الرذيلة والوحشية التي تمخضت عنها الجوانب المظلمة من المدنية الرومانية القديمة».

وقد اتخذ الصراع بين الدولة الرومانية والمسيحية شكلاً ماديا اضطهادياً استغرق أكثر من ثلاثة قرون بين سنة ٣٠م وسنة ٣١١م. ففرض على المسيحيين ألوان العذاب بلغت أقصاها في عصر نيرون (سنة ٦٨ م)، وعصر تراجان (سنة ١٠٦ م) وديسيوس (سنة ٢٥٠ م) ثم دوقلسيانوس الذي بلغ الاضطهاد في عهده قمته حتى وضع قبط مصر تقويمهم المعروف بتقويم الشهداء مبتدئاً بسنة توليته الحكم. سنة ٢٨٤ م. وبين وقت وآخر كانت الصيحات ترتفع «فليلق المسيحيون إلى الأسود» إذا ما نزلت بالبلاد كارثة عامة كالاوبئة والقحط والمجاعات والزلازل. وقد ورد في كتاب تاريخ البطاركة كنيسة الاسكندرية» ذكر استشهاد كثيرين من الشعب المؤمن اللذين صمدوا للمحنة ووجدوا في الاضطهاد قوّة روحية لم تزدهم إلاّ تشبثاً بعقيدتهم الجديدة.

والذي يتضح أيضاً من قراءة هذا التاريخ هو أن الشخصية المعنوية للأمة المصرّية وللكنيسة المصرية تمثلت بباوات الاسكندرية لم يكونوا فقط زعماء دينيين وإنما كانوا أيضاً قادة وطنيين. فقد اعتبر الأب البطريرك ممثل الشعب وكانت لكلمته في المصريين قوة القانون (منير شكري. . نسيم ص ٨٨)

وميزة أخرى لهذه المرحلة من الكنيسة هي اكتمال النظام الرعوي الرئاسي بمدينة الاسكندرية. فنظمت الكنيسة بالاسكندرية ثم بمدن الدلتا فمصر الوسطى ثم الصعيد حتى الشلال، وامتد إلى ليبيا غرباً وفلسطين شرقاً والسودان جنوباً. وفي القرن الرابع وصل إلى اثيوبيا.

وكانت قيادة الكنيسة تتمثل في الاسقف والقس والشماس وفي مصر كان البابا ديمتريوس ـ الثاني عشر في تعداد البابوات ـ أول من أقام الأساقفة.

أما المعلم الثالث لهذه الفترة من الكنيسة القبطية هو قيام الأديرة. وسنخصص له باباً مطولاً فيما بعد.

وفي هذه الفترة الاولى من هذه المرحلة كانت السيادة اللغوية والثقافية للغة اليونانية لان الأبجدية القبطية لم يبدأ ظهورها إلاّ في منتصف القرن الثاني كصورة أخيرة لتطور اللغة المصرية القديمة. وفي أواخر القرن الثالث ظهرت الكتب المقدسة وسيرَ باباوات الكنيسة وشهدائها باللغة

القبطية فسارت الثقافة القبطية جنباً إلى جنب مع الثقافة اليونانية وقد كانت اللغة الاغريقية من قبل لغة التعليم واللغة الرسمية ولغة الكتاب المقدس.

أما المرحلة الثانية من مراحل العصر القبطي فهي مرحلة استقرار وسيادة الثقافة القبطية في مصر وهي تمتد من أوائل القرن الرابع إلى أوائل القرن الثامن.

وتخللها ثلاثة أحداث تاريخية هامة: أولاً: نقل قسطنطين لعاصمته إلى القسطنطينية في سنة ٣٣٠، ثانياً: ارتداد الامبراطور يوليانوس عن المسيحية نحو سنة ٣٦١ فالغى مرسوم التسامح الديني وصادر أملاك الكنيسة ومنع المسيحيين من التعليم في المدارس. ولكن بالرغم من هذه الاجراءات تمكنت الكنيسة من مواصلة رسالتها الروحية والاجتماعية. وانتهت هذه الردة بوفاة يوليانوس أثناء حربه ضد الفرس سنة ٣٦١م.

أما الحادث الثالث فهو اعتراف الدولة الرومانية سنة ٣٧٩ بالديانة المسيحية كدين رسمي للدولة وهذا على يد الامبراطور تيودوسيوس الكبير. وكان عهده عهد تعمير وسلام. وآخر دليل على أفول نجم الوثنية إغلاق جامعة أثينا وهي كانت معقل ورمز الثقافة الوثنية.

ارتاحت الكنيسة القبطية من متاعبها مع السلطة السياسية لكنها لم تلبث أن تدخل في متاعب مذهبية إذ قد اعتنقت، كما بيّنا فيما سبق مذهب الطبيعة الواحدة فاطلق على الاقباط «أصحاب المذهب المونوفيسي».

وقد رأينا كيف نشب الصراع المذهبي الذي وصل الى قمته في مجمع خلقيدونيا سنة ٤٥١م حين حرم أساقفة المجمع ديوسفورس بابا الكنيسة المصرية لدفاعه عن مذهب الطبيعة الواحدة. ولا شك أن مجمع خلقيدونيا يعتبر بمثابة نقطة التحول في العلاقات الدولية بين المصريين والكنيسة البيزنطية. فبعد نفي ديوسفورس ووفاته بالمنفى سنة ٤٥٥ عينت الكنيسة البيزانطية بطريركاً ملكانياً على الاسكندرية. فما كان إلا أن انتخب المواطنون المصريون أحد المواطنين المصريين بطريركاً وهو تيموثيئوس ولكن الحاكم البيزنطي طارده وعزله قهراً. فاتخذت المقاومة شكل جهاد قومي مصري ضد الكنيسة البيزنطية.

ومنذ سنة ٤٥١م كان الأقباط قد قطعوا علاقاتهم بالكنيسة البيزنطية وأخذت ثقافتهم القومية تتجلى وتظهر في أدبهم. فمن حيث اللغة كانت السيادة للغة القبطية منذ أواخر العصر البيزنطي حتى صدر الاسلام وهذا كلغة للشعب وللكنيسة وللدولة.

وقد ظهر أيضاً أثر هذا التطور في الفنون مثل الزخارف والرسوم والرموز المسيحية في الأقمشة. وفي الأخشاب. فأخذ الفن القبطي يعبر في مظاهره الدينية عن مناظر البيئة وطبيعة الحياة المصرية.

وفي هذا العصر كتب يوحنا النقيوسي Jean de Nikiou كتابه التاريخي المشهور عن فتح العرب لمصر باللغة القبطية وجزءاً منه باللغة اليونانية.

أما القسم الثالث من العصر القبطي فهو يمثل سيادة الثقافة العربية من سنة ٧٠٦م إلى الآن.

إن الحالة في مصر قبيْل الفتح العربي لم يكن يبشرّ بالخير للسلطة البيزانطية. فلم تكن حركة التغْريق قد نجحت إلا لدى أقلية من المثقفين العائشين في المدن، بخاصة في الاسكندرية. كانت اللغة الاغريقية لغة الدواوين الحكومية ولكن كان الشعب يتكلم القبطية.

وكانت حركة الرهبنة التي ابتدأت في القرن الثالث قد ملأت الصعيد ووادي النطرون بالأديرة. وكان الرهبان من أقوى المدافعين عن المذهب المنوفيسي. وفي نفس الوقت قاموا بنشاط أدبي قبطي أصيل. نعم، إن المدن، وبخاصة الاسكندرية، كانت قد تشبّعت بالثقافة اليونانية ولكن منذ البدء كان يوجد في مصر عند المسيحيين ازدواج لغوي لم تصل البشرى الانجيلية إلى الشعب بثياب يوناني، حتى القديس اثناتيوس قد كتب بعض مؤلفاته بالقبطية ولم يعرف القديس انطونيوس إلا اللغة القبطية وكان باخوميوس يعظ إلى رهبانه بالقبطية. وأقدم تراجم للكتاب المقدس تصعد إلى القرن الثالث. وتدل النصوص العديدة التي اكتشفت في مصر العليا أن اللغة كانت وصلت إلى مستوى أدبي ملحوظ، وفي القرن الرابع كان في وسع الكتّاب الأقباط أن يبدعوا أعمالاً أصيلة.

وكان مصدر هذا الانطلاق الجديد أديرة مصر العليا التي أسسها القديس بخوميوس في القرن الرابع.

وقد ألف هو وخلفاؤه أعمال ترجمت فيما بعد الى اللاتينية وكان لها أثر بيّن في الحياة الروحية الغربية.

وقد كان لشخصية شنودة الاتريبي، رئيس الدير الأبيض بالقرب من سوهاج أثر في نشر الرهبانية وأصبحت عظاته الروحية نموذجاً لهذا النوع من النشاط الديني فيما بعد.

وحدث تطور مشابه في مصر السفلى حيث استعملت اللهجة القبطية البحيرية لترجمة الكتاب المقدس وفي هذا الزمن، أعطى رهبان وادي النطرون وشبهيت جوهرة الآداب القبطي وهي Apophtegma Patrum وهو كتاب أصبح المرجع الأساسي لمن يريد أن يعيش حياة مسيحية أصيلة، شبيهة بحياة المسيح.

ترجم الرهبان أعمال الآباء الاغريق: أثناثيوس وباسيل وجريجوريوس النتريانزي وغريغوريوس النيسوى ويوحنا فم الذهب. ومنذ هذا الوقت أيضاً ابتدأ الأقباط تدوين تاريخهم إما بترجمة كتب يونانية مثل: التاريخ الكنسي لأيزوبيوس، أو بتأليف له من جانبهم.

ولم يقتصر هذا التأليف على المواضيع الدينية بل تناول أيضاً مواضيع أدبية أو لغوية. وأخذ تأكيد الطابع القومي يتقوى بالجدال مع البيزنطيين. فكان ينظر الأقباط إلى الخلقيدونيين (الذين تَسَمّوْا فيما بعد بالملكيين) أنصار الامبراطور، كهراطقة. ومن يقرأ كتاب يوحنا والسباب الذي يكيّله للبيزنطيين يفهم إلى أي درجة وصلت نقمة الأقباط نحو أنصار بيزنطا. فقد سُلِبَ الأقباط كنائسهم وتحمّلوا ضغوطاً مختلفة لكي يعتنقوا المذهب الخلقيدوني. ولكنهم لم يتزعزعوا عن موقفهم معتقدين أن العقيدة السليمة هي عقيدتهم وأن الكنائس الأخرى قد ضلّت السبيل.

واخيراً لجأت الادارة البيزانطية إلى فرض ضرائب ثقيلة لكي تساعد ميزانيتها الضعيفة بل اقترفت الخطأ الجسيم بأن كلفت نفس الشخص، وهو البطريرك كيروس أن يكون مسؤولاً عن الادارة المدنيّة والدينية للبلد. ومعنى هذا أن أصبح الأقباط مستعدين للاستسلام لكل من يتسمون به صفات المخلص الذي سيخلصهم من الاضطهاد السياسي والديني. ولذا لما ظهر عمرو بن العاص في ديسمبر سنة ٦٣٩ م، مع جنوده، على حدود مصر، كان الثمرُ ناضجاً لكي يلتقط.

وبحضور الفاتحين العرب المسلمين، لم يلبث أن تحدث حركة مزدوجة من التأسْلم أي الدخول في الدين الجديد ومن التعريب أي استعمال اللغة العربية كأداة تعبير ومعاملة. وقد خصصنا بحثاً مفصلاً لهاتين العمليتين تتلخص نتائجها على الوجه الآتي

(أنظر)

G. C. Anawati, Factors and effects of Arabization and Islamization in medieval Egypt and Syria, in Islam and Cultural Change in the Middle Ages, S. Vryonis editor, Wiesbaden 1975, pp. 17 – 41

يمكننا أن نجد ثلاثة أسباب أساسية لحركة التأسلم:

١ ـ المنافع المادية والاجتماعية. فالذي يعتنق الاسلام يعفى من الجزية ويصبح أهلاً لكي يصل إلى أعلى الوظائف الحكومية.

٢ ـ نظام الزواج الاسلامي الذي يسمح للمسلم أن يتزوج مسيحيّة. فحتى لو بقيت هي على دينها. وهذا ما يبيحه الشرع ـ إلا أن الذرّية هي حتماً مسلمة فلا فرار من التأسلم الحتمي.

٣ ـ بساطة العقيدة الاسلامية والمبادىء المشتركة التي تقربها من المسيحية. وقد أوضحنا هذا في بابنا الأول.

أما مسألة التعريب. فيمكن تحديد أسبابه على الوجه الآتي:

١ ـ كان موازياً مع حركة التأسلم ومقترناً به

٢ ـ وفود قبائل عربية. فقد طلب عمرو بن العاص من عمر النجدة فأرسل له اثني عشر رجلاً وتدريجياً اختلطوا بالزيجات مع شعب مصر. أنظر الدراسات الآتية:

عبد الله خورشد البري، القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الاولى، القاهرة ١٩٦٧، ومحمد غزة دروزة، عروبة مصر قبل الاسلام وبعده صيدا وبيروت ١٩٦٣.

يقول الاستاذ فييت في مقاله عن القبط في دائرة المعارف الاسلامية: «قصارى القول. نقدر، مع الاستاذ ماسينيون وجميع المستشرقين، أن ٩٢ في المائة من سكان مصر هم من أصل قبطي».

وكان طبيعياً أن تنشر الحكومة الجديدة اللغة العربية. فلما كانت سنة ٧٠٦ م «أمر عبد الله بن عبد الملك بن مروان بالدواوين فنسخت بالعربية وكانت قبل ذلك تكتب بالقبطية وصرف اشناس عن الديوان وجعل الغزاوي من أهل حمص». (المقريزي، خطط جـ ١ ص ٨١). واضطر الأقباط لكي يتسنى لهم شغل الوظائف.

إنّ أول ورقة بردى مكتوبة باللغة اليونانية والعربية معاً ظهرت سنة ٦٤٣ وآخر واحدة سنة ٧١٩. وآخر أوراق بردية خاصة بمسائل إدارية كتبت كلها باليونانية مؤرخة سنة ٧٠٩ م. وأول كتابة عربية وجدت في مصر مصورة على جدار منزل في Antinoe هي من سنة ٧٣٥.

وقد أرسل البطريرك ميخائيل (٧٢٨ - ٧٥٢) طلباً للوالي ملك بن مروان مكتوبة بالقبطية والعربية ولكنه لم يكن يعرف كلمة واحدة من العربية واضطر ان يستعين بمترجم للتحدث مع الخليفة مروان الثاني.

ولكن تدريجيا تعلم الاكليروس اللغة العربية وهناك نص شهير عند سويرس، مطران الاشمونيين حيث يصرح فيه ان اللغة العربية كادت تنتشر في جميع أنحاء مصر وأن جزءاً كبيراً من السكان لا يعرفون اليونانية ولا القبطية.

ومع تقدم التأسلم، أخذت اللغة العربية تنتشر بطريقة طبيعية بحيث اننا نستطيع أن نميز، بعد ثلاث قرون من الفتح، ثلاث فئات من الشعب

١ - فئة العرب الوافدين الذين لم يشعروا قط الحاجة إلى تعلم اللغة القبطية.
٢ - فئة الأقباط الذين اعتنقوا الاسلام فاسرعوا لتعلم اللغة العربية فاصبحوا مزدوجي اللغة.
٣ - فئة الأقباط الذين تمسكوا في عقيدتهم المسيحية ولغتهم القبطية. ولكن بعد اضطهادات الأفشيين سنة ٨١٣ والخليفة الحاكم (٩٩٦ - ١٠٢٠)، أخذت الفئة الثالثة تتضاءل واضطرت هي أيضاً أن تتعلم العربية. بحيث ان اللغة القبطية. في القرن الرابع عشر لم تكن مستعملة إلا في الأديرة.

وكما سنرى في باب الرجال، اشتهر في ميدان الادب العربي المسيحي، في القرن العاشر، شخصان كبيران: بطريرك الاسكندرية الملكي، سعيد بن البطريك والكاتب القبطي فقد تحقق في القرن الثالث عشر مع أولاد العسّال والمؤرخ مكين وأبو البركات بن كبر. وسنتكلم عنهم فيما بعد.

ويجدر بنا في ختام هذا الفصل أن نشير إلى صفحة جميلة، عميقة أبان فيها الدكتور وليم سليمان كيف كان للأرض المصرية وصلتها بالشعب المصري دور أساسي في توحيد حياة المصريين، مسلمين كانوا أو مسيحيين. يقول الدكتور سليمان: ثم جاءت المسيحية - وعبر الأقباط المسيحيين عن ارتباطهم بالأرض في صلواتهم وخصصوا لكل فصل من فصول السنة الزراعية - الفيضان والزرع والحصاد - صلاة خاصة تتلى في مواقيتها. وتملأ الكنيسة المصرية هذه الصلوات بالأوصاف الخلاّبة. فالأرض عروس تشتاق إلى عريسها - النيل السعيد. تستعد له كي يأتي ويلبسها تاجاً جميلاً أخضر تسعد به أوّل السنة حتى يتحول وليداً مباركاً. والنيل في صلوات الكنيسة هو أحد الأنهار الأربعة التي جاء في سفر التكوين أنها موجودة في الجنة وتصلي الكنيسة على مياهه عدة مرّات في السنة.

وحين جاء الاسلام امتلأت الكتب المصرية الاسلامية بالاعتزاز بهذا البلد - بالنيل والأرض - . فالنيل نهر تأتي مادته من الجنّة تنحدر فيه البركة وتمزجه الرحمة. ولولا دخوله في البحر

المالح وما يختلطبه منه لم يستطع أحد شربه لشدة حلاوته . . . ومؤرخ آخر حين يورد ما اختصت به مصر والقاهرة من محاسن وفضائل يذكر ان من بينها «قبطمصر وهم من ذرية الأنبياء» (ص ٨٣)

أما المقريزي فيورد عن عبد الله بن عمرو: قبطة مصر أكرم الساكنين خارج الجزيرة العربية كلهم، وأسمحهم يداً، وأفضلهم عنصراً. ومن أراد أن يذكر الفردوس أو ينظر إلى مثلها في الدنيا فلينظر إلى أرض مصر حين يخضرّ زرعها وتنور ثمارها. (خطط المقريزي، طبعة كتاب التحرير ص ٤٥)

ويخلص الدكتور وليم سليمان إلى النتيجة المهمة هذه: الانتماء إلى الشعب المصري ـ كالانتماء إلى أرض مصر ـ لم يكن على أساس ديني. وحين وفدت إلى مصر الهجرات العربية المتلاحقة، لم تنعزل عن كتلة الشعب الأصلي بل اندمجت فيه اندماجاً تاماً، وكان عامل الذوبان هنا هو العمل في الأرض. (ص ٨٤)

الباب الثالث

المسيحية في الجزيرة العربية

(قبل الإسلام)



الفصل الأول

البلاد العربية أو جزيرة العرب

عندما تذكر المصادر القديمة البلاد العربيةARABIA فانها لا تقصد ما نسميه اليوم شبه جزيرة العرب، اعني الديار المحدودة بالبحر الأحمر، وخليج عدن، وبحر عمان وخليجه، وفي الشمال بصحراء سوريا، ففي ازمنة الكتاب المقدس، لم تكن تتجاوز البلاد العربية، في الجنوب، الحجاز، ولم تكن تحوي الجزء الأكبر مما كان يسميه الرومان «البلاد العربية السعيدةArabia Felix

هل كانت منطقة تدمر تنتمي اليها؟ هذا سؤال قد يطرح. كما ان بتراء العربيةArabie Pétrée ، وهو الاسم الذي كان الرومان يعطونه لشبه جزيرة سينا لم يكن يعتبرها الرومان جزءاً من البلاد العربية في آخر زمن الامبراطورية، كانت خاضعة لإقليم فلسطين.

ونحن نواجه نفس الصعوبات عندما تأخذ الجنس العربي كمعيارٍ للبلاد العربية. فأولاً هذا المعيار صعب جداً في تطبيقه. ففكرة الجنس النقي الصافي لا تخلو من المسحة الأسطورية. وثانياً إن العرب كانوا شعباً رحّالاً، قد سكن في بلادٍ مختلفة اثناء حياته البدوية. ففي الجاهلية رحل الى مناطق أوسع من شبه جزيرة العرب، فذهب إلى سوريا مثلاً، الأمر الذي سمح للمؤرخ ديسّو Dussaud ان يكتب كتاباً سماه: «العرب في سوريا قبل الاسلام».

وتبسيطاً لعرضنا سنتخذ حلاً وسطاً فسنحدّد بحثنا الى ما كانت عليه المقاطعة العربية الرومانية وسنزيد عليها منطقة الحدودLimes الشرقية والغربية، وبخاصة مكة، وأخيراً جنوب جزيرة العرب.

الأصول المسيحية

قد ورد في كتاب أعمال الرسل «أن في يوم العنصرة كان يوجد في مدينة أوراشليم عرب، (أعمال الرسل: ٢، ١١)، ولا شك ان هؤلاء العرب كانوا إمّا يهوداً أومهتدين جدد «الخائفين الله»، من جنس عربي. هل عمّدوا وماذا فعلوا بعد عودتهم: ان اعمال الرسل لا تقول شيئاً في هذا الصدد. كما انها لا تعطي خبراً دقيقاً عن موطنهم الأصلي الذي لم يكن، على ما يبدو، بعيداً. وربما يكونون قد أتوا من دمشق أو من ضواحيها.

عندما ذهب القديس بولس إلى دمشق بعد اهتدائه كانت المدينة في حوزة أرتاسAretas الذي عين قائداًethnarque ممثلاً له كورنثس: ١١، ٣٢). ولكي لا يقول عن نفسه انه «صاحب قيصر أو الرومان» كان قد أطلق على نفسه لقب «راحم امّه» أي صاحب شعبه كان يحكم فيPêtra على الأنباط وهم من جنس عربي. وقد تزوج هيرودوس انتيباسHerodus Antipas من بنته ثم طلقها.

كان قد استولى على الحكم بدون إذن الامبراطور اوغسطس الذي اعترف به أخيراً. وقد حكم اريتاس منذ السنة التاسعة قبل المسيح حتى السنة الأربعين بعد المسيح.

يقول القديس بولس إنه توجه بعد اهتدائه إلى «البلاد العربية» Arabia بين إقامتين في دمشق. يجب هنا ايضاً ألا نخطىء فنفكر في جزيرة العرب الحاضرة. إن الرأي السائد هو انه اتجه الى الحوران والمناطق المجاورة شرق دمشق. ويذهب البعض الى انه ذهب إلى شبه جزيرة سيناء، وهو مشدود اليها بذكرى موسى. وليس هناك ما يسمح لنا ان نجزم بفترة بقائه في تلك المنطقة في عزلة صامتاً متعمقاً في تأملاته الروحية ام أنه أخذ ينشر الدعوة بين عرب هذه المنطقة. وقد رأى بعض آباء الكنيسة انه ابتدأ التبشير فيها ولكن عندما لم يجد قبولاً لدعوته، التزم الصمت، الأمر الذي يفسّر سكوت أعمال الرسل في هذا الصدد.

ومن الغريب ان القديس يستينوس Justinus في كتابه «حوار مع تريفون» يضع في منطقة دمشق بلد المجوس الذين زاروا يسوع الطفل في بيت لحم وكانت المملكة النبطية منذ عهد ملخيس الثاني Melichas (نحو ٤٨ الى ٧١) قد خرجت من نطاق دمشق ودخلت في عهد خلفه، تدريجياً، في فلك الرومان. وفي سنة ١٠٥ ضمّها الرومان إلى الامبراطورية واستولى مندوب سوريا على عاصمتها بتراء Petra . وبعد عدة أشهر أسّس الرومان مقاطعة جديدة اطلقوا عليها اسم «أرابيا» Arabia وجعلوا بصرة عاصمة لها. أكان هذا ضرباً من عوارض مركّب العظمة من قبل الرومان كما يرى ذلك المؤرخ الشهير مومسن Mommsen ، يظهر ان الأمر ليس كذلك لأنه كان يوجد من بين العرب ما يبرر اقامة تلك المقاطعة وتسميتها باسمهم.

كانت بصرة العاصمة مركزا للمواصلات فكان يلتقي فيها طريقان يصلانها بدمشق وفيلادلفيا وبتراء وميناء آيل- كما أنها كانت ملتقى لطرق القوافل. ولذا يجب الا ندهش عندما نرى أن هذه المدينة اختيرت كمدينة اسقفية في النظام الكنسي.

وحوالي سنة ١٩٥ق.م. فصل سبتيم ساويرس Septime- Sévère الى مقاطعتين: سوريا فينيقيا Syria-Phaenicia وسوريا شيلية Syria Coele وفي نفس المناسبة ضمّ الى مقاطعة «آرابيا» بعض المناطق فامتدّت حدودها الى شمال حوران.

كيف نشرت المسيحية في هذه المناطق؟ إننا نعرف أنها كانت موجودة منذ مدّةٍ محددة، بل وانها كانت منظمة، ولكننا لا نعرف على الوجه الدقيق كيف ومتى. نعم يذكر كتاب «أعمال الرسل» ان بعض المسيحيين، اثناء حصار مدينة القدس، هجروا من مدينة بيلاّ Pella ، وهي مدينة قريبة في «الديكابول» Decapole ، وذهب والبعض الاخر إلى المقاطعة الرومانية. . هذا ممكن.

إننا نجد في الأخبار الاكيدة الاولى التي لدينا عن المسيحيين العرب ما يبرّر المثل القاسي الذي يصف هذه البلد بأنها «خصبة بالفرق المنحرفة Arabia haeresium ferax بالاضافة إلى الأبيونيين والكسائين Ebionites et Elkaisites الذين ذكرهما فيما بعد ابيفانوس Epiphanus ، قد ذكر هيبوليتس Hipolitus الافكار الغريبة للغنوصي «مونوئيم العربي Monoime والذي يذكره المؤلف بين «الدوسيت» docètes وتطيانوس Tatien ، غير أن هناك شكاً في صحة هذه النصوص.

وفي عهد كراكلاّ Caracalla في نحو سنة ٢١٤ أو ٢١٥م حدث حادث في غاية الغرابة في التاريخ الديني لهذا العهد. فقد طلب والي المقاطعة الرومانية من المحافظ الروماني في مصر أن

يرسل إليه أعلم رجل مسيحي من مصر لأنه يريد أن يقف على مذهب الدين الجديد أي المسيحية وقد حدث هذا في وقتٍ كان اوريجينوس Origène نور مدرسة الاسكندرية. ويقول اوزيبيوس Eusebius وهو الذي يروي لنا هذا الخبر ان اوريجينوس نجح في المهمة التي نيطت بها.

وقد ذكر المؤرخ الكنسي الشهير، من بين المطارنة العرب، اسم بيريللوس Beryllus، «أسقف العرب في بُصرى» هذا المطران، في أواخر مهمته المطرانية وقع في هرطقة «المودالين» Modalistes أي أنه كان يقول أن اللوغس (الكلمة) قبل تجسده لم يكن له شخصية متميّزة. وقد دعى أور يجينوس الاسقف لكي يرجعوه إلى العقيدة السليمة. وقد نجح في مهمته بل أكثر من ذلك، أصبح هو وبيريللوس صديقين.

ومن جهة أخرى ان مطارنة الديار العربية كانت قد رفضت، عدة سنين من قبل، وباتفاق مع مطارنة فلسطين وآخيا Achaia ان يشتركوا في إدانة أور يجينوس التي اصدرها مجمع الاسكندرية. وفيا بين ٢٤٠ و٢٤٩ استدعوه من جديد ليدحض بدعةً متصلة بخلود الروح. وقد ذهب البعض إلى نفي هذا الخلود. وكان القديس اغسطين يسمي أصحاب هذه البدعة «العرب» arabici فانعقد سينودس مكوّن من ١٤ مطراناً. غير اننا للأسف لا يوجد لدينا قائمةُ الكراسي الاسقفية لهؤلاء الاساقفة. والنتيجة التي نستطيع الوصول إليها من جميع هذه التفاصيل هي انه كان يوجد في منطقة بصرى وعند اليدوميين Iduméens في جنوب البحر الميّت جماعات مسيحية منظمة.

وقد كتب القديس ديونيسيوس Denys الاسكندري - وهو اسكندري مثقف ثقافة يونانية - رسالة إلى البابا اسطفانوس (٢٥٤ - ٢٥٧) ذكر فيها الإعانات والرسالة التي ارسلتها كنيسة روما إلى كنائس الديار العربية.

إن وجود هذه العناصر العربية في الأوساط المثقفة - سنبحث فيا بعد ماهية هذه الثقافة - لم تقف عند رجال الدين فحسب، فمنذ سنة ٢٤٤ لغاية ٢٤٩، كان على الكرسي الامبراطوري مسيحي أصله عربي وهو فيليوس زوج أوتاسيليا سفيرا Otacilia Severa. نعم، من الوجهة الرسمية حذا حذو سابقيه وخلفائه. فقد قام بواجبات وظيفته وتصرف تصرف أمبراطور وثني. ولكنه بالرغم من ذلك لم يجحد عقيدته المسيحية. فعندما كان ماراً في انطاكيا يوم سبت النور سنة ٢٤٤، ذهب إلى الكنيسة ليحضر صلوات عشيّة عيد الفصح مع العلم بأنه لم يكن بدون لوْم. ولذا لم يقبله رئيس الجماعة الدينية «المطران بابيلاس Babylas» الذي مات فيا بعد شهيداً، إلاّ في وصف التائبين وبعد اعتراف خطاياه. وقد اذعن الامبراطور لشروط المطران كما اضطرت الامبراطورة أن تخضع لنفس الشروط.

وقد تراسل الامبراطور وزوجته مع اوريجينوس مراسلة يتكلم فيها أوريجينوس بثقة السلطة العقائدية. يظهر أن الامبراطور العربي كان مسيحياً مولداً. ففي سنة ٢٤٤ شُيِّدَت مدينة في موقع هو الان «الشهبة» على حدود الحوران واللدجة، وهو مسقطرأس الامبراطور. وقد أخذت المدينة اسم فيلبوس عندما أُضيف على العاصمة بصرى لقب «البلد الأم».

وقليلاً بعد ذلك سبّبت بدعة بولس الشمشيطي Paul de Samosate عَقْد ثلاثة مجامع في انطاكيا، وهي مدينته الاسقفية فيا بين ٢٦٣ إلى ٢٦٨. ومن أهم المطارنة الذين حضروا هذه المجامع كان ماكسيم البصرى. وفي نفس الوقت الذي كان فيه بولس الشمشيطي مطراناً لانطاكيا، كان أيضاً

وزيراً للزباء Zènobie ملكة تدمر الشهيرة وأمين سرّها. كانت الزباء أرملة ملك تدمر سبتيموس اوديناتوس Septimius Odenathus. وقد اغتال هذا الملك ابنه وأحد أقربائه نتيجةً لخلافات سياسية نشأت منذ القسم الاول من القرن الثالث، كانت الخلافات الموجودة بين الموالي الذين كان الفرس والرومان يتنازعونهم، تلعب دوراً في نفس التاريخ الديني للديار العربية.

بعد وفاة أوديناتوس، استولت زوجته الزباء على زمام الحكم في تَدْمر كوصيّة على ابنه وادبلاتوس اثينودورس Ouadaballatus Athenadorus (نسبةً إلى الالهة العربية اللات، والالهة اليونانية اثينا). أخذت تركة زوجها منذ ٢٦٠ وكانت انطاكيا تخضع لها: وأصبح بولس الشمشيطي وزيراً لماليتها. لم تكن الزباء مسيحية ولكنها كانت كثيرة التسامح. كانت تقدّر اليهودية كثيراً ولعل هذا هو الذي حثّ بولس الشمشيطي على الانحياز إلى بدعته، تقرّباً لها. حتى بعد إدانة بولس احتفظت له بثقتها. كانت، في البدء، صلتها طيبة مع الامبراطور اورليانوس Aurelianus ولكن لم تلبث أن دخلت بنضالٍ معه. وهُزمت سنة ٢٧٢ بعدما انتظرت بدون جدوى المعونة من مواطنيها.

حوالي سنة ٢٩٥، أدخل ديوكلسيانوس Diocletianus اصلاحاً إدارياً وسّعت الديار العربية في الشمال على حساب مقاطعة سوريا فينيقيا. وحول سنة ٣٥٨ أُجْريت تعديلات على حساب منطقة فلسطين. والذي يهمنا هنا هو أن نشير الى أن اضطهاد ديوكلسيانوس وجاليريانوس امتدّ أيضاً الى مسيحيي الديار العربية. ويذكر كتاب الشهداء الروماني ليوم ٢٢ فبراير الشهداء الذين قتلوا بالخنجر، ويذكر أيضاً أسماء آخرين مثل كيرلس واكويلا وروفس ومناندر والقديسة تيريزا البُصرْية. والنص الأسامي الخاص بهؤلاء الشهداء هو نص المؤرخ ازوبيوس في كتابه «التاريخ الكنسي». وهو يتكلم أيضاً مطولاً عن المسيحيين الذين أُجبروا على العمل في مناجم. «فاينو» أو فونون Phounon – Phaino. وقد وجد العلامة لاجرانج Largrange آثار هذه المناجم في خربة فنان.

إن عدد المثقفين كان كبيراً لدرجة أنهم طلبوا من السلطات الدينية أن يكرّس لهم، من بين الكهنة المنفيين معهم مطواناً. ولكن حالما وصل إلى علم الرومان خبر انشاء هذه الكنيسة الصغيرة، أسرعوا إلى تبديدها.

وأدخل مجمع خلقيدونية Chalcèdoine تغييرات في تنظيم الابراشيات. فالثلاث مقاطعات المسماة «فلسطين» Palestine والتي كانت جزءاً من مقاطعة «أرابيا» أُدْمجت في بطريركية اورشليم الحديثة النشأة. واعترف بانتماء المقاطعة الكنسية العربية إلى بطريركية انطاكيا.

وهناك عدد كبيرٌ من بقايا كنائس في المدن وفي الأرياف ومن النقوش يطلعنا على مراكز الكراسي المطرانية والمطارنة. والدرجات الكهنوتية الأخرى.

وقد خصّص المؤرخ القدير دفريس Devresse كتاباً هو آية في البحث العلمي، لدراسة بطريركية انطاكيا منذ السلام التي ساد الكنيسة حتى الفتح العربي. وقد استوعب جميع التفاصيل التي تساعد للتحديد الدقيق للدوائر المختلفة الداخلة في نطاق هذه البطريركية. وقد خصّص باباً لدراسة مقاطعة الديار العربية.

وبجانب العقيدة الرسمية التي كانت أساس دين الدولة. انتشرت عدة بدع ذكرها أبيفانوس Epiphanus في كتابه «باناريون» Panarion.

ويجب ألاّ نخدع بتسمية الديار العربية التي الصقت بهذه المقاطعات. نعم كان من بين سكانها أعراب خلص، بخاصة بين البدو وسنتحدث عنهم بعد قليل، ولكن في الأوساط المثقفة وبخاصة في مراكز المدن، كان معظم السكان من أصل يوناني وروماني وسوري. وفي المدن كان العنصر الهلنستي يكوّن الجزء الأكبر من حيث التطوّر الاجتماعي والعقلي. فيا ان دخل الوطنيون العرب في القيادات الكنسية حتى اندمجوا في الثقافة اليونانية فالمطران طيطوس Titus (نحو ٣٦٣) وانتيباتر Antipater (نحو ٤٦٠) وحتى اصطفانوس Etienne (نحو القرن السادس) كانوا يكتبون باليونانية.

بعد انتصار المسلمين في اليرموك سنة ٦٣٦، وقعت «مقاطعة الديار العربية» بدورها، في ايديهم. كانت بُصْرى أول مدينة يونانية رومانية تسلم أمرها إلى الفاتحين سنة ٦٣٤ وقد حاول النظام الكنسي أن ينسجم مع الحالة الجديدة. لم تنقطع حركة تشييد الكنائس سنة ٦٣٣ و٦٤١ و٦٥٢. وفي سنة ٦٤٩ كتب البابا مرتينوس Martinus الاول لثلاثة مطارنة يوحنا Joannes وتايدوروس Theodoros وانطونيوس Antonios بخصوص بدعة المشيئة الواحدة. ومع هؤلاء المطارنة الثلاثة، تنتهي قائمة المطارنة المعروفين لمقاطعة «الديار العربية».

كيف كانت تعمل هذه الكنائس الموجودة في المنطقة السورية العربية؟ فقد حاول المؤرخ الشهير هارناك Harnack في كتابه «الكرازة المسيحية وانتشارها» مستنداً على كتاب «تعليم الرسل» Didascalée des Apôtres، أن يعطينا صورة لما كانت عليه كنيسة من هذه الكنائس.

فعلى رأس كل كنيسةٍ يوجد أسقف وفي يده كل السلطة في نطاق ابرشيته. والسنّ القانوني للقيام بهذه المهمة هي خمسون سنة وتتركز فيه السلطة الكهنوتية.

وللأسقف معاونون هم الشمامسة يُساعدونه في التعمير ومراعاة النظام في الكنيسة ويوزّعون الصدقات ويزورون المرضى، هذا كله تحت اشراف الأسقف.

وبجانب الشمامسة يوجد مساعدو الشمامسة، والفقراء ومغانيون، وسيدات أرامل شماسات. فالفقراء كثيرون في الكنيسة فلا بد من إعانتهم بواسطة جمع المال من الأثرياء. ولكن لا تُقبل عطاءات الأثرياء الفاسقين أو الذين يقرضون بالربا أو من البخلاء او الخشاشين أو صانعي الأصنام.

واذا نشب خلاف كان يرفع أمام الأسقف ومفضل يوم الاثنين بحيث يتسنى للمتقاضين أن يصطلحا فيستطيعان حينئذ ان يشتركا في تقديم القربان المقدس الذي يقام يوم الأحد. والاربعاء والجمعة يوما صيام. ويُنْصح للمؤمنين اجتناب أصحاب البدع.

لقد تحدثنا حتى الان بخاصة عن سكّان المدن في داخل «المقاطعة الرومانية للديار العربية» لم يكونوا وحدهم الذين يعيشون في كنف روما، إذ كانت هناك قبائل رُحَّل يسميها اليونانيون «ساراكينوي» Sarakenoi كان من المتعذر إخضاعهم تماماً للنظم الرومانية التي تتطلب قبل كل شيء مدينة. ولذا لجأ الرومان إلى طريقة أخرى: كان يُترك للقواد العرب قيادة قبائلهم على شرط أن يخضعوا للسلطة الرومانية. فكانوا من الوجهة العسكرية، خاضعين للسلطة الرومانية وكان يُسمى هؤلاء القواد، زمن الوجهة الادارية «فيلارك» Phyllarque وقد وُجد منهم، لمدة، في فلسطين وفي الأديار العربية. وعندما تعدّدت هذه الجماعات العربية نُظمت تحت إدارة واحدة.

وأقدم الأخبار الخاصة بالفيلاركيات المسيحية، تعود إلى القرن الرابع. فقد ذكر المؤرخ سوزومين Sozomène فيلاركاً اسمه «زوكوم» كان هذا القائد تعيساً لأنه لم ينجب أولاداً. فاتصل براهب دعا له وعده بذرية إذا اهتدى إلى المسيحية. وفعلاً انجب زوكوم فاهتدى إلى المسيحية هو وقبيلته.

وقد ذكر كيريلوس السيتوبوليس Cyrille de Scytopolis في ترجمته للقديس أوثيموس الكبير Euthyme، اهتداء فيلارك آخر. في سنة ٤٢٠ قدمتْ قبيلة عربية على رأسها أسبيبت Aspebet وضربت خِيَمَها في جوار خلوة أوثيموس. كان اسبيبت أولاً في خدمة الفرس. ولكن اضطهد قائدهم يازدجرت Yazdagert المسيحيين وطلب من القائد العربي أن يقبض على المسيحيين الذين يحاولون المرور عبر الحدود. ففضّل أسبيبت الرحيل. وكان ابنه الصغير مُصاباً بالشلل فطلب الوالد من اوثيموس ان يشفيه ففعل وبعد هذه المعجزة اعتنقت القبيلة كلها المسيحية. ونفس قائدهم أسبيبت عُمّد وسُمّي بطرس وأصبح فيا بعد اسقفاً سنة ٤٢٧ .

وأخذت أبرشيّته اسم «بارامبولاي» Parembolai من اللاتيني Castra بمعنى معسكر، وكان مركزه قريباً من دير أوثيموس حيث كان يتردّد عليه البدو المسيحيون. وقد اشترك أسقف البارامبولاي في مجمع أفسس (٤٢٧) وكان واحداً من الاعضاء الذين أوفدوا إلى بطريرك انطاكيا والى نسطوريوس. وقد قام بتشييد كنيسة وملحقاتها في خلوة Laure أوثيموس. وبعد وفاته، عُيّن ابنهُ وعمه فيلاركا. لكن لم تحظ خلوة اوثيموس دائماً بالسلام: فقد اغارت عليها قبائل للنهب والسلب وسبّبت لها أضراراً جسيمة فاضطر المسيحيون أن يبحثوا عن مأوى أكثر هدوءاً. وأخيراً بدّدهم الفيلارك الفارسي منذر الثالث من الحيرة سنة ٥٢٩. وتوفي أوثيموس في نفس السنة.

وكان من بين تلاميذه عددٌ غير قليل من العرب فمنهم إليّا بطريرك يورشليم الذي توفي سنة ٥١٨ استشهاداً لعقيدته الخليكدونيّة واصطفانوس، تلميذ اوثيموس في خلوته (٥١٤ ـ ٥٣٤).

وكانت خلوة أخرى من البدو المسيحيين في «فينيقيا الثانية» وكان أوسطاطا، أسقفها، عضواً في مجمع خلقيدونة وقد بقيت جنوب فلسطين، فترة من الوقت تحت امرة فيلارك، امرؤ القيس، العمّ الكبير للشاعر الجاهلي الشهير، ويمكننا أن نرى نشأة «البَارَمْبولا» الفينيقية عند تعميد ثلاثين الف من السكان، في أوائل القرن الخامس، على يد نونوس اسقف هيليوبوليس. .

وأخيراً يجب ان نذكر وجود أسقف في جزيرة يونابي هذه الجزيرة التي اسمها الآن تيران، في مدخل خليج العقبة، كانت مركزاً مهماً للمرور التجاري، ولتحصيل العوائد الجمركية. جاء عربي اسمه أموركيسوس، وكان قد هاجر من الاماكن الخاضعة لملك فارس، وأقام فيها سنة ٤٧٠، بعد ان طرد الممثلين الرومان. وسنة ٤٧٣ أرسل اسقفه، المسمى بطرس إلى الامبرطور ليون، لكي ينال وظيفة فيلارك مقاطعة عربية «البطراء» Arabie pètrée استحضر ليون الأمير وأعطاه السلطة ليس على «يوتابه» Iotabè فقط بل على أماكن أخرى. في سنة ٤٩٨، استولى رومانو قائد الامبراطور انسطاس، على الجزيرة، ولكن بقيت الأسقفية قائمة، ففي مجمع أورشليم سنة ٥٣٦ كان من بين الأعضاء، أسقف جزيرة يوتابه، أسمه «أنسطاس» (دوشين)

الفصل الثاني

الغساسنة

وقد اتخذت احياناً هذه الفيلاركية كياناً اكبر. فحاول الفرس والبيزنطيون ان ينشئوا ممالك صديقة تلعب دور«دول حاجزة» والذي كان يثير اهتمام الدولتين الكبيرتين هو حالة الحدود التي تفصلها عن العرب فكانتا حريصتين لكي يستتب فيها الهدوء والسلام وتكون قوية بحيث تستطيع رد الغزوات. ونتيجة لهذه الفكرة، انشئت، في كل جانب من صحراء سوريا الفاصل بين الدولتين، مملكتان: الأولى عربية رومانية الفاصل بين الدولتين، مملكتان: الأولى عربية رومانية وهي دويلة الغساسنة في الحدود الشرقية والثانية، عربية فارسية، على الحدود الشرقية، وهي دويلة اللخميين وعاصمتها الحيرة.

اما الغساسنة فيرجع اصلهم الى قبيلة جفنة وقوامهم عرب سوريا الذين كانوا قد هاجروا من اليمن. وكانوا مرتبطين بالامبراطورية الرومانية منذ القرن الرابع وكانوا قد لعبوا دورهم كدولة حاجزة ضد القبائل العربية السالبة وضد الفرس.

ولا يخلو تاريخهم من الغموض اذ معلوماتنا الأكيدة عنهم ترتفع الى القرن السادس فقط: قبل الحارث بن جبلة، نحو سنة ٥٦٨. من جوستنيان لقب بطريك Patrice ، وبالنسبة الى مواطنيه«ملك» كانت تمتد دولته شمالاً الى الفرات وجنوباً الى بطراء مع بدو بمقاطعة البلاد العربية. وأما دمشق وتدمر وبُصرى فكانت خارج سلطته وتحت الادارة المباشرة للبيزانطيين.

لم تكن«دولة» الغساسنة مملكة بمعنى الكلمة وكانت عاصمتها، تسمى بالسريانية «حرْتـه» ومعنى الكلمة «معسكر» التي اصبحت بالعربية الحيرة. . : وكانت تنتقل مع الملك كما كان شأن أزمل عبد القادر في الجزائر في القرن التاسع عشر. وكان من شأن هذه المملكة ان تكون في حالة حرب دائمة. هزم اللخميُ المنذر منافسه الحارث وأسر ابنه وقدّمه قرباناً الى الالهة العزّة مما يدلّ على خشونة الاخلاق في تلك الايام. ولكن قد أخذ ثأره الغسّاني في سنة ٥٤٦ وهزم نهائياً عدوّه سنة ٥٥٤.

ولا يخلو تاريخهم من الغموض إذ معلوماتنا الاكيدة عنهم ترتفع الى القرن السادس فقط وقد اعتمد اكثر من رتّب اسماء امراء الغساسنة على رواية ابن الكلبي غير انهم تصرفوا فيها فزادوا عليها او نقصوا منها. فجاءت النتيجة قوائم متعددة مختلفة.

وقد درس نولدكه Noeldeke معظم القوائم التي وردت عند المؤرخين لامراء الغساسنة ونقدها وغربلها وقارنها بما ورد في المصادر السريانية. وقد نشر نتيجة بحثه في رسالة تحت عنوان رسالة امراء

غسّان من آل جفنة، نقلها الى العربية وأضاف اليها تصحيحات الدكتور بندلي جوزي والدكتور قسطنطين زريق واستخلص من تلك الدراسة هذه القائمة:

١ ــ ابو شمر جبلة. حكم حوالي سنة ٥٠٠ م تقريباً.
٢ ــ الحارث بن جبلة استمر حكمه من حوالي سنة ٥٢٩ حتى سنة ٥٦٩م.
٣ ــ ابو كرب المنذر بن الحارث. حكم من سنة ٥٦٩ حتى ٥٨٢م.
٤ ــ النعمان بن المنذر. وكان حكمه من سنة ٥٨٢ حتى سنة ٥٨٣م.
٥ ــ الحارث الأصغر بن الحارث الاكبر.
٦ ــ الحارث الأعرج بن الحارث الاصغر.
٧ ــ ابو حجر النعمان بين سنة ٥٨٣ وسنة ٦١٤م.
٨ ــ عمرو.
٩ ــ حجر بن النعمان.
١٠ ــ جبلة بن الأيهم. حوالي سنة ٦٣٥م.
(انظر جواد علي، المفصّل. . جـ٣، ص ٤٤٤).

ان الغساسنة نزحوا من جنوب جزيرة العرب الاقصى وقد اجمعت الاحاديث التاريخية والشعراء المعاصرون على ان جد اسرة الغساسنة هو جفنة. فالنابغة الذبياني دعا احد امراء هذا البيت بـ «الحارث الجفني وأطلق حسّان اللقب نفسه على امير آخر من امراء هذا البيت وسمى العائلة بأسرها. اولاد جفنة «وآل جفنة».

وكثيراً ما يدعى جد هذه الاسرة ايضاً «ثعلبة» ومن المرجح ان تكون ام الامير الكندي، «الحارث الثعلبي» التي هي جدّة الملك الشاعر امرىء القيس ــ حوالي سنة ٥٠٠ ــ احدى بنات هذا البيت.

يروي حمزة الأصفهاني الذي وضع تاريخه حوالي سنة ٩٦١م ــ جملة اخبار تتعلق بملوك غسّان الاقدمين فيرجع نسبهم الى جفنة ويعينّ سني حكم كل منهم. غير ان ليس للائحته هذه اهمية تاريخية تذكر ونفس الشيء يقال بالنسبة الى المصادر العربية الاخرى (ابن قتيبة) التي لا تستند الى وثائق يطمئن الباحث اليها (انظر ملاحظات جواد علي (جـ٣) في هذا الصدد.

يستفاد من أخبار العرب ان بني جفنة استولوا على الحكم في سوريا بعد ان انتصروا على «الضجاعمة» من قبائل سليح. والضجاعمة هم سلالة «زوكوموس» الذي عاش في اواخر القرن الرابع للمسيح وكان عاملاً (شيخ قبيلةPhylarque) لدى الروم في سوريا في زمن ازدهار سلطتهم.

ويؤخذ من رواية ابن خلدون ان الحلقة الرابعة بعد ضجعم كانت آخر حلقات هذه الأسرة. ولا شك ان اسم ذود اللثق الذي ينسب اليه «دير داود»، يدل على رجل مسيحي كان فيما يظهر عاملاً للروم في ذلك الوقت.

يقول حمزة وابن قتيبة ان اول امير جاء بالغسانيين الى سوريا هو ثعلبة بن عمرو وهو ما تؤيده الروايات القديمة، ولا شك في ان اول امراء الغساسنة وأعظمهم شأناً هو الحارث بن جبلةAretas tou Gabala. وقد حدّث المؤرخ السرياني ملاّلا Malalas ان الحارث بن جبلة حارب المنذر امير

الحيرة وانتصر عليه في شهر ابريل سنة ٥٢٨ ولا ريب في ان عامل فلسطين الذي ابلى بلاءً حسناً في قمع ثورة السامريين سنة ٥٢٩م هو الحارث بن جبلة هذا.

يذكر بروكوبيوس (Procopius) في تاريخه ان الامبراطور يوستنيان رقّى الحارث بن جبلة الى رتبة ملك وبسط سلطته فوق قبائل عربية متعددة وهو يريد بعمله هذا ان يقيم خصماً قوياً في وجه عملاء الفرس من العرب اي اللخميين. وفي شهر مارس من السنة نفسها (٥٢٩) غزا المنذر الحيري سوريا وعاث في الأرض فساداً دون ان يصيبه عقاب ما.

وجدير بالذكر ان الوثائق التي تمثل لغة الحكومة الرسمية المستعملة حينذاك لم تكن تطلق على الحارث او خلفائه سوى لقب «بطريق» Patricius مصحوباً بنعت من النعوت التابعة لأحد هذين اللقبين. وقد ورد اللقب الكامل في نقش يرجع الى ابن الحارث وخليفته بهذه الصورة: «فلابيوس المنذر البطريق الفائق المديح ورئيس القبيلة». وجاء في كتابة اخرى ترجع الى صيف سنة ٥٧٨ ما يأتي: «أو على المنذر البطريق الفائق المديح». وقد اسند المؤرخ تيوفانس، سنة ٥٦١ الى الحارث لقباً رسمياً بالصورة التالية: «الحارث البطريق ورئيس القبيلة» (Patricius Et Phylarcius).

وهذا اللقب الرسمي عينه ورد في تقارير المجامع الكنائسية التي انعقدت تحت رعاية الحارث وخليفته وقد حفظته لنا الترجمة السريانية التي وضعها أحد علماء ذلك العصر الثقات في زمن كتابة التقارير أو بعد ذلك بزمن قليل.

ويشير نولدكة (ص ١٤) إلى ان لقب «ملك» كان يطلق عند البيزانطيين على القيصر فقط. على ان لقب «بطريق» كان لقباً سامياً جداً فرتبة البطاركة كانت أرقى من رتبة القناصل وعلاقتهم بالقيصر تشبه علاقة الكرادلة بالبابا.

منذ سنة ٥٣٦ م أصبح اسم "phylarch" (رئيس او شيخ القبيلة، عامل) اللقب العادي الذي يُعْرف به صاحب السلطة في ولاية بلاد العرب ولكن كانت سلطة هذا العامل مقيّدة بسلطة الحكام المدنيين والحربيين المعينين من طرف الحكومة المركزية. وكانت سلطة العامل الأكبر من آل جفنه تمتد إلى تدمر وما وراءها.

وفي أواخر العقد الثالث من القرن السادس قامت بين الحارث وبين المنذر، أمير الحيرة حرب على أرض واقعة جنوبي تدمر. وكانت هذه الحرب من الأسباب التي عادت فأجّجت نار المنازعات بين الدولتين بعد أن كادت تنطفىء.

وفي سنة ٥٤١ حارب الحارث في العراق بجانب الروم تحت قيادة بليزاريوس Bélisaire وعبر نهر دجلة على رأس جيشه ثم عاد فارتد إلى مركزه السابق بدون نتائج تذكر مما جعل البيزانطيون يشكون في إخلاصه للقيصر.

وحوالي سنة ٥٤٤. عاد الأميران العربيان إلى القتال ووقع في هذه الحرب أحد أبناء الحارث في يدي المنذر - الذي كان لا يزال وثنياً - فقدمه ذبيحة للالهة افروديت اي العُزّي مما يدل على خشونة الأخلاق في تلك الأيام. وقد استمر القتال بين الاميرين إلى أن أحرز الحارث بن جبلة انتصاراً حاسماً في شهر يونيو سنة ٥٥٤ في معركة وقعت بينهما بالقرب من قنسرين (Chalcis). وقد حدثت هذه المعركة بالقرب من «الحيار» وقد قتل فيها المنذر ماء السماء الحيري. وقد سمي الحارث بن حلّزة هذه المعركة في معلقته الشهيرة «يوم الحيارين» (البيت ٨٢). ويؤكد نولدكه (ص ٢٠) ان هذه

المعركة هي نفس المعركة الشهيرة المعروفة بـ «يوم حليمة» وان حليمة هنا هو اسم مكان لا اسم امرأة كما يفسره عادة كتبة العرب. ويضيف العلامة الالماني: «اما ما يرويه كتبة العرب من التفاصيل عن هذه المعارك فهو جميل جداً وله ميزته الخاصة ولكنه ليس من التاريخ في شيء. . . .» (ص ٢٠).

وقد سافر الحارث إلى القسطنطينية في نوفمبر سنة ٥٦٣ ليفاوض حكومة القيصر فيمن يخلفه من أولاده في عمالته على سوريا وما يجب اتخاذه لمقاومة عمرو ملك الحيرة. وكان لما شاهده في العاصمة وقع عظيم في نفسه كما انه أحدث هو بدوره تأثيراً قوياً على سكان العاصمة.

وكان الحارث من انصار المذهب المونوفيزيتي (أصحاب الطبيعة الواحدة) وكان قد اعتنق هذا المذهب معه تقريباً كل قبيلته وعضدّ اليعاقبة السريان وعند زيارته الى القسطنطينية طلب من تيودوراTheodora تعيين أسقفين كرّسهما بطريرك الاسكندرية: يعقوب البردعي وتيودورس أساقفة في القاطعات السورية العربية وقد حصل يعقوب على الرها كمركز اسقفيّ مع سلطة قضائية على سوريا والديار العربية. اما سلطة تيودورس القضائية فكانت تمتد الى الديار الغربية وفلسطين ومركزها الحيرة. فكان في حقيقة الأمر اسقفاً متجولاً. فتوطدت بذلك دعائم الكنيسة القائلة بالطبيعة الواحدة بعد ان كانت مهدّدة بالخطر. ان جميع المحاولات التي بذلها الارثوذوكس، وبخاصة البطريرك الأنطاكي افريم (٥٢٦ - ٥٤٣) لهداية الحارث قد باءت بالفشل اذ قد عضّد الحارثَ عدد كبير من الأديرة المنتشرة في دياره.

توفي الحارث بن جبلة سنة ٥٦٩ أو في أوائل سنة ٥٧٠، فيكون قد حكم كعامل أكبر مدة أربعين سنة على أقل تقدير. وقد ذكر اسمه في الوثائق الكنسية لسنتي ٥٦٨ و ٥٦٩ حتى ربيع سنة ٥٧٠ حين بُدىء بذكر ابنه المنذر.

وعند وفاته استلم زمام الحكم ابنه المنذر بن الحارث وسرعان ما هبّ لمحاربة عرب الحيرة اللخميين، عُمال الفرس. الذين كانوا قد أغاروا بعد وفاة أبيه على سوريا. فانتصر عليهم في يوم الصعود ٢٠ مايو ٥٧٠ اثر المعركة المعروفة بـ «عين أباغ» التي أكثر الشعراء العرب من ذكرها، ذلك لانها وقعت في نقطة بعيدة شرقي سوريا وكأن الامير الغساني كاد يصل إلى الحيرة عاصمة اللخميين.

وكان المنذر بن الحارث متحمساً لعقيدته وبذل مثل أبيه، نفس المجهود، للدفاع عن الموتوفيزية. كان يشترك شخصياً في المناقشات الدينية. وقد عُقد في أوائل حكمه وتحت رعايته الخاصة مجمع كنائس نظر في بدعة المعتقدين بثلاثة آلهة(Tritheishre) وحكم عليهم بالهرطقة. وقد بقيت وثيقة من الاساقفة لهذا الزمن ثمينة لانها تعطي توزيع المراكز الاسقفية في هذا العهد. ويستنتج من بعض المراسلات انه كان يوجد في حاشية الملك المونوفيزي بعض أنصار عقيدة خلقيدونيا (اي الملكيون).

في النضال ضد اللخميين الموالين للفرس، انهزم أحياناً الرومان. فأثار هذا غضب روما. فأقالوه وقبض عليه بمناسبة ذكرى تدشين كنيسة ونفوه إلى صقلية سنة ٥٨١. وكان لابنه نعمان الذي خلفه نفس المصير مما يدلّ على ان الثقة بين روما والغسانيين كانت قد انعدمت. فحلّ الرومان هذه الدويلة واختار بعض القبائل قواداً لتقودها وحاولت ان تعيش حياةً مستقلة. وانضم البعض الآخر إلى الفرس فعندما هجمت الجيوش الاسلامية على سوريا لم يتصدّ لها أحد.

سنرى فيما بعد مشكلة الأدب العربي المسيحي، ولكن يجدر بنا منذ الآن أن نبدي بعض الملاحظات لأننا إزاء نقطة حسّاسة تخصّ التقاء قوميّتين: القوميّة العربية والقومية السورية.

ألمح الأب لامنس Lammens ، في كتابه عن سوريا. على «استمرارية القومية السورية ووحدتها» (جـ ١ ، ص ٥). فقد تلقّت سوريا وتمثلت الأشوريين والبابليين، والمصريين والحثيين Hittihes واليونان والرومان. وفيما بعد «ابتلعت» أيضا العرب والصليبيين

منذ القرن الثاني للمسيحية، استوطنت العرب في سوريا. فقد شدّتها إليها خصبة الأراضي السورية العجيبة، وهي «بلاد النبيذ والخميرة». وأنشأوا إمارات في حمص وتدمر، وبطراء. وفي خوانق لبنان Artiliban وفي جنوب الشام Damascin ، وفي البراري الحوران البرقانية. ولم يلبثوا أن يتمثلوا لغة السوريين وحضارتهم. وعبادتهم فأسماؤهم وأسماء آلهتهم هي أحياناً آرامية. وكانوا يستعملون اللغة الآرامية في مراسلاتهم الديبلوماسيّة. والابنية الأثرية التي شيدوها في تدمر وبطراء تعتبر من أجمل منتجات الفنّ السوري القومي.

وإننا لنجد نفس الحادث عند الغسانيين قد «تسرينوا» بسرعة. أولاً مسيحيين باعتناقهم الدين الرسمي في سوريا. فسمّاهم مواطنوهم «سوريين»، بل «ملوك سوريا» وفي القرن السادس والقرن السابع اللذين يمثلان ازدهار الشعر العربي القديم لا نجد أي اسم من القبائل المستوطنة في سوريا. ولهذا كان الغساسنة عندما يريدون إحياء اعيادهم والاحتفاظ بأثرهم على العالم العربي، كانوا يستدعون من أعماق نجد والحجاز بشعراء مثل الأعشى والنابغة وحسّان. هل معنى هذا أن عرب سوريا لم يكونوا موهوبين مثل أقاربهم في الصحراء؟ في الواقع ان تمثيلهم للحضارة السورية قد اضعف تمكنهم من اللغة فأصبحوا غرباء بالنسبة للغتهم القديمة. فلم يكونوا يتكلمون إلا لغة عربية ركيكة تمتزج فيها التعبيرات السورية (انظر غاني جـ ٢٠ ، ص ١٢٧).

الفصل الثالث

اللخميّون

وكان أيضاً للفرس، على الحدود الشرقية للصحراء الممتدة بين سوريا والعراق عملاء هم اللخميّون. كانت عاصمتهم مدينة الحيرة. وهي كانت تقع في شمال الكوفة على الضفّة اليمنى من الفرات. كانت الحيرة منذ البداية مركزاً للقبائل العربية المجاورة. كان البعض منها قد احتفظ بطابع حياة الترحال وكانت لا تأتي في النقط الحضارية إلاّ في فترات محدّدة. والبعض الآخر كان قد استقر فيها واهتدى إلى المسيحية وسميت العباد أي عباد الله. ولعل أصل هذه القبائل المستقرة يرجع إلى مدة إقصاء المسيحيين من فارس في القرن الثالث.

وفي بداية القرن الخامس، كانت الحيرة مركزاً للأبرشية: وقد اشترك المطران الذي كان على رأسها، واسمه هوشع في مجمع سلوقية. ولكن لم تكن الحيرة نفسها جزءاً من المملكة الساسانية.

في هذه الفترة، كانت تعيش هذه المنطقة تحت التأثير القوي للقديس شمعون العمودي. فكان يعيش هذا الناسك على قمة عمودٍ في المنطقة الرومانية في جبل سمعان. وكان يعطي نصائح للذين كانوا يأتون من أطراف جزيرة العرب لاستشارته كما كان يفضّ المشاكل ويعمل المعجزات. وتخوّف النعمان ملك الحيرة من هذا التأثير وخشي أن يحوّل ضد فارس وكان على وشك ان يمنع سمعان من مواصلة دعوته. ولكن، على ما جاء في بعض الأخبار، ظهر له القديس في منامه، واقنعه بأن يترك المسيحيين أحراراً لمزاولة دينهم. فعمل النعمان بأمره وسمح لرعاياه المسيحيين ببناء الكنائس.

وفي عهد خلفائه المنذر (٤١٨ - ٤٦٢)، والأسود (٤٦٢ - ٤٨٢) المنذر والنعمان الثاني، شُغِل اللخميّون بمحاربة البيزانطيين. وقد ساهم، غير مرّة، أثناء القرن الخامس، مطارنةُ الحيرة في المجامع التي رأسها المطران الأعظم (كاتوليكوس) Séleucie (في السنوات ٤٢٤ و ٤٨٦ و ٤٩٧). وقد ربطت هذه المجامع مصير الكنيسة عند اللخميين بالنساطرة. نعم قد حاول أصحاب الطبيعة الواحدة، في بداية القرن السادس، أن يُدخلوا آراءهم. وفي الحيرة فقد جاء سمعان بنفسه، وهو الذي أصبح فيما بعد، مطران بيت ارصم Arsam. ويقال انه استطاع ان يكتسب بعض الأشخاص لمذهبه وان يشيد كنائس. وقليلاً بعد ذلك، في سنة ٥١٣، أرسل سريروس الانطاكي مطرانين من أنصار الطبيعة الواحدة إلى المنذر الثالث (٥٠٥ - ٥٥٤). وقد ذكر بعض المؤرخين اليونانيين (تيودورس Theodoros، زوناراس Zonaras) محتوى حديثهما - ولكن يُشَكّ في صحته. فتقول الرواية ان المطرانين تحدثا مع الملك العربي فأصغى إليهما ثم فجأةً أخذته كآبةٌ عميقة عندما علم أن رئيس الملائكة ميخائيل قد مات. فطمأنه المطرانان وقالا له ان الملاك ليس خاضعاً للموت. فأجاب

المنذر: إنّ ما هو أكثر صعوبةً للايمان به القول بان اللاهوت المتحد بماهية المسيح، بطبيعةٍ واحدةٍ، قد مات على الصليب. فلم يواصل المطرانان المونوفيزيّان الحديث وبقيت مملكة الحيرة نسطوريةً. انظر باردي وبريهيه (Bardy et Bréhier) في تاريخ الكنيسة لفليش ومارتان (Fliche et Martin)، (الجزء الرابع، ص ٥٢٠).

والغريب في الأمر أن الملك نفسه قد بقي وثنياً بالرغم من انه كان متزوجاً هذه المسيحيّة. فكان يقدم إلى آلهته قرابين بشرية حيّة... فقد قدم، مثلاً، إلى الالهة عزّة، سنة ٥٤٤. ابن الغساني الحارث وكان قد قبض عليه أثناء رحلةٍ قام بها الحارث للبحث عن مرْعىً. ومرةً أخرى استولى على اربعمائة راهبة في حمص وقدمهنّ قرابين بدون أي رحمة. ولعل زوجته هند أرادت أن تكفّر عن جريمة زوجها عندما اسّست ديراً في الحيرة. وقد ترك لنا ياقوت في كتابه نص التقدمة:

«بنَتْ هذه البيعة هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر، الملكة بنت الأملاك، وأم الملك عمرو بن المنذر، أمة المسيح وأمّ عبده وبنت عبيدة، في مُلْك ملك الملوك خسرو انشروان، في زمان مار أفريم الأسقف. فالاله الذي بنت له هذا الدير يترحم عليها وعلى ولدها ويقبل بها وبقومها الى أمانة الحق، ويكون الله معها ومع ولدها الدهرَ الداهر». تجدها في تاريخ مدينة الله انطاكية العظمى للدكتور أسد رستم (ذكرها حداد ص ٥١).

أما أول ملك اعتنق المسيحية هو النعمان الثالث، بعد ٥٧٠. كان قد تلقى تربية مسيحية في قبيلة بني تميم المسيحية وكانت هذه التربية سطحية إذ لم تمنعه من أن يتخذ أكثر من زوجة وان يحتفظ ببعض الأخلاق الوثنية.

وإثر خلافه مع خصرو الثاني، أسره الفرس ونقلوه إلى بلادهم. فمات فيها سنة ٦٠٢ وانتهت هكذا إمارة اللخميّين. فأصبحت المملكة القديمة مجرد مقاطعة فارسية ولم تعد تستطيع ان تلعب دور الدولة الحاجزة الذي أسست من أجله.

ان أهمية الحيرة في التاريخ تتجاوز صغر حجمها. فقد يميل كثير من المؤرخين إلى إعزاء بناية قصر المشتة في القرن الرابع والخامس إلى امير لخميّ، في وسط المقاطعة العربية الرومانية، في جنوب فيلادلفي. لكن من الأرجح ان عهدها يرجع إلى قبل عهد الغساسنة.

والأثر الثاني للحيرة ناتج من وجود عبادها الذين ذكرناهم فيما سبق. وقد ذكر كتاب الأغاني أن الشاعر الأعشى الذي كان قد طاف في جميع أنحاء جزيرة العرب قد أخذ آراءه الدينية عن العباد، مسيحيي الحيرة. وقد كان يوجد في الحيرة مدرسة شعراء، اشهرهم عدي بن زيد وأبو تؤادا؟!
وكان للنشاط التجاري الذي كانت تتصف به الحيرة - وهي مركز تجارة النبيذ - أثر يتجاوز دائرة الشعراء الضيقة.

أما اللغة التي كانت تستعمل في الحيرة، فكانت اللغة السريانية والعربية. وهما لغتان ساميتان متقاربتان. وقد ورد في كتاب الأغاني (جـ ٥ ص ١٩٠) ان المرقش استعان بالحروف السريانية التي كان يستعملها مَسيحيّو عنبر (بيروز شابور) والحيرة، وحوّرها فأصبحت الحروف العربية. على كل، انه من الأكيد أن العباد كانوا أول العرب الذين استعملوا الخط العربي. وهناك حكاية

مشهورة مؤداها أن عمرو بن هند سلّم للشاعرين المتلمّس وطرفة خطاباً جاء فيه ان حامل هذا الخطاب يجب قتله بمجرد تسليمه الخطاب إلى المرسل اليه. وقد شكّ المتلمّس بمضمون الخطاب فطلب في طريقه من عبادي، ان يقرأ له الخطاب. . .

وعندما كان بنو بكر وبنو تغلب يريدون تسجيل معاهدة صلح فكانوا يلتجئون إلى ملك الحيرة. . ولا شك ان هذا الخط قد ساهم مساهمة كبيرة في انتشار الآراء الدينية التي كان منبعها الحيرة وساعد في اشعاع التيار المتجاوب مع الاعتقاد بالإله واحد.

Aigrain, art. ARABIE in Dict. d'Hist. et de Géogr., T. 3, colonne 1232.

الحيـرة

ان معظم المستشرقين يرون ان هذه الكلمة من اصل سرياني: حيرتا أو حيرتو ومعناها المخيّم والمعسكر وفي التواريخ السريانية تقابل «العسكر» عند الاسلاميين وهي معنى «الحضر» والحاضرة كذلك.

وقد عرفت الحيرة في مؤلفات بعض المؤرخين السريان فعرفت بـ «الحيرة مدينة العرب» كما عرفت بأسماء بعض ملوكها مثل النعمان: «حيرة النعمان التي في بلاد الفرس». وقد ذكر اسم الحيرة في تاريخ يوحنا الأفسوسي Jean d'Ephèse من مؤرخي القرن السادس للميلاد (توفي سنة ٥٨٥ م). كما ذكرها يشوع العمود. وورد اسمها في المجمع الكنسي الذي انعقد في عام ٤١٠ م. وكان عليها إذ ذاك اسقف اسمه هُوشَع اشترك فيه ووقّع على القرارات باسم «هوشع أسقف حيرتا».

وقد اشتهرت الحيرة في الأدب العربي بحسن هوائها وطيبة حتى قيل: يوم وليلة بالحيرة خير من دواء سنة. . وقيل عنها انها «منزل بريء مريء صحيح من الأدواء والأسقام» وهي على «سيف البادية» ليست بعيدة عن الماء. وقد ورد ذكرها كثيراً في شعر الشعراء الجاهليين والاسلاميين وهي لا تبعد كثيراً عن النجف والكوفة. وقد سمّاها بعض المؤرخين «الحيرة الروحاء» والحيرة البيضاء، أخذوا ذلك من شعر الشعراء.

وقد أدى تأسيس الكوفة في الاسلام إلى أفول نجم الحيرة. وقد انتقل الناس من المدينة القديمة الى المدينة الجديدة واستعملوا حجارة الحيرة وقصورها في بناء الكوفة. وبعد مقاومة طويلة للهرم دخلت في عداد المدن المندثرة.

وقد تكلمنا فيما سبق عن ملوك الحيرة وقد عرفوا عند المؤرخين بـ (آل لخم) وبـ (آل نصر) كما عرفوا بـ (النعامة) وبـ (المناذرة). وفي طليعة أهل الأخبار الذين عنوا بتاريخ الحيرة هشام بن الكلبي. فله ثلاثة كتب تتصل بها: كتاب الحيرة وتسمية البيع والديارات ونسب العباديين؛ وكتاب المنذر ملك العرب؛ وكتاب عدي بن زيد العبادي. وقد ذكر ابن النديم هذه الكتب في الفهرست غير انها قد ضاعت.

وتاريخ هذه المدينة قبل الميلاد غامض لا تكاد تعرف من أمره شيئاً. اما الاخباريون فيرجعون عهدها الى أيام بختنصر (الطبري جـ ١ ص ٢٩١ وما بعدها) وهو مؤسس الأنبار في نظرهم أيضاً. وقد كان ذلك في أيام عدنان. وقد درج بعض المؤرخين مثل الطبري وأبي حنيفة الدنيوري وابن

الأثير على إدماج تأريخ الحيرة في تأريخ الفرس في الجملة، ودرج فريق آخر كاليعقوبي والمسعودي على تدوينه في باب مستقل. وهناك اختلاف واضطراب بين الأخباريين في تسلسل من حكم الحيرة من ملوك. وقد ذكرنا ذلك في كلامنا عن اللخميين ومن حسن الحظ ان بين أيدينا جملة مؤلفات لاتينية ويونانية وردت في ثناياها اشارات الى «عرب الروم. وعرب الفرس» وقد جمع هذه البيانات الاستاذ البحّاثة دوفرس بمقالة مملوءة بالمصادر:

Robert DEVREESSE, Le christianisme dans la Province d'Arabie, in VIVRE ET PENSEE, Recherches d'exègése et d'histoire 1ére série Paris, 1941, pp. 110 – 146
– Arabes – Persans et Arabes – Romanis Lakhmides et Ghassanides, 2e série 1942, pp. 263 – 307

كما للمؤلفات السريانية أيضاً فضل في تدوين هذا التأريخ وهي مهتمة بالأكثر بشؤون النصرانية في هذه البلاد. وبخاصة بالنزاع المذهبي بين النساطرة واليعاقبة.

وأهل الحيرة عرب، يقسمهم المؤرخون إلى طبقات ثلاث: تنوخ، والعباد والأحلاف. أما تنوخ، فهم قبائل سكنوا بيوت الشعر والمظالّ والوبر غربي الفرات بين الحيرة والانبار فما فوقها. فهم أعراب الحيرة لا حضرها وأهل مدنها. وكانوا يعيشون في أطرافها وحولها على نقيض العباديين. واما العباد فهم الذين سكنوا رقعة الحيرة فابتنوا بها فهم حضر مستقرون. وكانوا مسيحيين والنسبة اليهم عبادي.

وهناك اقوال في أصل كلمة «العباد». والقول الأرجح هو أنه انما قيل لهم العباد لانهم كانوا يعبدون الله. وقد شملت التسمية قبائل مختلفة جمعت بينها وحدة الدين ووحدة الموطن. بحيث ان مدلول الكلمة يقتصر على نصارى الحيرة دون غيرهم من نصارى العرب.

أما الأحلاف فهم الذين لحقوا بأهل الحيرة ونزلوا فيها ولم يكونوا في الأصل لا من تنوخ ولا من العباد وقد كان بين أهل الحيرة جماعة من النبط كما كانت بينهم جماعات من الفرس ومن اليهود. والنبط هم من بقايا قدماء العراقيين وقد كان بعضهم يتكلم العربية بركانة ظاهرة فأثر ذلك في لسان أهل الحيرة.

وكانت للوثنيين من أهل الحيرة اصنام، منها: اللات، والعزّى، وسبد ومحرف. وكان معظم نصارى الحيرة من النساطرة وهم يجدون من الفرس تشجيعاً نكاية بالروم. وقد كانت الحيرة من المراكز الهامة في حركة التبشير بالنصرانية بين العرب ومن الحيرة ذهب قسم من المبشرين إلى اليمن والأجزاء الأخرى من جزيرة العرب وفيها انعقد مجمع «دار يشوع» في سنة ٤٢٤ م وفي هذه المدينة توفي الجاثليق «دار يشوع» ودفن فيها.

الفصل الرابع

النصرانية في الحجاز

لقد تطبعت النصرانية بطبيعة البادية وجعلت للعرب أساقفة يرحلون معهم سموهم «أساقفة المضارب» وقد اشترك بعضهم بالمجامع الكنسية ووقّعوا على أعمالها بهذه الألقاب «فلان أسقف أهل الوبر»، «فلان أسقف القبائل الشرقية المتحالفة»، «فلان أسقف عرب البادية» وقد ذكر المؤرخ اليوناني سوزومنوس Sozomènos منذ القرن الرابع «ان في بعض قرى العرب ودساكرهم أساقفة».

وقد نقل لنا اليعقوبي هذه الشهادة: «وأما من تنصر من أحياء العرب فقوم من قريش. ومن اليمن طيء وبهراء وسليح وتنوخ وغسّان ولخم» (تاريخ جـ ١ ص ٢٩٨).

١ - أيلة (العقبة)

يقول ياقوت: ان أيلة «آخر بلاد الحجاز» شمالاً كانت نصرانية. ويذكر المسعودي أن «يوحنّة بن رؤبة كان أسقف أيلة وانه قدم على محمد سنة تسع للهجرة وهو في تبوك. فصالحه على ان لكل حالم بها ديناراً في السنة» ويؤيد هذه الشهادة ابن سعد فيجعل الوافد، ملكاً لا أسقفاً؛ بيد أن ذكر الصليب على صدره يدل على أنه اسقف لا ملك: «وكان يوحنا ملك أيلة. وأقبل معه أهل جرباء وأذرح، وعليه صليب من ذهب، فصالحهم وقطع عليهم جزية معلومة». وتنقل سيرة ابن هشام صورة كتاب الرسول إلى يوحنّا بن رؤبة وأهل إيلة ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر. (ابن هشام ٤ : ١٦٩).

٢ - دومة الجندل

كان عليها أسقف. وقال ابن هشام في حديثه عن غزوة تبوك «ثم ان رسول الله (ص) دعا خالد بن الوليد فبعثه إلى أكيدر دومة. وهو أكيدر بن عبد الملك. رجل من كِنْدة، وكان ملكاً عليها، وكان نصرانياً» (ابن هشام ٤ : ١٦٩).

٣ - معان

معان في طرف بادية الشام، تلقاء الحجاز، من نواحي البلقاء - كما يقول ياقوت. كان أهلها نصارى تحت حكم الروم مثل الغساسنة أو مثل أسرة امرىء القيس في نجد. وكان يملك عليها عند ظهور الاسلام فروة بن أبي عامر، شيخ بني جزّام النصاري.

٤ - تيماء

تقع تيماء بين الشام ووادي القرى. وكانت مدينة حصينة لأهل الكتاب من يهود ونصارى. وكان فيها مساكن قبيلة طيء النصرانية العربية وفيها مركز اسقف. وقد خضعت للجزية بعد غزوة خيبر. (حسين هيكل، حياة محمد ٣٦٠).

٥ ـ **تبوك**

تبوك وكان حصن بين وادي القرى والشام يسكنه نصارى قضاعة كما نقل ابن خلدون عن ابن سعيد وجاورهم فيها بنو كلب من قبيلة تغلب النصرانية. وفي غزوة تبوك لم يتمكن محمد والمسلمون من اقتحامها لحصانتها وقناعتها ولسرعة الروم ونصارى العرب إلى نجدتها. فحاصروها عشرين يوماً ثم قفلوا راجعين.

٦ ـ **وادي القرى**

ومن قراه دومة الجندل، والحِجْر وديدان. وهو يقع بين الشام والمدينة سكنه اليهود أولاً ثم قضاعة وسليح النصرانيتان. وقد جاء في الأغاني (جـ ٧، ص ١٦١) ان النصارى منعوه من اليهود، والعرب غير النصارى:

ونحن منعنا ذا القرى من عدونا وعذرة إذ نلقى يهوداً وبعثرا

منعناه من عليا معدّ وانتم سفاسيف روح بين قُرْحٍ وخيبرا

فريقان: رهبان بأسفل ذي القرى وبالشام عرّافون ممّن تنصرا

٧ ـ **يثرب**

كانت يثرب مستعمرة يهودية لبني قريظة وبني النضير وبني قَيْنُقاع وبجوارهم عشرون قبيلة يهودية. ثم رحل إليهم من اليمن الأوس والخزرج فنزلوا المدينة على عهودٍ كانت بينهم. ولا شك انه كان يوجد في المدينة نصارى على شكل ما كانت موجودة في مكة، من رقيق وموالي يقومون بخدمة ساداتهم وهذا مما يفهم من بيت للشاعر حسّان بن ثابت في قصيدة رثى بها النبي.

فرحت نصارى يثرب ويهودها لما توارى في الضريح الملحدُ

وفي تقويم قديم للكنيسة النسطورية ان النساطرة أقاموا مطراناً في يثرب إذ كان لهم ثلاث كنائس على اسم إبراهيم الخليل، وموسى الكليم، وأيوب الصديق.

المسيحيّون في مَكَّة قبيل الهجرة

عندما ينظر المؤرخ إلى الروايات المختلفة للسيرة ونصوص الصحيح والسنن والمسند، يصل القارىء إلى الاعتقاد بأن المسيحية قبيل الهجرة لم تكن ممثلة تمثيلاً لائقاً بها، خلافا لما ذهب اليه ولهوسن Wellhausen ، لا من ناحية المستوى الاجتماعي ولا من ناحية الثقافة. فلا نجد أثراً لنظامٍ ديني ولا جماعة مكونة من أجانب، ما عدا هؤلاء التجار الذين كانوا يتردّدون على حوانيت مكّة والتهامة، وإذ نظر بعض المؤرخين ان ذكر الأشخاص مثل المطارنة، والكهنة والشمامسة، والقسسية التي ترد في الأخبار ليست إلا أشخاصاً مصطنعة خُلقت لاعطاء حياةٍ للروايات. نعم كأن مكّة بدون أي شكٍّ حِفْنة من القريشيين المسيحين وحلفائهم الأجانب، ينتمون الى العشيرة المكية،

تكلّمت عنهم بعض النصوص. ولكن كان هناك أيضاً عدد من العبيد والمغامرين ومن التجار المسيحيين، ومن بائعي النبيذ كانوا يسكنون في مكّة بطريقة مؤقتة أو يمرون في عاصمة التهامة.

وكان معظمهم من الأحابيش، ومن مستو متواضع عمال أو مرتزقة أدخلوا في السوقة العسكرية المساعدة، وكانوا ينتمون إلى فرقة المسيحيين اليهود الحبشية.

وبين هؤلاء عددٌ كبير من النصارى جاؤوا للخدمة وللقيام بالأعمال اللازمة لسراة مكة. ويقول الأستاذ جواد علي (جـ٣ ص ٦٠٦) «وقد ترك هؤلاء الأحابيش أثراً في لغة أهل مكة، يظهر في وجود عددٍ من الكلمات الحبشية فيها في مثل المصطلحات الدينية والأدوات التي يحتاج اليها في الصناعات وفي الأعمال اليدوية التي يقوم بأدائها العبيد. وقد أشار العلماء إلى عددٍ من هذه الكلمات ذكروا أنها تعربت فصارت من الكلام العربي. وقد أشاروا إلى ورود بعضها في القرآن الكريم وفي الحديث».

وقد ورد في الأخبار أن بعض الرهبان والشمامسة جاءت الى مكة. وقد كان بينهم من يقوم بالتطبيب. وذكر اليعقوبي (جـ ١ ص ٢٢٧، (أديان العرب)) ان ممن تنصر من أحياء العرب قوم من قريش من بني أسد بن عبد العزى، منهم عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى.

وعدّ ورقة بن نوفل في جملة المتنصرين في بعض الروايات فقد ذكر أنه «تنصر واستحكم في النصرانية وقرأ الكتب، ومات عليها» اليعقوبي جـ ١ ص ٢٩٨ البدن (ذكره جواد علي جـ ٦ ص ٦٠٧).

وهناك دليل على مدى التأثير الديني التوحيدي في مكة، وهو ما رسم على جدران الكعبة من صور الأنبياء والملائكة الذين يذكر الكتاب قصصهم، بخاصة صورة عيسى بن مريم وأمه. فقد روى الأزرقي أنه «جُعِلت في دعائمها صور الأنبياء وصور الشجر وصور الملائكة. فكان فيها صورة ابراهيم خليل الرحمان شيخ يستقسم بالازلام، وصورة عيسى بن مريم وأمه، وصورة الملائكة عليهم السلام أجمعين. فلما كان يوم فتح مكة دخل رسول الله ص. البيت فأرسل الفضل بن العباس بن عبد المطلب فجاء بماء زمزم ثم أمر بثوب فَبُلّ بالماء وأمر بطمس تلك الصور فطمست. . ووضع كفيه على صورة عيسى بن مريم وأمه عليهما السلام، وقال: امحوا جميع الصور إلا ما تحت يديّ. فرفع يديه عن عيسى بن مريم وأمه. ونظر الى صورة ابراهيم فقال: قاتلهم الله! جعلوه يستقسم بالازلام ما لابراهيم والازلام» (أخبار مكة جـ ١ ص ١٠٤: جواد علي، تاريخ العرب. . . جـ ٥، ص ١٧٢).

الفصل الخامس

المسيحية في جنوب شبه الجزيرة العربية

دخلت المسيحية في جنوب شبه جزيرة العرب في فترة مبكّرة. وكان سكانها من القبائل المقيمين على الهضب العالية التي تسيطر على السواحل الشرقية والغربية للبحر الأحمر قبل أن تتجه نحو البحر الهندي. نشأت هناك دولتان متقابلتان، أقدمها هي الجزء من جزيرة العرب التي سماها الرومان «العربية السعيدةFelix Arabia » بفضل لطافة مناخها وغناء مواردها بخلاف الأجزاء الموجودة في وسطشبه الجزيرة. كانت ميناء عَدَنْ منذ أقدم الأزمنة موضع تبادل بين دول البحر الأبيض المتوسط: مصر، وآسيا الصغرى، واليونان، والجزر البعيدة. واضطر ملوك سبأ الذين كانوا يعيشون في هذه البلاد أن يدافعوا عنها ضد المصريين والأشوريين، وقد ذكر الكتاب المقدس زيارة ملك سبأ الى سليمان الحكيم. لم يكن للرومان مع هذه المناطق إلا صلاتٍ بعيدة. ومنذ القرن الأوّل كان يطلق على هذه الدولة اسم مملكة حِمير أو حُمَير

وفي الضفة المقابلة لعبت ميناء آدوليسAdoulis بالنسبة للحبشة نفس الدور الذي قامت به عدن لعرب الجنوب. منذ عهد بعيد كانت القبائل الحبشية مثل الغلاّس والدنكلي والصومالي قد تأثرت بالتسرّبات العربية من الوجهة الطبيعية ومن الوجهة الروحيّة. تطوّر النموذج البشري وجُلِبت من شبه الجزيرة العربية اللغة والكتابة.

وكان قد تأثرت المملكة الحِمْيرية منذ زمنٍ مبكّر بالدعاية اليهودية. وتمّت هذه الدعاية بخاصة بعد تدمير مدينة القدس على يد تيطوسTitus وفسبسيانوسVespasianus . وقد اكتشف العلامة ريكمانسRyckmans عدداً كبيراً من الاسماء الحميرية الجنوبية، تذكر البعض منها الربّ كربّ السماء والأرض والرحمن. ولعل هذا قد مهّد السبيل بقبول المسيحية عندما وصلت دعوتها إلى هذه المنطقة في القرن الرابع عندما أصبح القديس فرومانتيوسFrumentius مطراناً للحبشة. وقد أرسل كونستانس إلى الحميريين الراهب ثيوميلس لهدايتهم وفي نفس الوقت للحصول على حرية الصفقات التجارية وحرية العبادة للتجار الرومان. ويؤكد المؤرخ فيلوستورجPhilostorge في كتابة تاريخ الكنيسة ان هذه المهمة كُلِّلت بنجاح كبير: فقد اعتنق الملك نفسه المسيحية وأسّست ثلاث كنائس.

ولكن من الصعب قبول هذه الرواية إذ ان حياة الكنيسة العربية والكنيسة الحبشية في القرن الخامس لا تزال مجهولة. والشيء الأكيد هو أن المسيحية، قد وصلت الى مملكتي حومر واكسوم؛ ومن ناحية أخرى أنه لم يكن للكنيسة المسيحية جذور عميقة.

كان يوجد في هذا العهد كنائس ليس في صفرSafar وعدن فحسب ولكن أيضاً في داخل

الجزيرة في نجران وهي أشهر الكنائس حينذاك. تقول بعض الروايات غير الموثوق بها إنه كان يوجد مسيحي سوري اسمه فيميون. بنّاء، وزميل له. فأسرا اثناء غزوة وبيعا في نجران وهناك يبّس فيميون، بطريقة عجيبة، نخلاً، كان معبوداً لدى الشعب. فاهتدى الشعب الى المسيحية. وهناك رواية أخرى مؤداها انه استطاع ان يبّعد ابن احد اعيان النجرانيين، اسمه عبد الله بن نمير، من متابعة دروس حاوٍ وجعله يقرّ بوحدانية الله. وعندئذ استطاع الله ان يعمل كرامات عديدة، فتغلّب على سحرة البلاد. وكان قرب ضِفّتيَّ البحر الأحمر، يسهّل الغزوات. ففي القرن السادس، احتل ملك اكسوم جزءاً من نجران وأقام في صفر نائب ملك وحامية فنشأ مركز مسيحي جديد. ولكن لم يكن اهل المنطقة وبخاصة يهود نجران ميّالين لهم. وارسل المطران العراقي يعقوب السروجي إلى الجماعة المسيحيّة في نجران جوابات تعزية ومقالات للدعوي خاصة بمذهب الطبيعة الواحدة. وفي حوالي ٥٢٣ سبّب قائد حمياري ذونواس وكان يهودياً من سلالة ملكية، ثورة ضد الحبشة واستولى على صفر وقتل الحامية والكهنة وحوّل الكنيسة إلى كنيس. وحاصر نجران وأُثخِنَ المسيحيون وعُذّبوا شر العذاب. فأثر هذا في مشاعر الامبراطور البيزانطي فارسل ملك اكسوم كالب لاعادة النظام فقبض على ذونواس وقتله بيده وأعاد المسيحية وفي سنة ٥٣١، ثار قائد مسيحي، أبراها ضد النجوشي وتخلّص من سلطته مع بقائه حليفاً لبيزانطا. وحسب خبر وارد عند المؤرخين المسلمين، قد حاول أن يستولي على مكة سنة ٥٤٢. وبقيت أسرته تحكم لغاية سنة ٥٧٠ وقد ساعدتها بيزانطا ولكن في آخر الأمر هزمهم الفرس الذين استولوا على اليمن.

وكانت المستوطنات المسيحية في جنوب جزيرة العرب مزدهرة أيام النبي العربي الذي وهب ضمانات لمسيحيي نجران. وقد جاء في أخبار المؤرخين المسلمين حكاية المباهلة بين الكهنة المسيحيين النجرانيين ومحمد (انظر ماسينيون). وقد طرد عمر المسيحيين فذهبوا إلى ما بين البحرين وأسّسوا هناك نجراناً جديدة، وفي أواخر القرن الثامن، بعد اعتناقهم لمدة طويلة مذهب الطبيعة الواحدة، قبلوا المذهب النسطوري الذي نشره بين صفوفهم تيموطاوس، كاثوليكوس فارس (انظر تاريخ الكنيسة لفليش ومارتان، جـ ٤، ص ٥٢٧).

البَابُ الرَابِع

التراث اليونَاني والرومَاني

يقول الأستاذ احمد امين في كتابه الشهير (فجر الاسلام) «اذا نحن وصلنا الى اليونان، فقد وضعنا ايدينا على كنز لايفنى وثروة لا تقدر، وغنى عظيم في كل ما ينتجه العقل والعاطفة والذوق، في الفلسفة والرياضة والفلك، في علوم الطبيعة والحياة والطب، في الأدب، في التاريخ في السياسة، في الفنون الجميلة. لقد نفخوا في كل ذلك من روحهم، وغذوا العقول بآرائهم وأمدّوا العالم بأفكارهم وآدابهم وعلمهم وأساطيرهم، وربّوا الذوق بفنهّم ونحتهم وتصويرهم . . . وهكذا في كل فرع من فروع العلم. فلسفة المسلمين اسست على فلسفتهم» (ص ٢٦٦).

وكان لفتوح الاسكندر المقدوني لكثير من بلاد آسيا وافريقيا الأثر الأعظم في نشر الحضارة اليونانية فكونت مراكز حضارية امتزجت فيها تلك الحضارة بحضارات اخرى: هندية، فارسية، آرامية، مسيحية. ويجدر بنا الان ان ننظر الى اهم هذه المراكز التي كانت قائمة في صميم البلاد العربية والاسلامية بعد انتشار العقيدة الجديدة فيها

الفصل الأول

الاسكندرية

لا شك ان الاسكندريه كانت من اهم البلاد اليونانية ثقافة واشعاعاً للتراث القديم. ولها تاريخ حافل بالأحداث منذ اسمها اسكندر الكبير سنة ٣٣١ ق.م. وكان قصده ادخال الثقافة الهلينية في مصر وبطريقة اوسع في الشرق. والذي حدث هو ان الهلينيه نفسها قد اخذت من الشرق ما اعطاها صيغة خاصة.

وأول من جعل من الاسكندرية عاصمة للحضارة الهلينيسنية هو Ptoleys سوتر اول L'agiad الذي أصبح Satrape بعد وفاة الاسكندر ثم ملكاً سنة ٣٠٥ ق.م. وقد اهتم بحركة البناء في المدينة وجذب اليها الفنانين والعلماء، رياضيين وفلكيين وأطباء. اصبحت الاسكندرية ملكة التجارة العالمية ومركز الثقافة اليونانية.

وقد اشتهرت بمؤسستين عديمتي المثيل: المتحف والمكتبة. وقد كانت الاسكندريه في ذروتها عندما غزاها الرومان اثر الخلاف الذي نشب بين كيلوبترا و Ptolu زوجها واخيها سنة ٤٨ ق.م. فنزل في الاسكندرية بحراً على رأس قوة مكونة من اربعة الاف رجل وحاصر حيّ القصر حصاراً طويلاً، حرقت اثناؤه مكتبة المتحف الشهيرة. وقد أعاد انطوان بناءها وزودها بمئتي الف كتاب.

وتحت السلطة الرومانية، انتعشت الاسكندرية من جديد فشيّدت المباني واتسعت التجارة فامتدت الصلات التجارية حتى الهند ووصل عدد السكان الى نصف مليون نسمة وأصبحت المدينة من حيث الأهمية الثانية في الامبراطورية الرومانية.

ان الكنيسة المصرية ترى ان القديس مرقس، وهو احد الرسل وصاحب الانجيل، هو مؤسس كنيسة الاسكندرية، وتحرص ان يلقب خلفاؤه من بعده حتى اليوم بلقب «بابا الاسكندرية وسائر الكرازة المرقسية». ومما لا شك فيه هو ان المسيحية لم تتأخر كثيراً في دخولها في أكبر ميناء في شرقي البحر المتوسط وسرعان ما انتشرت في جميع أرجاء وادي النيل.

وان البرديات الأدبية التي عثر عليها في مصر تقطع بان المسيحية كانت قد تغلغلت في مصر الوسطى ومصر العليا منذ القرن الثاني وقد لاقى الدين الجديد على أيدي الاباطرة الرومان صنوفاً من التنكيل والتعذيب وهذا لأن المسيحيين كانوا يترفعون عن ممارسة شعائر الديانة الرسمية فلا يقدسون صور الأباطرة ولا يشتركون في عبادة روما المؤلهة.

وأشرس اضطهاد حصل على ايدي ديوقلسيانوس وكان يقصد اعدام المسيحيين جميعاً واحتدمت المعركة حتى اصبحت معركة فناء دمرت الكنائس وأحرقت الكتب المقدسة واستشهد

الألوف من المسيحيين. ولازالت الكنيسة القبطية في مصر تؤرخ الاحداث بعصر ديوقلسيانوس او عصر الشهداء. ولكن كتب الله للمسيحية أن تنتصر.

فاذا كانت الوثائق البردية تصوّر لنا مصر في عام ٢٠٠ بلداً وثنياً في جوهره. فاننا نراها بعد جيل واحد بلداً يدين معظم اهله بالمسيحية. وكما يقول مؤرخ لهذه الفترة: «ولا شك ان السبب الأول في ذلك كان مرسوم ميلانو الشهير الذي اصدره الامبراطور قسطنطين في عام ٣١٣م مقراً فيه مبدأ التسامح الديني وكانت هذه خطوة كي تصبح المسيحية بعد ذلك بعشرة اعوام فقط الديانة الرسمية الوحيدة في جميع ارجاء الامبراطورية» (ص١٠٢).

وما من شك ان اللغة اليونانية كانت اللغة التي سادت الاسكندرية منذ البداية بحكم انها كانت اللغة الرسمية للدولة. وعندما زار الامبراطور اغسطس الاسكندرية خاطب سكانها باليونانية ولكن يجب الا يغيب عن ذهننا ان اللغة الأصلية كانت اللغة المصرية القديمة وهي التي كانت تستعمل في الحياة اليومية. وكانت في البدء تكتب بالخط الديموطيقي الذي استخدمت فيه حروف منحدرة من الحروف الهيروغليفيه. مما يجعلها جامدة لا تساير التطور والتجديد. فتفادياً لهذا اتخذ الاقباط الحروف اليونانية لكتابة لغتهم وهكذا ولدت اللغة القبطية في القرن الثالث الميلادي وانطلقت اللغة وانجبت ادباً حياً. ونقلت الاناجيل الى المصريين في لغتهم ويثوب مصري فتأصلت العقيدة في الشعب ورسخت في اعماق حساسياته.

أما فيما يخص الحياة الثقافية، فبقيت المكتبة الشهيرة ودار الحكمة (المتحف) تلقيان العلم والثقافة لدى الشعب المثقف. كانت دار الحكمة بمثابة اكادمية للبحث وليست جامعة تدريس. كان يعمل فيها علماء وفلاسفة يجدون بجوارها المكتبة الحافلة بالكتب المختلفة. وقد عثر على بردية من القرن الثاني لطالب يدرس في الاسكندرية يصف بطريقة حية طرق التعليم فيها.

وقد استمرت جامعة الاسكندريه تسهم في مجال الحضارة على غرار ما فعلته في العهد البطلمي ولكن مع الفارق. ففي العصر القديم نبغ في الاسكندرية عدد من كبار الشعراء امثال كالياخوس Calhnapus وثيوكرتيوس Theocrate وكذلك عدد من كبار العلماء امثال اقليدس وايراتوسثنيس وارشميدس، اما اسكندرية العصر الروماني فلم تحافظ على تفوقها الأدبي. اما في مجال العلم فقد واصلت المجهود المبذول في العصر السابق. وأشهر علماء هذه الفترة هو بطلميوس Ptolémée من ابناء مصر في القرن الثاني الميلادي وقد ترجم كتابه الى العربية تحت اسم المجسطي، وعدد من الأطباء سنتحدث عنهم بعد قليل.

ولكن هناك تياراً آخر مهما وهو مزدوج التيار الفلسفي الذي من جهة يتمثل في مؤسس الافلاطونية المحدثة وهو افلوطين ومن جهة اخرى من نخبة من مفكرين مسيحيين مثل اورنجينوس، وبانتينوس، ومدرسة الديدسكالية Didascalée ، اكليمون واثانثسيوس، وكيرلس الاسكندري. وسنتحدث عنهم فيما بعد.

وأما الان فيحسن بنا ان ننظر كيف هذا التراث اليوناني الفلسفي والعلمي والديني قد انتقل الى الحضارة العربية وساهم بتطعيمها وإثرائها بعد ما قامت نخبة من المترجمين الى نقله الى اللغة العربية إما مباشرة او بواسطة اللغة السريانية.

من المؤكد ان مدرسة الاسكندرية كانت لا تزال قائمة وقت أن فتح العرب مصر وانها قد ساهمت في نقل التراث اليوناني الى العرب. غير ان المصادر التي تثبت ذلك غير متوافرة لدينا إذ معرفتنا بحالة الحياة الفعلية في الاسكندرية بعد القرن الخامس الميلادي ضئيلة. وكل ما هنالك بضع وثائق في مجموعة كتب الآباء الشرقية وما يشبهها نشير إلى وجود اكاديميات ومدارس بالاسكندرية في القرن السادس الميلادي.

ولحسن الحظ ان بعض المؤرخين والفلاسفة الأطباء العرب ألفوا كتبا في تاريخ الحكماء وزودتنا بتفاصيل قيمة . وهذه الكتب التي ألفت اغلبها في أواخر القرن التاسع وفي القرن العاشر الميلادي تستقي من كتب يونانية التي قام بترجمتها في العصر الاسلامي الأول مترجمون سريانيون. وهي عبارة عن مجموعة اقوال او عرضاً لحياة الأقدمين من الفلاسفة والأطباء والرياضيين في صورة نوادر وأقاصيص.

وأول هؤلاء المؤلفين المسلمين هو أحمد بن يعقوب المسمى باليعقوبي المتوفي سنة ٢٧٩هـ ٨٩٢م المشهور بمؤلفه في الجغرافية. وكتابه يحتوي على مقتبسات عربية مأخوذة عن الكتاب اليونانيين. ولكن يحاول القارىء عبثاً أن يجد عنده أخباراً عن مدرسة الاسكندرية.

كذلك تاريخ ابن عبد الحاكم (المتوفي سنة ٢٥٧هـ ٨٧١م) الذي يتكلم عن فتح العرب لمصر ليس فيه اشارة الى مدرسة الاسكندرية.

وهذا الكلام عينه ينطبق على كتاب المسعودي. مروج الذهب (المتوفي سنة ٣٤٥هـ ٩٥٦م). ولكن له كتاب آخر في الجغرافيا يحتوي على اقتباسات قيمة خاصة في تاريخ العلوم.

مَدرسَة الاسكندريَة في عَصرهَا المتأخر

يحدثنا المؤرخون أنه كان يوجد بجانب «متحف» الاسكندرية الذي اندرس في القرن الثالث الميلادي مدارس لها مكاتبها مثل «القيصرية» التي نهبت سنة ٣٦٦ حين أحيل هذا المعبد إلى كنيسة ومثل هذا حدث لمكتبة السيرابيوم التي اعدمت سنة ٣٩١. بالرغم من ذلك فقد استمرت المدارس والمكاتب الخاصة لأن أوراق البردى البيزنطية تتحدث عن متاحف الدراسة والاكاديميات في الاسكندرية، وحوالي سنة ٥٠٠م كان امونيوس بن هرمياس تلميذ أبرقلس أحد الأفلاطونيين المحدثين مشهوراً جداً بكونه رئيساً لأحدى المدارس وكان العرب يعرفون اسماء تلاميذه: سنبليقيوس Sinplicicus، ودمسقيوس واسقلبيوس وثيودوتوس والامفيدورس الأصغر. ويحيي النحوي. وقد ترك لنا التاريخ عرضاً حياً لحياة الطلاب في مدارس الاسكندرية العليا. فيروي لنا زكريا المدرسي هذه الحياة الدراسية التي قضاها حوالي نهاية القرن الخامس هو وصديقه سوبرس، الذي اصبح فيما بعد بطرق انطاكية. وكان ينسب هذان الصديقان الى جماعة محبّي الاجتهاد

(انظر ص ١٤١) التي كانت تقوم بحماية اعضائها من الطلاب الوثنيين (راجع حياة سوبرس، من ١٦ الى ٣٥).

وفي النصف الأول من القرن السادس الميلادي كان يحيى النحوي (أو يحيى فيلوبونس) الشخصية الكبيرة في مدرسة الاسكندرية. وفي اوائل القرن السابع الميلادي كان اصطفن الاسكندراني، فيلسوف بلاط الامبراطور هرقل أشهر المعلمين في الاسكندرية.

ويظهر النشاط الايجابي لمدرسة الاسكندرية في تكوين تلاميذ مشهورين: فإلى جانب الفلاسفة المذكورين سابقاً تخرّج فيها في القرن السادس الميلادي الفيلسوف المسيحي يوحنا الأبامي Jean d'Apamée، والطبيب الفيلسوف سرجيوس الرأس عيني، والطبيب ايتيوس Aetios الأمدي. وفي أوائل القرن السابع الميلادي كان هناك من الأطباء بولس الأجانيطي Aganite وأهرن. وكان لكتب هؤلاء العلماء تأثير كبير في دراسات العرب الأولى.

وقد ذكر ابن ابي اصيبعه في كتابه طبقات الأطباء (ج ٢ ص ١٣٥) نصاً من كتاب مفقود للفارابي يدور حول «ظهور الفلسفة» قال فيه: «مضار التعليم في موضعين وجرى الأمر على ذلك إلى أن جاءت النصرانية وبطل التعليم في روميه وبقي بالاسكندرية ثم نظر ملك النصرانية في ذلك واجتمعت الاساقفة. وتشاوروا فيما يترك من هذا التعليم وما يبطل فرأوا ان يعلم من كتب المنطق الى آخر الأشكال الوجودية. ولا يعلم ما بعده لأنهم رأوا ان في ذلك ضرراً على النصرانية وان فيما اطلقوا تعليمه ما يستعان به على نصرة دينهم. فبقي الظاهر من التعليم هذا المقدار، وما ينظر فيه من الباقي مستور، حتى كان الاسلام بعده بمدة طويلة.

وكثير من مؤرخي العرب يتفقون في القول بأنه في الاسكندرية في العصر الهليني المتأخر قد ألف مجموع كتب طبية وجوامع لستة عشر كتاباً في كتب جالينوس. وقد ذكرها ابن ابي أصيبعة في كتابه. وقد ترجمت مبكراً إلى السريانية والعربية فوزعها حنين بن اسحق وتلاميذه وترجموها أول ما ترجموا.

ووجود هذه الجوامع وحدها دليل على ان حركة تدريس الطب بالاسكندرية على أيدي الأساتذة المسيحيين كانت قوية نشيطة قبل دخول العرب. فقد ذكر ابن النديم في كتابه الفهرست «اسماء جماعة من الأطباء القدماء مقلين ولا تعرف أوقاتهم على صحة: اصطفن، جاسيوس، انقيلاوس مارنيوس هؤلاء اسكندريون وهم ممن فسر كتب جالينوس وجمعها واختصرها وأوجز القول فيها، وسيما كتب جالينوس الستة العشر».

ويقول ابن القفطي في كتابه تاريخ الحكماء: «والاسكندريون هم الذين رتبوا بالاسكندرية دار العلم. ومجالس الدرس الطبي. وكانوا يقرأون كتب جالينوس ويرتبونها على هذا الشكل الذي تقرأ اليوم عليه. وعملوا لها تفاسير وجوامع تختصر معانيها ويسهل على القارىء حفظها وحملها في الأسفار. فاولهم على ما رتبه اسحق بن حنين اصطفن الاسكندراني ثم جاسيوس وانقيلاوس ومارنيوس فهؤلاء الأربعة عمدة الأطباء الاسكندرانيين. وهم الذين عملوا الجوامع والتفاسير».

فيبدو مؤكدا من الأخبار التي أوردها المؤلفون العرب انه كانت هناك قبل دخول الاسلام مدرسة أو اكثر بالاسكندرية، فيها كانت الفلسفة والطب يدرّسان بصورة مدرسية واضحة ولنذكر في هذا الصدد، كلام لحنين بن اسحق بعد ان أورد أهم كتب جالينوس العشرين: «فهذه الكتب التي كان يقتصر على قراءتها في موضع تعليم الطب بالاسكندرية. وكانوا يقرؤنها على هذا الترتيب الذي اجريت ذكرها عليه. وكانوا يجتمعون في كل يوم على قراءة امام منها وتفهمه كما يجتمع أصحابنا اليوم من النصارى في مواضع التعليم التي تعرف بالاسكول في كل يوم على كتاب امام، إما من كتب المتقدمين واما من سائر الكتب. وانما كانوا يقرؤنها الأفراد كل واحدٍ على حدة بعد الارتياض بتلك الكتب التي ذكرت، كما يقرأ أصحابنا اليوم كتب المتقدمين».

الفصل الثاني

انطاكية

مدينة في شمالي سورية وسطسهل خصب جميل في الحوض الأدنى لنهر العاصي Oronles على بعد يسير من مصبّه. وقد بناها سيليوقوس نيكاتور سنة ٣٠٠ ق. م. في مكان مستعمرتين قديمتين لليونان. وكانت مقراً لحكام يحبون الفن ومركزاً هاماً للتجارة وأصبحت كما يقول شتريك «أهم المدن الامبراطورية الرومانية بأسرها وأكثرها سكاناً بعد رومية والإسكندرية كما كانت تعد حاضرة الولايات الأسيوية قاطبة».

وقضى قيام الأمبراطورية الساسنيّة على نفوذ أنطاكيا السياسي والاقتصادي في بلاد الفرات ودجلة شيئاً فشيئاً. وسنة ٤٩٩ م انفصلت الكنيسة النسطورية الفارسية عن الكنيسة الغربية ففقدت انطاكية سيادتها على المسيحيّين في بلاد بابل.

وكان سابور الأول قد حاصر المدينة سنة ٢٦٠ واستولى عليها ونقل عدداً كبيراً من سكانها إلى جنديشابور في خوزستان.

وفي القرن السادس استولى عليها كسرى أنوشروان (سنة ٥٣٨ م) ودمرهاونقل عدداً كبيراً من أهلها الى مدينة المدائن Ctésiphon القريبة من انطاكية وأقام لهم مدينة خاصة على غرار مدينتهم الأصلية وسميت «الرومية».

والذي ساهم في اضمحلال مدينة انطاكية هو ما أصابها من الزلازل المروعة التي تتابعت عليها بكثرة ويذكر في القرون الخمسة الأولى من الميلاد ما لا يقلّ عن عشرة زلازل ذهب ضحية إحداها عام ٥٢٦ م مائتان وخمسون ألف من الأنفس. ولكن بهمّة الأمبراطور يوستنيانوس بنيت المدينة من جديد ولكن كانت أصغر بكثير مما ذي قبل.

ثم احتلها العرب عام ١٧ هـ / ٦٣٨ م (أنظر البلاذري دي خوية ص ١٣٢). وظلت في قبضتهم حتى آخر عام ٣٥٥ هـ / ٩٦٦ م عندما انتزعها منهم قائد من قواد الأمبراطور تقفورس فوكاس وظلت انطاكية أكثر من قرن أقوى معقل للأمبراطورية البيزانطية أمام المسلمين ولكن منذ سنة ٤٧٣ هـ / ١٠٨٠ م. ابتدأت تؤدّي الجزْية إلى أمير الموصل. وفي عام ٤٧٧ هـ / ١٠٨٤ م فتحت أبوابها أمام السلجوقيين.

وفي عام ٤٩٠ هـ / ١٠٩٧ م ظهرت جيوش الصليبيين أمام أسوارها. وبعد أربعة أشهر أفلحوا من تطويقها تطويقاً تاماً. وفي ٢ يونيو سنة ١٠٩٨ م استولوا عليها بعدَ مذبحة مروعة.

وظلت أنطاكية مائة وتسعة وسبعين عاماً في قبضة المسيحيين وصارت عاصمة لولاية تابعة لبيت المقدس. وفي هذه المدة حلّ في انطاكية مرة أخرى بعض الرخاء فشيّدت فيها أبنية جديدة وزاد عدد سكانها وانتعشت تجارتها.

ولكن السلطان بيبرس أحد مماليك مصر، بعد أن خرّب أطراف ولاية أنطاكية عام ٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م، أغار على المدينة بغتةً سنة ٦٦٦ هـ / ١٢٦٨ م واستولى عليها. ويقال أنه قتل في فتح المدينة ستة عشر ألفاً أو سبعة عشر ألفاً من المسيحيين وان مائة ألف أخذوا أسرى، وأحرقت المدينة وقلعتها. ولم تستعد المدينة مكانتها القديمة بعد هذه النكبة.

وكانت انطاكية في القرون الوسطى الاسلامية عاصمة اقليم العواصم أي الحدود الحربية التي أقيمت ضد بيزانطة على حدود الشام وآسيا الصغرى.

ورد في كتاب «أعمال الرسل» ان برنابا خرج «إلى طرسوس في طلب شاول ولما وجده أتى به إلى انطاكية وترددا معاً سنةً كاملةً في هذه الكنيسة وعلّما جمعاً كثيراً حتى أن التلاميذ دُعُوا مسيحيين بانطاكية أولاً» (١١ : ٢٥ - ٢٦) ولذا قد أصبحت انطاكية المركز الأساسي للتبشير عند الوثنيين.

والمدينة قد أسسها سلوقيوس أحد قواد اسكندر الكبير، سنة ٣٠٠ ق. م. وهي كانت مركز مواصلات بطريق البرّ وأيضاً بطريق البحر. وكان سكانها مختلفي الأجناس ومنها جالية يهودية مهمة الأمر الذي سمح للوثنيين أن يسمعوا كتاب العهد القديم يُقرأ باليونانية في البيع. فيذكر كتاب «أعمال الرسل» أن نيقولاوس كان دخيلاً Prosélyte من أنطاكية، أي وثني يميل إلى اليهودية ولذا عندما هرب بعض المسيحيين الذين كانت لغتهم اليونانية من أورشليم إلى أنطاكية «أخذوا يكلمون اليونانيين مبشرين بالرب يسوع» (أعمال ١١ : ١٩ - ٢٠) وكانت يد الرب معهم. فآمن عدد كثير ورجعوا الى الرب.

وحسب الأخبار، ان القديس بطرس يعتبر مؤسس كنيسة أنطاكية وأول أسقفها. وقيل ان الانجيلي لوقا كان منها وأول شخصية بارزة من انطاكية هو اغناطيوس الذي مات شهيداً في روما أيام تراجان (٩٨ - ١١٧) ورسائله مشهورة وتدل على أهمية السلطة الأسقفية في بداية الكنيسة.

وأيام اضطهاد الكنيسة الذي أعلنه الأمبراطور ديوكلسيانوس ضد المسيحية، عانت كنيسة أنطاكية من وطأة هذا الاضطهاد وعدد من شخصياتها قتلوا. وأثناء المجادلة الأريوسية، اتخذت مجامع محلية (سنة ٣٢٥ وسنة ٣٤١) قرارات تقر فيها موقفها ضد أريوز غير أن اللاهوتيين الأنطاكيين كانوا يميلون إلى موقف أريوس.

وقد اختار الأمبراطور يوليانوس المرتد (٣٦١ - ٣٦٣) انطاكية مقراً لحملته ضد المسيحية التي كان يريد أن يستأصلها ويعيد للوثنية مجدها. وعدد من المسيحيين، بخاصة من بين الجيش استشهدوا. ولم يفلح في محاولته. واحتفل بالعودة إلى الأرثوذوكسية في مجمع عقد سنة ٣٧٩ شيدت، ذكرى لهذه الاعادة، كنيسة كبيرة وقد زار القديس برونيموس انطاكيا سنة ٣٧٤ - ٣٧٥

وبفضل مؤلفات يوحنا فم الذهب نعرف الكثير عن الحياة الاجتماعية والثقافية للجزء الثاني من القرن الرابع.

ومنذ تكريسه شماسا سنة ٣٨١ إلى ذهابه كرئيس أساقفة الى قسطنطينية، كان يوحنا فم الذهب الشخصية الرائدة للجماعة المسيحية في انطاكية.

ومركز انطاكية بالنسبة للكنائس الكبرى الأخرى قد تغير بعد قرارات مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ منذ نيقيا، كانت الاسكندرية وانطاكية يعتبران ذات أولوية في الشرق. ولكن أرادت القسطنطينية الآن، وهي مركز الأمبراطورية ولها من المكانة السياسية ما لها، أن تكون الأولى بعد روما.

وفي القرن الخامس واصل ثيودور de Mopsueste تعليمه الخاص بالمسيح، واتخذ نفس الخطة أحد تلاميذ ثيودور، وهو نسطوريوس، الذي أصبح رئيساً للمطارنة في القسطنطينية.

وأهمية أنطاكية في تاريخ الشرق الأوسط الثقافي هي المكانة التي احتلتها بفضل مدرستها اللاهوتية التي جعلتها تضاهي مكانة مدرسة الاسكندرية وهذا خلال القرن الرابع والنصف الأول من القرن الخامس.

وخلافاً لمدرسة الاسكندرية كان علماء انطاكية يركزون دراستهم على التفسير الحرفي للكتاب المقدس ويبدون اهتماماً كبيراً لانسانية المسيح الكاملة. ويعزى تأسيس المدرسة الى كاهن اسمه لوسيان Lucien استشهد سنة ٣١٢ م وهو كان عالماً مُفَسراً (راجعْ نص الترجمة السبعينية والعهد الجديد). ومن المرجّح أن أفكاره اللاهوتية كان يعوزها الصواب لأن آريوس، وأوزوبيوس النيكوميدي وآريوسيين آخرين كانوا يتباهون بأنهم تلامذة له.

غير أن المدرسة لم تصل إلى ذروة شهرتها إلا في القرن الرابع. فقد حاول ديودورس الطرسوسي Diodore de Tarse (٣٣٠ - ٣٩٠) ان يدافع بشجاعة عن ألوهية المسيح ضدّ حملات الامبراطور الروماني يوليانوس المرتدّ Julien l'Apostat (٣٦١ - ٣٦٣) الذي حاول أن يُحيي الوثنية. وقد حارب أيضاً ديودورس بقوة التفسير الرمزي لمدرسة الاسكندرية مؤكداً في نفس الوقت انه لا بد من احترام حرفية النص للولوج إلى معانيه العميقة.

وقد تفوق عليه اثنان من ألمع تلاميذه: ثيودور Theodore de Mopsueste (٣٥٠ - ٤٢٨) ويوحنا فم الذهب Jean Chrysostome. كلاهما درس تحت إرشاد الأديب الوثني الشهير ليبانيوس Libanius (٣١٤ - ٣٩٣) فاستفادا من الأدب اليوناني القديم ليُكْسيا التعليم المسيحي بثوبٍ قشيب. وكان ثيودورس مفسراً عميقاً بل أعلم مفسري المدرسة الانطاكية وكان في نفس الوقت لاهوتياً مُبْدعاً، ساهم كثيراً في تقدم المسيحية.

وبخلاف ثيودورس، كان فم الذهب واعظاً قبل كل شيء وهو يعتبر في قمة الوعاظ المسيحيين. وقد التزم في تفسيراته للكتاب المقدس مبادىء المدرسة الانطاكية من حيث التمسك بحرفية النص. ووَجّه اهتمامه إلى التطبيق العملي في الحياة الروحية والعائلية والاجتماعية والثقافية.

ر مثل لمدرسة انطاكية الذي يستحق الذكر هو ثيودوريه Theodoret de Cyrrhus (٣٩٣ - ٤٥٨) الذي كان أيضاً يمتاز بأسلوب أنيق. فقد دافع بمهارة عن المذهب الانطاكي الخاص بالمسيح وساهم، بتعاليمه في صياغة قرارات مجمع خلقيدونية.

مَذهَب المدرسَة الانطاكيَة

الخلاف بين مدرسة الاسكندرية ومدرسة انطاكية تبلور في مسألتين: تفسير الكتاب المقدس وطريقة تصور تجسد الكلمة في المسيح والتعبير عنها. وبطريقة واضحة، تصدى علماء انطاكية إلى التأويل الرمزي للكتاب المقدس وتمسكوا بالتفسير النصّي الحرفي. لا لأنهم يرفضون المعاني الهادفة الروحية (Typologique) للكتاب المقدس ولكنهم لا يستصيغوه إلا إذا سمح النص بذلك ولكنهم لا يقبلون بتاتاً المعاني الرمزية التعسفية التي كانت مدرسة الاسكندرية تلجأ إليها.

والخلاف مع مدرسة الاسكندرية كان على أشدّه في المسائل الخاصة بالمسيح وسيطر على المناقشات الحادة التي نشبت في القرن الخامس. وقد أكدّ ديودورس بقوة، ضد ابوللينـاروس Apollinaire ، الممثل لمدرسة الاسكندرية، قدم اللوغص وعدم تغيره. وهذا حمله على التأكيد على ثنائية الطبيعة في المسيح. غير انه لم ينجح تماماً بتفسير وحدة شخصية المسيح. فقال انه في نفس الوقت ابن الله، وابن مريم، وهذا تعبير كان يميل البعض أن يعتبروه ناتجاً من المذهب النسطوري القائل بالشخصين. وكان ديودور الطرسوسي يفضل أن يقول بحلول الكلمة بالجسد على أن يقول انها تجسدت فيقول ان مريم والدة انسان anthropotokos وليست والدة الله theotokos وكان حريصاً ألا يقول ان الله تألم. ان كلمة الله وابن مريم كلاهما ابن الله: الاول بالطبيعة والثاني بالنعمة. هذه هي تعبيرات مميزة للمذهب الانطاكي الخاص بالمسيح ويمكننا أن نجده عند ثيودوروس de Mopsueste وتيودور de Cyr وعند لاهوتيين آخرين من بطريركية انطاكية الذين نهضوا للدفاع عن نسطوريوس.

وقد أورد المسعودي في مروج الذهب أخباراً عن انطاكية عندما تكلم عن أنطوكيوس الذي بناها فقال: «وكانت دار ملكه وجعل بناء سورها أحد عجائب العالم في البناء على السهل والجبل. ومسافة السور اثني عشر ميلاً. وجعل عدد الأبراج فيه مائة وستة وثلاثين برجاً. وجعل عدد شرفاتها أربعة وعشرين الف شرفة وجعل كل برج من الابراج ينزله بطريق برجاله وخيله وجعل كل برج منها طبقات إلى أعلاه ترابط الخيل في أسفله وأرضه، والرجال في طبقاته، والبطريق في أعلاه. وكل برج منها كالحصن، عليه أبواب حديد وآثار الأبواب بيّنة إلى هذا الوقت وهي سنة ٣٣٢هـ»

«وأظهر فيها مياه أعين وغيرها لا سبيل إلى قطعها من خارجها. وجعل بها سياهاً منصبّة في قنى مخرقة إلى شوارعها ودورها. ورأيت فيها من هذه المياه ما يستحجر في مجاريها المعمولة من الخزف لترادف التقن. فيتراكم طبقات ويمنع الماء من الجريان بانسداده فلا يعمل الحديد في كسره»(جـ ٢ ص ٢٨٢ - ٢٨٣).

«وذلك ان مدينة انطاكية بها كرسي البطريق المعظم عندهم في دينهم، وان النصرانية تسمّي انطاكية «مدينة الله» ويسمونها أيضاً «مدينة الملك» و «ام المدن» لأن بدء ظهور النصرانية كان بها». (المسعودي، مروج الذهب جـ ٣ ص ٤٠٦ - ٤٠٨).

والبطارقة عند النصرانية أربعة: أولهم صاحب مدينة رومية، ثم الثاني وهو صاحب مدينة قسطنطينية وهي أحسن واسمها القديم بوزيطية (بيزنطة): ثم الثالث، وهو صاحب الاسكندرية من أرض مصر: ثم الرابع وهو صاحب انطاكية. ورومية وإنطاكية لبطرس فبدؤوا برومية لأنها لبطرس، ثم ختموا بأنطاكية لأنها له وتعظيماً لبولس. وقد أحدثوا كرسياً خامساً ببيت المقدس. ولم يكن هذا متقدماً وإنما هو محدث. وكان لإليا - وهي بيت المقدس - أسقف ولكورة لدّ من أرض فلسطين.

وبانطاكية أيضاً كنيسة بولس وتعرف بأنطاكية بدير الراغيث وهي مما يلي باب فارس. وبها أيضاً كنيسة أخرى تدعى أشمونيت ولها عيد معظّم عند النصرانية وكذلك بها كنيسة بربارا، وكنيسة مريم وهي كنيسة مدوّرة، وبنيانها من احدى عجائب العالم في التشييد والرقعة. وقد كان الوليد بن عبد الملك بن مروان اقتلع من هذه الكنيسة عمداً عجيبة من المرمر والرخام لمسجد دمشق، حملت في البحر إلى ساحل دمشق وعلّق الاكثر بهذه الكنيسة إلى هذا الوقت».

الفصل الثالث

الرها ونصيبين

Edesse et Nisibe

انتقال التراث اليوناني الى السريان ومنهم الى العرب

إن المراكز التي ازدهرت فيها العلوم اليونانية في المنطقة التي تتكلم السريانية والفارسية ـ قبل ان تصل اليها اللغة العربية ـ هي الرها Edesse ، ونصيبين Nisibe والمدائن وجنديشابور في خوزستان بالنسبة إلى النساطرة، ثم انطاكية وآمد بالنسبة إلى اليعاقبة. وإلى جانب هذا قامت الأديرة باسهام كبير بواسطة مدارسها والكتب التي يؤلفها الرهبان وسنخصص لها بعض الصفحات فيما بعد.

وكان علماء هذا العصر في نفس الوقت غالباً من رجال الدين مثل الطبيبين الاسكندرانيين سرجيوس وأهرن غير ان الطب كان مركزاً في الاسكندرية وفي مقابل هذا كان في المنطقة السريانية فلاسفة عديدون. فهناك مثلا هيبا الملقب بالترجمان من القرن الخامس وتلميذه بروبا Probus وكانا من اتباع «المدرسة الفارسية» في الرها.

ومن القرن السادس: ابو القشقري الذي كان ذا نفوذ عظيم في عصر كسرى الثاني (من سنة ٥٩٠ الى سنة ٦٢٨) أحد ملوك الساسانين وهؤلاء الثلاثة جميعاً نسطوريون.

أما في صفوف اليعاقبة يمكننا أن نذكر ممن عاشوا في القرن السادس، يونان الأبامي وسرجيوس الرأس عيني. وكانا تلميذين بالاسكندرية ثم اصطفن بارصديلة وأخودمة، والمترجم السرياني لأثولوجيا ارسطاطاليس.

وفي القرن السابع الميلادي من بين النسطوريين كان يوجد سلوانوس القردي وحينانيشو الأول الجاثليق ثم شمعون الراهب المعروف بطيبوبه الطبيب وقد ترك كتاباً في الطب ترجم إلى العربية فكان له بعض الأثر في تطور الطب العربي.

ومن اليعاقبة في هذا القرن سويرس سيبوخت (المتوفي سنة ٦٦٧) Sawiros Sebokht وتلميذيه اثناسيوس البلدي وأيوب الرهاوي (المتوفي سنة ٧٠٨). وهو من أكبر رجال الحركة اليونانية المسيحية في اللغة الآرامية.

ثم جورجيوس (المتوفي سنة ٧٢٤) اسقف العرب المسيحيين في المنطقة المسماة اليوم حوران، في سوريا وكان تلميذ هذين الآخرين، وقد اشتهر كمترجم لمنطق أرسطو.

وسن القرن الثامن يمكننا ان نذكر الاساقفة النسطوريين مارأبا ويشاع بخت ودنحا الذين كانوا مترجين وشراحاً لكتب أرسطو. ثم طيماثاوس الأول الجاثليق (المتوفي سنة ٨٢٣) وفي أيامه نشطت حركة الارساليات النسطورية في آسيا الوسطى حتى بلاد الصين. وكان ذا مقام رفيع لدى الخلفاء العباسيين وقد عني بالدراسات الفلسفية عناية كبرى.

مدرسة نصيبين الاولى

تخلت فارس عن نصيبين لروما سنة ٢٩٨م. وهي مدينة من مدن الحدود تشرف على الطريق الرئيسي بين شمال ما بين النهرين وبين دمشق. وفي سنة ٣٠٠ أو ٣٠١ عُدّت مقرّ كرسي أسقفي وكان أول اسقف لها هو بابو وخلفه الأسقف يعقوب.

وقد حضر الأسقف يعقوب مجمع نيقية سنة ٣٢٥. وبعد ذلك بقليل أنشأ يوسطاثيوس Eustathius أسقف انطاكية مدرسة بها على غرار مدرسة الاسكندرية فحذا حذوه الأسقف يعقوب وانشأ مدرسة في نصيبين. وكان هدفها الأول نشر اللاهوت اليوناني بين المسيحيين الذين يتكلمون السريانية. وأقيم على رأس هذه المدرسة شيخ اسمه إفرام Ephrem امتاز بأعماله اللاهوتية والأدبية وصار الحجة المعتمدة في السريانية الفصحى.

أما مدرسة انطاكية، ففي اوائل عهدها نفي يوسطاثيوس سنة٣٣١م وترك المدرسة في رعاية فلايان Flavien الذي أشرك معه الناسك ديودوروس Diodorus . وهؤلاء الثلاثة كانوا من زعماء الخصومة مع أتباع أريوس.

سنة ٣٧٩ أصبح ديودوروس اسقفاً لطرسوس فتشتت مدرسة انطاكية ولكن أحد اساتذتها ويدعى تيودور Theodore عينّ اسقفاً على مصيصة Mopseuste . وصار ديودوروس أسقف طرسوس وتيودور، اسقف مصيصة يعدان أكبر أساتذة اللاهوت في الكنيسة السريانية. كانت هذه الكنيسة تصطنع اللغة اليونانية وتتبع انطاكية فكانت كتاباتها باللغة اليونانية.

وكان بين انطاكية واسكندرية نوع من الخلاف الفكري بالنسبة إلى تفسير الكتاب المقدس. كان لاهوتيو انطاكية أكثر ميلاً إلى النظرة الارسطية الوضعية الى الأشياء، مهتمون بالحقائق الملموسة المرئية. فمع اقرارهم بالوهية المسيح كانوا ينظرون بالاكثر إلى حياته الأنسانية، الأرضية. أما مدرسة الاسكندرية فكانت أكثر ميلا إلى الافلاطونية والى التفسير التأويلي الرمزي الصوفي في الحقائق الدينية. فالذي كان يشد اهتمامهم في المسيح كان لاهوته اكثر من ناسوته.

ويبدو أن هذا الاختلاف في الاسلوب المدرسي كان يزداد ظهوراً بفضل النعرة العنصرية بين السريان والمصريين. نعم لم يكن موقف هذين الاسقفين موضع ريبة من الوجهة الارثوذوكسية، ولكن اتهما في العصور التالية بأنهما كانا، بدون قصد، سبب نشأة المذهب النسطوري بالحاحهما على الوجه الانساني للمسيح. وعلى ذلك فقد أدين كلاهما رسمياً في المجمع المسكوني الخامس الذي انعقد في القسطنطينية سنة ٥٥٣.

أما نصيبين فقد وقعت في أيدي الفرس بعد حملة جوليان المنكودة ضد فارس سنة ٣٦٣. وقد اضطر افرام ان يترك المدينة ولجأ إلى الرُها. وانشئت مدرسة في هذه المدينة واستأنف افرام نشاطه فيها، بعثاً لمدرسة نصيبين، وقد عاش افرام اثنتي عشرة سنة بعد سقوط نصيبين ومات سنة ٣٧٥.

وفي سنة ٤١٢ نصب رابولا Rabbula اسقفاً على الرها. وكانت المدرسة تحت إشراف استاذ يدعى اهيبها Ahibha وقد صار اسمه في اليونانية إيباس Ibas . وكان قد حدث في كبادوكيا (Cappadocia) حركة احياء للعلوم وانتقلت الى الطائفة التي تتكلم السريانية خلال القرن الخامس. فاصبحت الرها مركزاً لهذه الحركة بين الشعوب المتكلمة بالسريانية وتمثل الجانب السرياني من الحياة العقلية اليونانية في الشرق.

ومن أبرز تلاميذ افرام زينوبيوس الجزري Zenobius Gaziraeus . هو الذي كتب ضد المرقونيين وكان معلماً لاسحق الانطاكي. وقد جرى في الرُها في أواخر القرن الرابع العمل في الترجمة من اليونانية إلى السريانية.

وكان لمدرسة الرها اركان وطيدة بين سكان ما بين النهرين وفارس ممن يتكلمون السريانية. وكان أكثر أساقفة الفرس من خريجيها عندما نُصّب رابولا اسقفاً على الرها في ٤١١ - ٤١٢ . وعين بعده بقليل إيباس رئيساً للمدرسة. وكانت عندئذ مؤلفات تيودور المصيصي وديودوروس الطرسوسي العمد المقررة في الكنيسة السريانية فترجم ايباس أعمال الأول، وتسهيلاً لفهمها، وضع ترجمة سريانية لايساغوجي فورفوريوس (اي المدخل) وترجمة كتاب «العبارة» لأرسطو، والتحليلات الأولى مع شروح فورفوريوس عليها. والذي قام بوضعها بروبوس Probus ، الذي كانا قساً وكبير أطباء في انطاكية.

المذهب النسطوري

كان نسطوريوس راهباً أنطاكياً نصب في سنة ٤٢٨ بطريركاً على القسطنطينية. وقد اصطحب أخاً راهباً من انطاكية اسمه انسطاس Anastasius وكان كلاهما من خريجي مدرسة انطاكية وتأثّرا تأثّرا كبيراً بمذهب تيودور المصيصي وديودوروس. وقد سببت احدى عظات انسطاس ضجة بين سامعيه. فقد انكر الواعظ إمكان إطلاق لقب «والدة الاله Theotokos على العذراء مريم، ذاهباً إلى انها لم تكن سوى أم لعيسى باعتباره بشراً آدمياً. ان تعاليم انسطاس لم تكن تعاليم ديودوروس وتيودور لانهم فيما يبدو لم يعرضوا لهذه المسألة. ولكن العامة رأوا في تعاليم انسطاس خروجاً عن العقيدة القديمة واحتدمت عواطفهم.

ورفعت الشكوى الى نسطوريوس فدافع عن موقف صديقه. فازدادت المعارضة وعلى رأسها كيرس بطريرك الاسكندرية. وأخيراً تدخل الامبراطور فعقد مجمعاً عاماً في افسس سنة ٤٣١ صدر فيه قرار بطرد نسطوريوس وحرمانه. ولكن كثيرين من السريان لم يقبلوا قرار افسس وانفصلوا عن الكنيسة الأرثوذوكسية وعرف هؤلاء المنشقون بالنساطرة.

ومؤدى موقف النسطورية هو ان في المسيح شخصين احدهما الهي والآخر انساني غير ملازمين بالضرورة أحدهما للآخر. فالمسيح عندما ولد كان انساناً محضا ثم سكنت فيه الالوهة كما في هيكل ولازمته إلى حين صلبه. حينئذ فارقته فلم يكن على الصليب سوى انسان متألم. ولذلك كان اتباع هذا المذهب يسمون العذراء مريم «والدة المسيح» وليس «والدة الله» Theotokos .

الفصل الرابع

مركز جنديسابور

في عام ٤٨٩ قرّر امبراطور بيزانطة اغلاق مدرسة الرها. فلجأ علماؤها الى فارس حيث وجدوا لدى الملك آنذاك احسن لقاء، فخصّص لهم مدينة جنديسابور القائمة بين السوس واكبتان وهي مدينة قديمة يرجع تأسيسها الى القرن الثالث ب.م.

ويقول الكاتب اوليري في كتابه عن علوم اليونان.. (ص١٩) ما يلي عن اصل هذه المدينة «بعد ان ذكر ان سابور قد استخدم اسرى منهم مهندسون او معماريون او أطباء او مساحون للأرض «فأسكن هؤلاء الأسرى المتعلمين في ثلاث مدن سمح لهم بأن يعيشوا فيها وفقاً لقوانينهم ويتكلموا لغتهم الخاصة ويتبعوا دينهم الخاص. وكانت احدى هذه المدن بالقرب من السوس Susa وهي شوشن المذكورة في العهد القديم والتي كانت احدى مدن المقر الملكي، وفيها كان الملك يتخذ مقامه الشتوي. ان مدينة العسكر الأسرى بالقرب من السوس كانت تسمى «به انديو شافور» اي «شافور خير من انطاكية (الطبري، تاريخ الأمم، الجزء الثاني، ١،٨٦١) او جنديسابور اي عسكر شابور. ولكن السوريين كانوا يسمونها بيت لابات أي بيت الهزيمة... وكانت جنديسابور في عهد الساسانيين عاصمة خوزستان».

وقد تمتع سكانها بحريتهم الدينية وأبيح للمسيحيين منهم بناء الكنائس وصيانتها. وكان لهم في احدى مدن المعسكر التي خصصت للأسرى ــ كنيستان يقام القداس في احداهما باللغة اليونانية وفي الأخرى باللغة السريانية.

لقد كان مار ابا اسقفاً عندما كان كسرى الأول انوشروان ٥٣١ ــ ٥٧٨ حاكماً. وكان انوشروان شديد الاعجاب بالثقافة اليونانية الرومانية. فرحب بالفلاسفة الذين شتتوا عندما اغلق جوستينيان مدارس اثينا. فرحب بهم وحرص على ان تقوم في فارس مدرسة عظيمة على غرار مدرسة الاسكندريه. فأنشأ مدرسة جنديسابور وكانت مشهورة بخاصة في الطب الذي لم يكن يدرس نظرياً فحسب بل عملياً في بيمارستان كبير كان انموذجاً لما كانت عليه الدراسة من بعد في العالم الاسلامي وفي جنديسابور اتصل ايضاً العلماء بعلماء الهند وجلبوا الى البلاد اعشاب طبية.

وقد استشار في سنة ١٤٨ هـ/ ٧٦٥ الخليفة المنصور رئيس أطباء بيمارستان جنديسابور وهو جورجيس بن بختيشوع حينما دعاه الى بغداد. ومن ذلك الحين بقيت اسرة بختيشوع طوال ثلاثة قرون ذات مكانة كبرى عند الخلفاء فمنها كان أطباء الخلفاء ووزراؤهم. وسنذكر اهم ممثلي اسرة بختيشوع عندما نعرض للشخصيات.

ومن بين الأطباء الآخرين في جنديسابور المشهورين يوحنا بن مساويه الذي هاجر الى بغداد في اول القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي). وجعله الخليفة المأمون سنة ٢١٥هـ/ ٨٣٠ رئيساً لبيت الحكمة. وتوفي في بغداد سنة ٢٤٣/٨٥٧م.

ومن المرجح ان اللغة العربية كانت معروفة في جنديسابور قبل استيلاء العرب على المدينة لأنها كانت بالقرب من الحيرة وهي مدينة عربية مشهورة. على كلٍ كان الأطباء بعد الفتح بقليل يستعملون اللغة العربية كما يشهد على ذلك ما يرويه ابن ابي اصيبعة عن جورجيس رئيس أطباء جنديسابور عندما التقى بالخليفة المأمون فكلمه باللغة العربية وباللغة الفارسية.

ومما يدل على مهارة الأطباء النسطوريين ومكانتهم عند الشعب، حكاية طريفة ذكرها الجاحظ في كتاب البخلاء. فهو يقول عن ارشد بن جاني وهو الطبيب البغدادي: «وكان (اسد بن جاني) طبيباً فأكسد مرة. فقال له قائل: السنة وبئة، والأمراض فاشية، وأنت عالم، ولك صبر وخدمة، ولك بيان ومعرفة. فمن اين تؤتى في هذا الكساد؟ قال: اما (واحدة) فاني عندهم مسلم. وقد اعتقد القوم قبل ان اتطبب، لا بل قبل ان اخلق، ان المسلمين لا يفلحون في الطب. واسمي (ثانية) اسد، وكان ينبغي ان يكون اسمي صليبا، ومراسيل ويوحنا، وبيرا. وكنيتي ابو الحارث وكان ينبغي ان تكون ابو عيسى وأبو زكريا، وأبو ابراهيم. وعليّ رداء قطن ابيض وكان ينبغي ان يكون رداء حرير اسود (اخيراً) لفظي لفظ عربي، وكان ينبغي ان تكون لغتي لغة اهل جنديسابور» (طبعة فلوتن ص ١٠٩؛ طبعة القاهرة ١٣٢٣ هـ ص ٨٥).

الفصل الخامس

الرَّهبنة وَالأديرة وحَالتها قبلَ الأسلام

إن من مميزات المسيحية في أوائل انتشارها حركة روحية خاصة نشأت من صميم تعليم وحياة السيد المسيح. فقد عاش المسيح بتولاً وعازفاً عن حياة الدنيا وملذاتها، بعيداً عن أبهة القصور ونعيم العيش، مقتنعاً بما يفي بالاحتياجات اليومية ويسد الرمق وبالرغم من أنه كان ينصح لمستمعيه أن يقوم كل بعمله الدنيوي على خير ما يرام، إلا أنه لم يزل يذكر تلاميذه على تفوق الحياة الروحية وعلى ان هناك حياة كمال تتحقق بالانقطاع الى الحياة إلى العبادة، وعمل الخير.

وقد اصطدم المسيحيون الأولون بالسلطة الرومانية لأنهم رفضوا ان يقدّموا القرابين إلى الأباطرة الذين ألّهوا أنفسهم وأرادوا أن يجعلوا أنفسهم في مستوى الالهة، فاضطهدوا من لم يذعنوا لأوامرهم، وساموهم أشد العذاب بل ساقوهم إلى ميادين الألعاب العامة والقوهم إلى الوحوش المفترسة. فمات كثير منهم شهداء مفضلين الاخلاص لسيدهم ومخلصهم يسوع المسيح.

ولما استتبت الأحوال السياسية وانتصرت المسيحية واصبح الأمبرطور قسطنطين موالياً للمسيحية، ازدهرت أحوالهم الاجتماعية ونشأت حياة اجتماعية لم تلتزم دائماً التعاليم المسيحية. فأخذت بعض النفوس المتعطشة إلى الكمال والراغبة في الامتثال بحياة المسيح والاقتداء بفضائله بل بآلامه، بالهروب من المجتمع المنغمس بالدنيويات، فلجأوا إلى الصحراء، وراء حياة تقشف وعبادة وعمل.

لقد أشرنا في النبذة التمهيدية عن نشأة المسيحية إلى أن أساس المسيحية هي الحياة مع المسيح حسب تعاليمه التي تتبلّور في الطوباويات: اجتناب كل ما هو يخالف ارادة الله كما وردت في الوصايا العشر والتحلي بالفضائل التي حققّها المسيح في حياته. وينطبق هذا البرنامج على جميع المؤمنين بدون تمييز بين كبير أو صغير، أو غني أو فقير أو متزوج أو عازب. ولكن هناك خطة أخرى، اختيارية، يَسْلكها من يريد الكمال. وقد أشار إليها السيد المسيح عندما جاء له (شاب) تقي مستفسراً قائلاً: أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية فقال له يسوع: «قد عرفت الوَصَايا لا تَقْتُل، لا تَزْنِ، لا تسرقْ، لا تشهد بالزور، أكرم أباك وأمك». فقال (الشاب)، كُلَّ هذا قد حفظتُه منذ صباي. فلما سمع يسوع ذلك قال له واحدة تُعْوِزُكَ بعْدُ: بِعْ كُلَّ شيءٍ لك وَوزعه على المساكين فيكون لك كنزٌ في السماء وتعالَ اتبعني (لوقا ١٨: ١٨ - ١).

وهناك شرط آخر للدخول في زمرة الذين يريدون الكمال هو التبتّل فقد قال المسيح: «إنّ من الخصيان مَنْ وُلدوا كذلك مِن بطون امهاتهم، ومنهم مَنْ خصاهم الناس، ومنهم من خَصَوْا أنفسَهُم من أجل ملكوت السموات، فمن استطاع أن يحتمل فليحتمل» (متى ١٩: ١٢).

وأخيراً يطلب السيد المسيح لمن يريدون الاقتداء به تماماً ان يزهدوا في الدنيا: «من أراد أن يتبعني فليكفُر بنفسه ويحمل صليبه ويتبعني. . ماذا ينفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟ . . .» (متى ١٦ : ٢٤). وقد فكّر المسيحيون في القرون الأولى للمسيحية وفهموا ان معنى هذا التفكير هي الطاعة لمن يمثل إرادة الله فيقول القديس بولس: «متكلماً عن المسيح»: لكنه أخلى ذاته آخذاً صورة عَبْدٍ صائراً في شِبْه البشر وموجوداً كبشرٍ في الهيئة. فوضع نفسه وصار يُطيع حتى الموتِ موت الصليب» فيلبس ٢ : ٦ - ٨).

ففي مدّة الاضطهادات كانت الطاعة إلى المسيح تصل إلى الاستشهاد: وبعد هذه الفترة الحرجة، اتخذت هذه الطاعة، لمن يريد الكمال، الالتزام باتباع رؤساء دينيين اختار أن ينتمي في جماعتهم.

ومنذ ابتداء المسيحية عاش جماعة الحواريين هذه الحياة الروحية مع المسيح. وبعد موت المسيح، نرى كثيراً من مسيحيي كنيسة أورشليم يتنازلون عن ممتلكاتهم الشخصية ويلتفون حول رؤساء ليعيشوا حياة فقر (انظر أعمال الرسل ٢ : ٤٤ - ٤٧؛ ٤ : ٣٤ - ٣٥؛ ٥ : ١ - ٥).

وتشير أيضاً أعمال الرسل الى وجود عذارى مكرسات لخدمة الله (وكان له «أي لفيلبّس المبشر» أربع بنات أبكار يتنبَّأن اعمال، ، ٢١ ، ٩) وينصح القديس بولس البتولية لمسيحيي مدينة كورنتس ولكن على شرط أن كل واحد يجب ان يتصرف حسب دعوته (كورنتس الأولى ٧؛١ - ١٨). وفي نفس الرسالة ينصح الرسول بولس للأرامل ألاّ يتزوجن (كورنتس الأولى ٨,٧). ويستنتج من رسالة أخرى أنه كان يوجد في بعض الأماكن جماعة من الأرامل يحاولن تحقيق حياةٍ كمالٍ ويقمن بوظائف مختلفة بالنسبة للخدمة (1 Tim. 9 - 12) ؟

كما انه يوجد في أواخر القرن الأول وفي ابتداء القرن الثاني رجال كفّوا عن الزواج وخصصوا مواهبهم المختلفة إلى التعليم الديني أو القيام بأعمال الخير المختلفة. وقد زاد عدد هؤلاء «المتعففين» على مرّ السنين. غير أن هؤلاء الأرامل والعذارى المتعففين كانوا يعيشون في عائلتهم بين ذويهم ولم يكونوا جماعات منظمة خاضعة لرؤساء مخصصين غير رؤسائهم الدينيين.

وقد كان الفضل للكنيسة المصرية في أواخر القرن الثالث عشر أن تعطي لكل هؤلاء الأشخاص منهاجاً للابتعاد من حطام الدنيا ثم طريقة الحياة الجماعية في الأديرة.

يرجع تأسيس الرهبانية المصرية بشكلها الحاضر إلى الآباء بولا وانطونيوس المعروف بأب الرهبان، وباخوميوس ومكاريوس المصري.

سيرة الأنبا بولا - وهو أول المتوحدين - كتبها القديس جيروم سنة ٣٧٤م. يقول القديس جيروم ان القديس أنطونيوس نفسه تكلم عن أنبا بولا فيقول انه في اضطهاد داكيوس Decius وفاليريان سنة ٢٥٠م كان بولا شاباً يافعاً عمره ١٦ سنة وكان متعلماً يتقن الخط القبطي واليوناني. ولكي يهرب بولا من غرور الغنى وتجاربه خرج باختياره من العالم ودخل في سفح احدى جبال العربة على البحر الأحمر (دير أنبا بولا الحالي) متسلحاً بالفقر والعوز ضد أهواء الجسد والعالم.

وظل بولا في توحده المطلق مختفياً عن العالم حتى سنة ٣٤١م. وعلم أنطونيوس أن بولا على وشك أن يلفظ أنفاسه الأخيرة أسرع اليه بالرغم من تقدم سنه، إذ كان أنطونيوس حينئذ قد بلغ ٩٠ عاماً من عمره ولكن لم يصل إلا بعد وفاته. فكفنه ودفنه وكان عمره ١١٣ سنة.

أما الأنبا أنطونيوس فهو يعتبر أول من أعطى السر الرهباني للعالم وذلك حينما لقّنه لأولاده. وقد قصّ حياته القديس اثناسيوس الرسولي. ولد أنطونيوس سنة ٢٥١م في بلدة كوما (فمن العروس الآن). وبعد وفاة أبويه أحسّ الشاب بخطورة الغنى وذاق لذة التنسك والفقر من أجل الله. فاستودع أخته بيتاً للعذارى وانطلق خارج المدينة يجرب العبادة الحرة وحياة النسك والتوحد. وعاش على الخبز والملح وبعض عطايا المحسنين.

لم يوفق انطونيوس كثيراً في هذه الوحدة بالقرب من المدن فصمم على التوغل داخل الصحراء الى سلاسل جبال العربة على البحر الأحمر أيضاً. فعبر أنطونيوس النيل إلى الصحراء الشرقية وهو ابن ٣٥ سنة وكان ذلك عام ٢٨٥م ولكنه توقف عند قلعة قديمة في صدر الصحراء فسكن فيها وكانت هي منطقة بسْبِير (مكان دير الميمون الآن في منتصف المسافة بين اطفيح وبني سويف) وعاش فيها في نسك شديد.

واستمر أنطونيوس عشرين سنة في بسبير. وفي هذه المدة التجأ إليه جمع كثير من أحبائه ومريديه وسكنوا حوله وعاشوا عيشته متمسكين بنسكه. وبعد إلحاح شديد من قبلهم وبعد مدة طويلة أذعن لطلبهم أن يراعيهم وكان ذلك سنة ٣٠٥م. وكان هذا تاريخ أول نشأة رهبانية في مصر رسمياً.

ومنذ ذلك الحين بدأت الصحراء تتقبل أفواج الحجاج وملأ الرهبان الصحراء بصورة سريعة وأخذ أنطونيوس ينتقل دائما بين جماعات أولاده من مكان الى مكان. وعلى هذا المنوال تكون أول نموذج للنظام الرهباني القبطي.

بداية حياة الكينوبيون Cenobium
أي المعيشة المشتركة عند القدّيس انطونيوس

كلمة «كينوبيون» تعني حياة مشتركة. وهي من مقطعين «كوينوس Koinos» مشترك، وبيوس Bios حياة. وتعني مؤسسة أو مكان به قلالي كثيرة أصحابها متحدون في نظام الحياة. وترادف في المعنى الوصفي تماماً كلمة مناستريون monasteriun وهي أصلا من كلمة يونانية معناها أن يعيش المرء بمفرده أو يحيا وحيداً وقد انحرف معنى هذه الكلمة وتطورت لتشمل معنى الدير بوصفه الحالي وهو جماعة يعيشون معاً حياة غير توحيدية على الاطلاق.

وانسان يعيش في «كينوبيون» هو عكس «المتوحد» (anachoretes) الذي يعيش منفرداً بعيداً عن الناس. وتعني هذه الكلمة انساناً انعزل وتخلف عن الحياة مع الناس.

وكما القديس بولا كان أول المتوحدين كذلك القديس انطونيوس كان أول أب لأول «كينوبيون» وكان يسمى التجمع الرهباني في صورته الأولى البسيطة باسم لفرا وتكتب Lavra. وتأتي في المخطوطات القديمة باسم «السيق» وجمعها الأسياق باللغة العربية (أنظر فهرس المخطوطات العربية للمكتبة الأهلية بباريس ص٦٩، حسب متى المسكين، الرهبنة القبطية، ص٤٥).

ومن مبادىء القديس انطونيوس ان طالب الرهبنة (الوحدة) ينبغي أن يعيش أولاً في «كينوبيون» وبعد ذلك إذا كمل في العبادة يخرج إلى الوحدة الكاملة.

بعد حياة روحية عميقة حافلة بجلائل الأعمال استقرت في أثنائها أوضاع الرهبنة. رقد مار انطونيوس في الثاني والعشرين من شهر طوبة سنة ٣٦٥م ودفن في مكان مجهول من كنيسة ديره كما سبق وأوصى تلاميذه بذلك ولم يترك خلفه اكثر من عكاز كان من نصيب القديس مكاريوس المصري ورداء بالٍ وجلدين من فراء الغنم أوصى أن يعطى الواحد مع الرداء للبابا اثناسيوس والآخر للأنبا سرابيون أسقف تمّي.

الأديرة النصرانية في الاسلام

لقد خصّص الاستاذ البّحاثة حبيب زيات بحثاً مطوّلاً تحت عنوان الديارات النصرانية في الاسلام. وهو بحث دقيق يدل على سعة اطلاع المؤلف ووقوفه على كثير من المصادر المخطوطة التي يصعب على غير المتخصص الوصول اليه. ونحن في وصفنا هذا لحالة الأديرة في المجتمع العربي الاسلامي في القرون الوسطى سنأخذ كثيراً مما اورده البحاثة الفاضل. وقد نشر بحث الاستاذ حبيب زيات في مجلة سنة ١٩٣٨.

ومن الغريب انه لا يوجد في مؤلفات القرون الوسطى المسيحية كتاب شامل عن الديارات في الاسلام. وغاية ما انتهى الينا في الكلام على طائفة منها المجموع الذي عني بكتابته الشيخ المؤتمن سعد الله بن جرجس بن مسعود، من اقباط السادس للهجرة وهو في مجلدين. طبع احدهما منحولاً للشيخ ابي صالح الأرمني، مع ترجمته الى الانجليزية عن الأصل.

B. T. A Evetts, The Churches Monasteries Of Egypt, Oxford 1895

وبقي الآخر مخطوطاً مخبوءاً في حوزة أحد كتبة القبط.

وقد نشر منذ بضعة سنين (سنة ١٩٧٢) الأب متى المسكين كتاباً ضخماً عنوانه: الرهبنة القبطيّة في عصر القديس انبا مقار (٨٨٠ ص مزود بالصور) ولكنه قاصر على أديرة القطر المصري.

أما عند المؤرخين والأدباء المسلمين، فالمؤلفات عديدة التي تناولت موضوع الأديرة. وقد حاول الأستاذ حبيب الزيات ان يحصيها وزاد عليها الاستاذ كوركيس عواد بيانات وتفاصيل هامة ونحن نورد هنا هذه المصادر:

١ ـ كتاب الحيرة وتسمية البيع والديارات ونسب العباديين لهشام بن محمد الكلبي المتوفي سنة ٢٠٤/ ٨١٩م. (إرشاد الأديب لياقوت ٧: ٢٥٣). وهو مفقود والأرجح انه هو نفس المصنف المشار اليه في كتاب مسالك الأبصار للشهاب العمري في الكلام على دير الاسكون (١: ٣١١).

٢ ـ كتاب الديارات لأبي الفرج الأصبهاني، صاحب كتاب الأغاني المتوفي سنة ٣٥٦/ ٩٦٦م (وفيات الأعيان لابن خلكان، ص ٤٢٦). مفقود. وبقيت نُقولٌ منه في معجم البلدان

لياقوت، ومعجم ما استعجم للبكري ومسالك الأبصار للعمري، وروايات شتّى عنه في كُتب الأدب.

٣ ـ كتاب الديرة للسريّ الرفّاء الموصلي الشاعر، المتوفي في بغداد سنة ٣٦٢/ ٩٧٢ ـ ٣م. وقد ضاع ولا يعلم لأحد رواية عنه.

٤ ـ كتاب الديارات لأبي الحسن علي بن محمد الشابشتي الكاتب المتوفي سنة ٣٨٨/ ٩٩٨م. ذكر فيه كل دير بالعراق والموصل والجزيرة والشام والديارات المصرية. وهو على اسلوب الديارات للخالديّين وأبي الفرج الاصبهاني (وفيات الأعيان ص ٤٢٦).

كان منه نسخة ثمينة مزوقة وقف عليها شمس الدين محمد بن طولون الدمشقي في القرن العاشر للهجرة (انظر ذخائر القصر في تراجم نبلاء العصر لابن طولون الحنفي، رقم ١٤٢٢ من الخزانة التيمورية).

وتوجد من هذا الكتاب نسخة مخرومة في مكتبة برلين سقط منها جانب من ديارات العراق، وكل ديارات الشام. ما خلا دير البُخْت. وفي دار الكتب المصرية نسخة عنها خطية قليلة الضبط وأخرى مصورة في الخزانة التيمورية وعنها صورة في مكتبة حبيب زيات. وقد توسع كثيراً في اخبار الشعراء والامراء الذين نظّموا في الديارات واتصلوا بها وذكر بعض من زارها من الخلفاء.

وقد عني بتحقيقه ونشره الاستاذ كوركيس عوّاد ببغداد سنة ١٩٥١ وقدم له مطولاً فأشار الى ما نشر من فصول هذا الكتاب، وترجم للمؤلف ترجمة مسهبة مشيراً الى مؤلفاته والى نهجه في كتاب الديارات كما اعطى بيانات دقيقة عن الكتب العربية القديمة الباحثة في الديارات وقد أضاف في آخر الكتاب عدة فهارس قيمة (١ ــ اسماء الأشخاص ٢ ــ اسماء الأمم والقبائل والجماعات والملل والنحل ٣ ــ اسماء الأمكنة والبقاع والديارات والأعمار والكنائس ٤ ــ اسماء الكتب والرسائل والمقالات والمجلات والجرائد ٥ ــ الآيات القرآنية والأحاديث والأمثال والحكم والأقوال السائدة ٦ ــ القوافي ٧ ــ فهرس عمراني (وفيه الألفاظ الدخيلة والمعربة، والمصطلحات وألفاظ النصرانية) ولغة الحضارة، والحيوان والنبات والأحجار، والمآكل والملبس والمسكن، وغير ذلك مما لم يدخل في الفهارس الأخرى السابقة) ٨ ــ فهرس محتويات الكتاب. وقد طبع طبعة ثانية سنة وقد حلل الاستاذ كوركيس بدقة نهج الشابشطي في كتابه وأشار الى انه» لم يورد في كتابه الاّ ما لذّ وطاب من مستملح الأخبار وبديع الصفات ولم يتعرض الاّ لما كان فيه متعة للقارىء» (ص ١٩).

اما من حيث الكلام على الديارات واحداً واحداً«فان الشابشطي حين يعقد فصلاً عن دير ما، ينوه بموقعه ورهبانه وما اشتهر به، ويورد شيئاً من اقوال الشعراء فيه، وقد يشير الى بعض الحوادث التي جرت فيه. فاذا فرغ من ذلك انتقل الى ايراد اخبار وحكايات ونكت وأشعار لا تتصل في جملتها بالدير ذاته بل تتعلق بأشخاص قالوا في ذلك الدير شعراً، او جرت لهم فيه حادثة، او وقع لهم خبر يتصل من قريب او من بعيد بذلك الدير» (ص ٢٠ ــ ٢١).

وقد يطيل احياناً الشابشطي الكلام على بعض الأديرة فيكاد ينفرد باستيعاب اخبار شخص من اعلام الأدب او السياسة او الادارة. فيورد طرفاً من اشعاره ان كان ممّن يقول الشعر او جانباً من اخباره ونوادره ومجونه.

ـ الاديرة والأعمار في البلدان والأقطار
ويعرف بكتاب الديارات الكبير لأبي الحسن علي بن محمد العدوى الشِمْشاطِيّ (المائة الرابعة للهجرة / العاشرة للميلاد) يقول عنه حبيب الزيات: وفي جزء من تاريخ بغداد لابن النجار «انه كان شاعراً يمدح الملوك. أصله من الموصل سكن بغداد ودخل واسط في سنة اربع وتسعين وثلثمائة» (٤/ ١٣٠٣) (رقم ٢١٣١ خزانة باريس ص ٣٤) وفي بغية الطلب في تاريخ حلب لابن النديم عدة مطالعات فيه وروايات عنه لم نجدها في غيره من كتب الديارات فلا شك انه كان أوسع اشتمالاً وأغزر فوائد منها كلها. ولذلك وصفه صاحب الفهرست بالكبير. ولعلّ هذا التوسع مع قلّة إقبال النساخ على كتابة غير مصنفات الحديث واللغة كان سبب إهماله وندرة نسخه (ص ٦).

ـ كتاب الدِّيَرَة لمحمد بن الحسن بن رمضان النحوي (ارشاد الأريب ٦: ٤٩٥) ذكره ابن النديم (الفهرست ص ٨٤) ولم يعين سنة وفاة مؤلفه. وعنه نقل ياقوت (معجم الأدباء ٦: ٤٩٥) وعن الثاني نقل السيوطي (بغية الوعاء، ص ٣٣) دون أن ينوّه بهذا الكتاب. وقد فُقِد.

ـ رسالة في دير مار سمعان العمودي ورهبانه. لقيصر الانطاكي من رهبان هذا الدير في المائة عشرة للميلاد. منها نسخة لدى ورثة رزق الله باسيل في حلب ذكرها الأب بولس سباط في فهرسته جـ ١، ص ٦٠ رقم ٤٩٢ ولم يصفها.

ـ رسالة في اديرة مدينة انطاكية ورهبانها، لقيصر الأنطاكي المار ذكره. منها نسخة لدى ورثة رزق الله باسيل في حلب، ذكرها سباط في فهرسته جـ ١، ص ٦٠، رقم ٤٩٣.

ـ أخبار أديرة ورهبان مصر. لفرج الله الاخيمي، الشماس القبطي من أهل المائة الرابعة عشرة للميلاد. هذا الكتاب لم يطبع منه نسخة خطية في خزانة القمص عبد المسيح صليب البرمومي المسعودي في القاهرة. ذكرها سباط في فهرسته (جـ ١ ص ٥٧، رقم ٤٣٩).

ـ وصف طور سينا وأبنيته لأفرام الشماس الذي عاش في أواخر المائة السادسة عشرة وأوائل السابعة عشرة للميلاد. قال في صدره: «نبتدىء بعون الله وحسن توفيقه نشرح عن دير طور سينا المقدس وعن الكنائس التي فيه وعلى قلاليه، وعلى الجبل المقدس وعلى الكنائس والقلالي التي فيه والديورة أيضاً... إلخ

ولهذا الكتاب جملة نسخ خطية، منها نسخة لدى ورثة القس ميخائيل بصال في حلب، ذكرها في فهرسته (جـ١، ص٣٠، رقم ٢١٢)، وثانية في خزانة كتب الفاتيكان Ar. No. 286، وثالثة في خزانة باريس (دي سلان رقم ٣١٢/ ٤)، وفي الخزانة الشرقية ببيروت (المشرق ـ ٩ ـ ١٩٠٦، ص٧٣٧) والمخطوطات العربية لكتبة النصرانية لشيخو (ص٣٧ الرقم ١١٢) وهذا الكتاب، نقله الى اللاتينية المستشرق الإيطالي اغناطيوس جويدي I.Guidi وطبعت الترجمة في مجلة: Revue Biblique, 3 juin, 1906, P.P. 433 – 442 ثم نشر الأب بولس شيخو اليسوعي نص هذا الكتاب في مجلة المشرق (٩/ ١٩٠٦ ص٧٣٦ ـ ٧٤٣، ٧٩٤ ـ ٧٩٩) بتعليق عليه.

ـ تاريخ دير الزعفران. لأيوب الراهب السرياني الآمدي بدير الزعفران كان حيًّا سنة ١٧١٧م منه نسخة لدى المطران إلياس هلولي السرياني بالقدس، ذكرها سباط في فهرسته (جـ٢، ١٩٣٩، ص١١، رقم ١٠٩٧).

وهناك كتب تاريخ أو آداب يوجد فيها أخبار عن الأديرة والأخبار منها:

ـ معجم ما استعجم للبكري المتوفى سنة ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م جـ١ ص٣٥٩ ـ ٣٨١ طبعة وستنفلد في غوتنجن (١٨٧٦)؛ أو جـ٢ ص٥٧٠ ـ ٦٠٧ بتحقيق مصطفى السقا (القاهرة ١٩٤٧). وفي هذا الباب صفة ثمانية وثلاثين ديراً.

ـ معجم البلدان لياقوت الحموي المتوفي سنة ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م جـ٢، ص٦٤٩ ـ ٧٠١م جـ٣، ص٧٢٤ ـ ٧٢٦ طبعة وستنفلد في ليبسك (١٨٦٧)؛ أو جـ٤، ص١١٩ ـ ١٨٥ وجـ٦، ص٢٢٠ ـ ٢٢٣ طبعة القاهرة (١٩٠٦).

ـ المشترك وضعاً والمفترق صفعاً لياقوت الحموي. ص١٨٩ ـ ١٩٢ طبعة وستنفلد في غوتنجن سنة ١٨٤٦. وصف فيه عشرة أديرة يشترك اسم كل منها في أكثر من موضع.

ـ آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني المتوفي سنة ٦٨٢ هـ/ ١٢٨٣م ص١٣١، ١٣٢، ٢٤٧، ٢٤٩، ٣٥٦، طبعة وستنفلد وقد تكلم في هذه الصحائف على تسعة عشر ديراً.

ـ مراصد الاطلاع في أسماء الأمكنة والبقاع لابن عبد الحق المتوفى سنة ٧٣٩هـ/ ١٣٠٨م جـ١، ص٤٢١ ـ ٤٤٣ طبعة ليدن سنة ١٨٥٢، ص١٧٤ ـ ١٨١ طبعة ايران على الحجر.

ـ مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري المتوفى سنة ٧٤٩ هـ. ١٣٤٨م: جـ١، ص٢٥٤ ـ ٣٨٦ بتحقيق أحمد زكي باشا. القاهرة ١٩٢٤. وفي هذا الباب نعوت مائة وستة أديرة استعان في كتابة بعضها بكتب الديارات لأبي الفرج الأصفهاني وللخالدين وللشابشتي.

ـ الدرّ الملتقط من كل بحر وسقط لمحمد بن علي بن محمود الكاتب الدمشقي. أنجزه في شهو سنة ٧٤٣هـ/ ١٣٥٢م وهو مخطوط في خزانة المتحف البريطاني بلندن (رقم Add 19408) وصفه سنة ٧٤٣هـ/ ١٣٥٢م وهو مخطوط في خزانة.

ـ الدرّ الملتقط من كل بحر وسقط لمحمد بن علي بن محمود الكاتب الدمشقي. أنجزه في شهور سنة ٧٤٣ ـ ٨/ ١٣٥٢م وهو مخطوط في خزانة المتحف البريطاني بلندن (رقم Add 19408) وصفه الاستاذ حبيب زيات في بحثه (ص ص ٦ ـ ٧). في الصفحات ١١٧ ـ ١٣٤ منه صفة تسعة عشر ديراً أولها دير الروم وآخرها دير مران بظاهر دمشق.

ـ ذكر ديارات النصارى. في كتاب الخطط للمقريزي اقتصر فيه على تعداد اديرة الديار المصرية وتعريف منشئيها وأحوالها. ونقل عن الشابشتي وياقوت الرومي أخبار ما كان مقصوداً منها للقصف واللهو.

وفي كثير من الكتب العربية الأخرى اشارات إلى الأديرة مثل: تاريخ الطبري، والكامل لابن الأثير، وتاريخ يحيى بن سعيد الانطاكي، والمجدل لعمرو بن متى، «والمجدل» لماري بن سليمان «والتاريخ السعردي»، «وتاريخ أبي صالح الارمني».

وذكر الاستاذ كوركيس عواد بعض الكتب التي تناول فيها مؤلفوها أخبار الرهبان وحياتهم في أديرتهم وما عندهم من نظم ورسوم يتبعونها مثل:

١ ـ أخبار الرهبان لأبي القاسم تمام بن محمد الرازي ذكره السخاوي والحاج خليفة دون ان يصفاه.

٢ ـ كنّاش الأديرة والرهبان، لأبي الحسن المختار بن الحسن بن عبدون المعروف بابن بطلان الطبيب البغدادي النصراني، المتوفي سنة ٤٤٤ هـ/ ١٠٥٢ م ذكر فيه الأمراض العارضة

لرهبان الأديرة ومن بعُد من المدينة. ومن هذا الكتاب بضع نسخ خطية: ١ ـ خزانة باريس الوطنية، دي سلان ٢/٢٩١٨ : ٢ ـ في غوطا رقم ٣/٣/١٩٥٢ ـ في غوتنجن (رقم ٩٧) ٤ ـ لدى أسرة حكيم في حلب (سباط، فهرست جـ ١، ص ٩، رقم ٢٧).

٣ ـ الرهبان في ديارتهم وهو فصل من كتاب «القوانين الرسولية والأحكام الدينية» فيه الكلام على رؤساء الديارات والرهبان وزيهم وحدود الرهبانية واتخاذ النساء والأخوات في رهبنة النساء.

٤ ـ رسالة في ترتيب الرهبان الذين كانوا في أديرة مصر، ليوحنا الراهب المتنسك الروماني المعروف كاسيانوس Cassien، المتوفي سنة ٤٣٣ م. نقلت الى العربية في تاريخ مجهول ولا يعرف اسم ناقلها. يوجد منها ثلاث مخطوطات انظر، سباط فهرس جـ ١ ص ٦١، رقم ٤٩٤.

٥ ـ كتاب تعليم الرهبان لمؤلف مجهول ضمن مجموع مؤرخ بسنة ١٢٦٥ م (سباط، مكتبة، جـ ١ ص ١٤٤ رقم ١/١٠٣١)

٦ ـ بستان الرهبان أو فردوس الرهبان، منسوب الى صفرونيوس بطريرك أورشليم، المتوفي سنة ٦٣٨ م والصواب أنه ليوحنا موسخوس Moschus . توجد منه مخطوطات عديدة (انظر مقدمة كوركيس عواد ص ٣٠).

الباب الخامس

المسيحيّون في بغداد

الفصل الأول

العلوم اليونانية عند السريان في الشرق الأدنى

انتقلت العلوم اليونانية التي كان مركزها الأساسي في الاسكندرية وفي أثينا إلى الشرق. فكانت الأماكن التي ازدهرت فيها هذه العلوم في المنطقة التي تتكلم السريانية والفارسية الوسطى هي الرها Edesse ، ونصيبين Nisibe والمدائن وجنديسابور في خوزستان بالنسبة إلى النساطرة؛ ثم أنطاكية وآمد بالنسبة إلى اليعاقبة وإلى جانب هذا كانت هناك مدارس في الأديرة اسمها بالسريانية «اسكول» المأخوذة من اللفظ اليوناني Scholae . وقد ألقت بحوث العلامة السمعاني ضوءاً على نظم هذه المدارس وطرق التدريس فيها. فقد صنع العرب من هذا اللفظ كلمة «اسكول» وهي تدل على مدرسة مسيحية أو مدرسة ملحقة بدير. وبطبيعة الحال كان يدرس فيها اللاهوت والعلوم الدينية بجانب بعض العلوم الدنيوية مثل النحو والبيان والفلسفة والطب والموسيقى والرياضيات والفلك.

وقد اقتصر التعليم الفلسفي فيها على بعض أجزاء المنطق الأرسطي والتعليم الطبي على مؤلفات ابقراط وجالينوس. وأهم هذه المدارس كان مدرسة دير القديس افثيوس في قنّسرين بسوريا.

وكان علماء هذا العصر غالباً من رجال الدين مثل الطبيبين الاسكندرانيين: سرجيوس وأهرن.

ومن بين رجال العصر السابق على الاسلام نجد: هيبا، الملقب بالترجمان من القرن الخامس وتلميذه بروبا (بروبوس) وكانا من أتباع المدرسة الفارسية في الرُها ومن القرن السادس أبو القشقري في عصر كسرى الثاني (٥٩٠ ـ ٦٢٨)، أحد ملوك الساسانيين وهؤلاء الثلاثة جميعاً نسطوريون.

أما اليعاقبة فنذكر منهم:

في القرن السادس: يونان الأبامي d'Apamée وسرجيوس الرأس عيني وكانا تلميذين بالاسكندرية ثم اصطفن بار صديله وأخوه دميّة. وإلى جانب هؤلاء المترجم السرياني لكتاب «أثولوجيا» المنسوب خطأً لأرسطو.

وفي العصر الأول للاسلام (القرن السابع الميلادي) من بين النسطوريين: سلوانوس القردي وحيناتيشو الأول الجاثليق ثم شمعون الراهب المعروف بطيبوبه الطبيب وللأخير كتاب في الطب مترجم فيما بعد إلى العربية وكان له أثر في تطور الطب الاسلامي.

ومن بين اليعاقبة في هذا القرن سويرس سيبوخت Sawiros Sebokht (المتوفى سنة ٦٦٧) وتلميذه أثناسيوس البلدي وأيوب الرهاوي (المتوفى سنة ٧٠٨) ثم جورجيوس (المتوفى سنة ٧٢٤م) أسقف العرب المسيحيين في الحوران (سوريا) وكان تلميذ هذين الأخيرين وقد اشتهر كشارح ومترجم لمنطق أرسطو.

ومن رجال القرن الثامن الأساقفة النسطوريين مارأبا Maraba ويوشع بخت Bekht ودنحا الذين كانوا مترجمين وشراحاً لكتب أرسطو. ثم طيماثاوس الأول الجاثليق (المتوفى سنة ٨٢٣) وكان ذا مقام كبير لدى الخلفاء العباسيين، وقد عني بالدراسات الفلسفية عناية كبيرة.

وفي النصف الثاني من القرن كان لمدرسة جنديسابور أهمية كبرى. ازدهرت في القرن الخامس في ايام الملك خسرو أنوشروان بفضل العلماء النساطرة الذين طردوا من الرها آنذاك. وكان الطب يدرس فيها ليس نظرياً فحسب ولكن عملياً أيضاً في بيمارستان كبير.

وفيها أيضاً اتصل الطب اليوناني والسرياني بالطب الهندي. وفي العصر الأموي لم يكن لمدرسة جنديسابور أي أثر في قيام مدرسة طبية. وانما بدأت العناية تتجه إلى هذه المدرسة في أوائل حكم العباسيين. فان الخليفة الثاني المنصور قد دعى رئيس أطباء بيمارستان جنديسابور جورجيس بن بختيشوع الى بغداد واستشاره سنة ١٤٨هـ - ٧٦٥م ومنذ ذلك الحين بقيت أسرة بختيشوع طوال ثلاثة قرون مكرمة من قبل الخلفاء. فمنها كان أطباء الخلفاء ووزراؤهم. وكان منها الأطباء المحترفون وأطباء البيمارستانات ومعلمو الطب والفلسفة. وآخر ممثل للأسرة هو عبيد الله ثم آخر ليس معروفاً تماماً هو علي بن ابراهيم بن بختيشوع (القرن الحادي عشر).

وأشهر أطباء جنديسابور هم: يوحنا بن ماسويه الذي هاجر إلى بغداد في القرن التاسع الميلادي وهناك أقام بيمارستاناً وجعله الخليفة المأمون سنة ٨٣٠م رئيساً لبيت الحكمة. ومن أشهر تلاميذه حنين بن إسحاق الذي خلفه كرئيس لبيت الحكمة. وتوفي يوحنا بن ماسويه في بغداد سنة ٨٥٧م.

وكانت شهرة الأطباء السريان النصارى في بغداد تثير الغيرة. وقد أشار إلى هذا الجاحظ باسلوبه اللاذع فقال في كتابه «البخلاء» عن أسد بن جاني الطبيب البغدادي:

«كان (أسد بن جاني) طبيباً فأكسد مرة فقال له قائل: السنة وبئة، والأمراض فاشية، وأنت عالم، ولك صبر وخدمة، ولك بيان ومعرفة، فمن أين تؤتى في هذا الكساد؟ قال أما (واحدة) فإني عندهم مسلم. وقد اعتقد القوم قبل أن أتطبب، لا بل قبل أن أخلق، أن المسلمين لا يفلحون في

الطب. واسمي (ثانية) أسد، وكان ينبغي ان يكون اسمي صليبا، ومراسيل، ويوحنا، وبيرا. وكنيتي أبو الحارث، وكان ينبغي أن تكون أبو عيسى، وأبو زكريا، وأبو ابراهيم. وعليّ رداء قطن أبيض، وكان ينبغي أن يكون رداء حرير أسود (أخيراً) لفظي عربي، وكان ينبغي أن تكون لغتي لغة أهل جنديسابور».

الفصل الثاني

نقل التراث القديم إلى العرب

حركة الترجمة
المسيحيّون في بغداد

إن نقل العاصمة الاسلامية الى دمشق كان له أهمية عظمى من حيث اتصال العالم العربي بالحضارة الغربية وبالتراث اليوناني بالذات. لأن دمشق هي المركز الذي اتصل فيه المسلمون للمرة الأولى بالفكر المسيحي لنقول «الفكر الاسلامي» لأن الاسلام تلاقى لأول مرّة مع المسيحية في جزيرة العرب لكنها كانت مسيحية غير صحيحة ومشوهة، كان يمثلها تقليد شفهي منطبع انطباعاً قوياً بالأناجيل المنحولة.

ولا شك انه كان للبيئة التي نشأ الاسلام فيها وللمسلمين الأوّل، بعض الاطلاع على الكتاب المقدس. لكن هذا الاطلاع تناول كتباً منحولة فقط. اما دمشق فكانت من الناحية المسيحية الثقافية وحدها، غير المدينة ومكّة، انها اصبحت منذ هدريانوس Hadrien معروفة إحدى العواصم، وهي لم تزل في عهد يوليانوس الجاحد Julien L'Apostat ، اجمل مدينة في الشرق. وحلّ الدين المسيحي فيها منذ بدايته، وسرعان ما اخذ في النماء حتى انتشر فيها انتشاراً واسعاً بحيث غدا اسقف دمشق يلي البطريرك فوراً في ربوع بطريركية انطاكية.

وعندما فتح العرب هذه البلدة تعهدوا لمواطنيها النصارى بإبقاء خمس عشرة كنيسة (٣ ــ ص ٥٦) مع الحرية التامة في ممارسة عباداتهم. وبقيت احدى هذه الكنائس، وهي كنيسة اليعاقبة، مجاورة لقصر الخليفة حتى في خلافة هشام (١ ــ ص ٥٧) ثم انّا اذ استثنينا بعض الاسماء، نجد عظام المسيحيين في دمشق قد عاشوا في عهد العرب: القديس سوفرونيوس (نحو ٥٥٠ الى ٦٣٨م) Sophrone والقديس اندراوس الاقريطي (نحو ٦٦٠ ــ ٧٢٠) Andre de Crète والقديس يوحنا الدمشقي Jean Damascène . كما انا نجد مسيحيين بين المقربين الى معاوية: طبيبه الأول مثلاً، ووزير امواله، ومربي اخيه، وشاعره المفضل الأخطل (٢ ــ ص ٥٧).

ثم لم يلبث استعراب البلاد ان اتاح لقومها ان يخالطوا الفاتحين. ولا شك ان العلاقات لم تقف عند المبادلات الاقتصادية والادارية بل جاوزتها الى المجال الديني والفكري ايضاً ولقد سبق ماسنيون Massignon في «معجمه للغة التصوف» بتوضيحه الرائع لمقدّمات التلاقح بين البيئة المفتوحة والدين الفاتح. ونبه بنوع خاص الى ضرورة الاتصال الاجتماعي اليومي، والى ما كان مفروضاً بين اللغتين من تجانس فكري وأخلاقي. ثم كانت البيئة العبرية المسيحية في الشام وما بين

النهرين مستوفية لتلك المقومات. فأدّى ذلك الى الاقتباسات الأدبية من اصطلحات في العقديات والزهديات. والى المقايسات المعنوية في البنى الفكرية من تأملات في الجحيم والجنة وطرق في محاسبة النفس، وتلاوة لأوراد السبحة الى تلاقحات خصبة.

لقد جمعت بين العرب المسلمين وأصحابهم المسيحيين حياة مشتركة اثناء القرنين الأولين للاسلام. وأمسى الاقتداء ببناء الصوامع ــ فيما يبدو ــ امراً ثابتاً كان المتصوفة المسلمون، حتى القرن التاسع يختلفون الى النساك المسيحيين يسألونهم في العقائد والحياة الروحيه وان عدداً لا بأس به من المقالات الأولى التي وضعت في الزهد الاسلامي يبدو نقلاً لموضوعات مسيحية بشيء من التوسع والتصرف.

وقد يصعب على الباحث ان يتبين القدر الذي اثرت به مناظرة رجال الدين المسيحي مع اوّل مفكري الاسلام في دمشق. ولنا ان نرجو التوصل الى التوضيحات التاريخية اللازمة في هذا الصدد. الا انا، على كل حال، لن نكون مبالغين اذا قلّنا انه كان يوجد، منذ القرن الثامن الميلادي مناظرات جدلية تدل على النشاط الذي قام به علماء مسيحيون، ولا سيّما القديس يوحنا الدمشقي وتلميذه الاسقف ثيودوروس ابو قرّة.

دارت المناقشة خاصة حول مسألتين: مسألة القدر ومسألة خلق القرآن. فلا بدّ لنا من وقفة يسيرة عندهما. ونلاحظ أولاً ما يلي: ان للجدل عند هؤلاء المؤلفين شكلاً مكتملاً تطوره. فانه قد ادرك مرحلة من النماء لا يستهان بها. فلنا ان نقول ان المناظرات الدينية قد ابتدأت قبل ذلك بلا محالة.

لا شك ان مسألة القدرية التي إليها تردّ، في نهاية الأمر، مسألة القدر. هي مسألة في أساسها تتصل بالانسان. ويسعنا ان نتساءل: الم يكن مجرّد النظر في نص القرآن الذي يتجاذبه الخصمان كلّ من طرفه، هو الذي بعث على المناقشة؟ إنه لأمر محتمل. ولكن الذي يبدو اشد احتمالاً هو ان الخصام نشأ اولاً لدى الجدل الذي نشب مع المسيحيين. فانا نرى القديس يوحنا الدمشقي مثلاً يذكر «الجبرية» على انها ليست سوى عقيدة اسلامية (٢ ــ ص ٦٠) والنمط الذي يسير عليه في مناقشته يشبه من كل وجه ذلك الذي يتقيد به انصار القدرية في الاسلام (٣ ــ ص ٦٠) اليس يروي في حديث مأثور: «لعلك ان تبقى بعدي حتى تدرك قوماً اشتقوا قولهم من قول النصارى» (٤ ــ ص ٦٠).

ولقد تألفت من هؤلاء القدرية في الشام فئة عديدة ذات نفوذ. فانهم خلعوا الوليد، وأحلوا محلّه على عرش الخلفاء احد ذويهم. وكان الحكام ينظرون اليهم نظرة فيها الكثير من الحذر، لأن عقيدتهم في قدرة الانسان تقيد السلطة التي لا قبل لها بالمجادلة. اولئك هم القدرية المحتكمون الى العقل ومبادئه. كانوا اول من ادخل في الاسلام عمل الفكر على الصعيد النظري. فلم يلبث ان مد نفوذه، بعد سنوات، الى العقيدة في سائر تعاليمها. كان الأمويون يؤثرون بتأييدهم انصار الجبر الذين ينفون القدرة في الانسان. فيسعهم بعد ذلك ان يتصوّروا سلطة الخلفاء الحاكمين تحقيقاً لا

مردّ له للارادة الالهية: كل ما يقع من افعال الانسان وسواها مما اشبهها انما يكون بأمرٍ من كان على كلّ شيءٍ قديراً، وانه ليكون بخلقٍ مباشر (١ ــ ص ٦١).

٢ ــ القرآن ــ الكلام غير المخلوق

ثم نشأت مسألة ثانية كان على الظروف بعد ذلك أن تزيدها خطراً. وهي مسألة القرآن غير المخلوق التي تعود بأصلها، فيما يبدو، وكما أثبته بكر Becker (٢ ـ ص ٦١) إلى مسألة «الكلمة» نحن نعلم أن القرآن يقول في عيسى: إنه «كلمة الله» أو روحه. وما كان ليشقّ على مسيحي تأويل هذه التسميات. ومن هنا نشأ الاعتراض الذي وجهه أهل الجدل من المسيحيين إلى المسلمين: من هو المسيح؟ ـ انه كلمة الله ـ فهل هذه الكلمة مخلوقة أم غير مخلوقة؟ ان كانت غير مخلوقة كان المسيح هو الله، وان كانت مخلوقة لم يكن الله، قبل تولدهما، ذا كلمة وروح. وبكلام آخر: كان المسيحيون يستخدمون البرهان بالكلمة المخلوقة أو غير المخلوقة ليرغموا المسلمين على الاعتراف بلاهوت المسيح. فاضطر المسلمون إلى الاجابة. وربما كان ذلك هو الأصل في مناقشة القضية: هل القرآن مخلوق أو غير مخلوق.

وكذلك القول في مسألة صفات الله. فالظاهر أن الجدل المسيحي هو الذي أفضى إلى مناقشتها في الاسلام. كان الجدليون المسيحيون قد أثبتوا أن التجسد جائز، وانه لا يمسّ الله في تنزيهه، وكان منهم ذلك رداً على اليهود والهراطقة. ثم جاء تيودورس بن قرّة، وعوّل على الأدلة ذاتها لإقناع المسلمين (٢ ـ ص ٦٢)

الفصل الثالث

مساهمة العلماء المسيحيين في تعريب التراث اليوناني وفي حركة النهضة إبان الخلافة العباسية

لما كان المطلوب منّا في كتابنا هذا هو أن ندرس مساهمة العلماء المسيحيين في تشييد وإنماء الحضارة العربية فلا بد، من الوجهة المنهجية، ألاّ تتجاوز حدود هذا البحث لأن دراسة حركة التعريب برمّتها واسعة متعددة الأطراف فقد نقل، بجانب كتب أصلها يوناني، كتبٌ عديدة عن الفارسية، والهندية، والنبطية. ولكن بموجب ثقافتهم لم يكن للعلماء المسيحيين مساهمة في نقل هذا النوع من الكتب.

ومن جهة أخرى إذا قلنا «تراث يوناني» فنقصد كل ما يتصل بالنشاط الفكري والفني والأدبي لعلماء اليونان غير أن، لأسبابٍ عدّة درسها مؤرّخو الحضارة العربية، لم يوجّه رجال العلم والسلطة العرب اهتمامهم إلاّ لما كان يلائم حاجاتهم الاجتماعية، ومميزاتهم القومية والدينية فأهملوا مثلاً التاريخ، والآداب (أنظر أحمد أمين) ووجهوا كل عنايتهم نحو التراث الفلسفي والعلمي.

والخطة التي سنتبعها هنا هي هذه:

سنعطي أولاً: قائمة الناقلين من التراث اليوناني إلى العربية إما مباشرة أو بواسطة اللغة السريانية.

ثانياً: سنجمع بطريقة مقتضبة في قائمة شاملة، ما نقل من التراث اليوناني على يد هؤلاء النقلة.

ثالثاً: سنعطي أسماء العلماء المسيحيين الذين اشتهروا في ميدان من ميادين العلم والفلسفة مكتفين بالاشارة إليهم إذ سنخصّص لكل واحد منهم، إذا كان مشهوراً، نبذة في القسم الخاص بالأشخاص.

ويجدر بنا أن نشير إلى أهم المصادر التي نستند عليها لاستقاء هذه البيانات.

أما المصدر الأول فهو بلا جدال. «فهرست» ابن النديم الوراق البغدادي الذي وضع كتابه سنة ٩٨٧ أي في صميم القرن العاشر الميلادي. وكان متصلاً اتصالاً وثيقاً بأكبر علماء وفلاسفة عصره، يورد هو نفسه أسماءهم في كتابه: يحيى بن عديّ، وابن سوار، وعيسى بن علي وسليمان

السجستاني، أي فيما يكاد يكون نهاية حركة النقل والترجمة كان عمل حنين بن اسحاق ومدرسته قد اكتمل وكان يحيى بن عدي «رئيس المدرسة» في عهد النقل الثاني قد مات منذ عشر سنوات.

وكان فهرست ابن النديم مصدراً لمن جاء بعده مثل صاعد الأندلسي (المتوفى سنة ٤٦٢ هـ / ١٠٦٩ م). في كتابه «طبقات الأمم»، والقفطي (المتوفى سنة ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م). في كتابه «أخبار العلماء بأخبار الحكماء»، وابن أبي أصيبعة (المتوفى سنة ٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م). في كتابه عيون الأنباء في طبقات الأطباء.

ونحن ننقل هنا ما أورده ابن النديم في «الفهرست» عندما يعطي: أسماء النقلة من اليونانية الى لعربية.

١ ــ اصطفان القديم ونقل لخالد بن يزيد بن معاوية كتب الصنعة وغيرها.
٢ ــ البطريق، وكان في أيام المنصور وأمره بنقل أشياء من الكتب القديمة.
٣ ــ ابنه ابو زكريا يحيى بن البطريق وكان في جملة الحسن بن سهل.
٤ ــ الحجاج (بن يوسف) بن مطر فسرّ للمأمون وهو الذي نقل المجسطي وأقليدس.
٥ ــ ابن ناعمة واسمه عبد المسيح بن عبد الله الحمصي الناعمي.
٦ ــ سلاّم الأبرش من النقلة القدماء في أيام البرامكة ويوجد بنقله السماع الطبيعي...
٧ ــ حبيب بن بهرنير، مطران الموصل فسرّ للمأمون عدة كتب.
٨ ــ ذروبا بن ماجوه الناعمي الحمصي.
٩ ــ هلال بن أبي هلال الحمصي.
١٠ــ تذاري.
١١ــ فثيون.
١٢ــ أبو نصر بن ماري بن أيوب.
١٣ــ بسيل المطران.
١٤ــ أبو نوح (ابراهيم) بن الصلت.
١٥ــ اسطات.
١٦ــ هيرون.
١٧ــ اصطفن بن باسيل.
١٨ــ ابن رابطة.
١٩ــ تيوفيلي.
٢٠ــ شملي.
٢١ــ عيسى بن نوح.
٢٢ــ قويري واسمه ابراهيم ويكنى ابا اسحق
٢٣ــ تدرس السنقل.
٢٤ــ دريع الراهب.
٢٥ــ هيابتيون.

٢٦ـ صليبا.
٢٧ـ أيوب الرهاوي.
٢٨ـ ثابت بن قمع.
٢٩ـ أيوب وسمعان فسرّا زيج بطلميوس لمحمد بن خالد بن يحيى بن برمك وغير ذلك من الكتب القديمة.
٣٠ـ باسيل وكان يخدم (طاهر بن الحسين) ذا اليمنيين
٣١ـ ابن شهدي الكرخي نقل من السرياني الى العربي نقلاً رديئاً فمما نقل كتاب الأجنة لبقراط.
٣٢ـ أبو عمرو يوحنا بن يوسف الكاتب أحد النقلة ونقل كتاب افلاطون في اداب الصبيان.
٣٣ـ أيوب بن القاسم الرقي نقل من السريانية الى العربية ومن نقله كتاب ايساغوجي.
٣٤ـ مرلاحي في زماننا، جيّد المعرفة بالسريانية، عفطي الالفاظ العربية ينقل بين يدي علي بن ابراهيم الدهكي من السريانية الى العربية ويصلح نقله ابن الدهكي.
٣٥ـ داديشوع كان يفسر لاسحاق بن سليمان بن علي الهاشمي من السريانية إلى العربية.
٣٦ـ قسطا بن لوقا البعلبكي جيّد النقل، فصيح اللسان اليوناني والسرياني والعربي، وقد نقل أشياء، وأصلح نقولاً كثيرة...
٣٧ـ حنين (بن اسحاق).
٣٨ـ اسحاق (بن حنين بن اسحاق).
٣٩ـ ثابت بن قرة (الحرّاني).
٤٠ـ حبيش (بن الحسن بن الأعشم الدمشقي)
٤١ـ عيسى بن يحيى.
٤٢ـ الدمشقي.
٤٣ـ ابراهيم بن الصلت (ابو نوح).
٤٤ـ ابراهيم بن عبد الله.
٤٥ـ يحيى بن عَدِيّ

وجميع هؤلاء النقلة، ما عدا قلّة هم من العلماء المسيحيين.

ويمكننا ان نضيف من مصادر أخرى:

ـ سنان بن ثابت بن قرّة
ـ عيسى بن اسحاق بن زُرْعة
ـ يعقوب بن اسحاق الكندي
ـ عمر بن الفرخان الطبري؟
ـ (أبو بشر) متّى بن يونس: من دير قنى تفقه في مدرسة مار ماري على يد أساتذة عظام وإليه انتهت رئاسة المنطقيين في عصره.
ـ يوحنا بن ماسويه.
ـ آل بختيشوع وهم من السريان النساطرة.

ـ آل ماسرجويه: أولهم ماسرجويه متطبب البصرة وهو يهودي المذهب سرياني اللغة وكان ينقل من السريانية الى العربية.
ـ موسى بن خالد، ويعرف بالترجمان نقل كتباً كثيرة من الستة عشر لجالينوس وهو دون حنين.
ـ سرجيس الرأسي: هو من مدينة رأس العين في جزيرة العراق. نقل كتباً كثيرة وكان متوسطاً في النقل وحنين كان يصلح نقله.
ـ الجاثليق طيموثاوس الأول النسطوري.
ـ ابو الفرج بن الطيب.

أما ما انجزوا من عمل فهو بارز في قائمة الكتب التي نقلوها إلى العربية وهي التي تعتبر نواة النهضة الفكرية التي حدثت إبان ذلك.

وعمور الفلسفة اليونانية أفلاطون وأرسطو: وفي الطب ابقراط وجالينوس.

أسس المنصور العاصمة الجديدة، بغداد وكان الخليفة شديداً حازماً انشغل في حروب كثيرة وأمضى معظم أيام حكمه الطويلة في تثبيت دعائم دولته وبناء مدينته.

كان المنصور ميالاً الى التنجيم وهو أول خليفة قرب المنجمين وعمل باحكام النجوم (المسعودي جـ ٢، ص ٣٦٤) وكانت صناعة النجوم رائجة عند الفرس. ومن أشهر الجماعة الذين نبغوا فيها نوبخت المنجم فقد أسلم وكان يصحب المنصور حيثما توجه. ثم تلاه ولده أبو سهل بن نوبخت وتوالى آل نوبخت في خدمة العباسيين وترجموا لهم كتباً في الكواكب واحكامها.

وخدم المنصور أيضاً في النجوم ابراهيم الفزاري وابنه محمد، وعلي بن عيسى الاسطرلابي المنجم.

وعندما مرض المنصور في أواخر أيامه (سنة ١٤٨ هـ) ولم يفلح أطباؤه بشفائه فقالوا «ليس في وقتنا هذا أحد يشبه جورجيس رئيس اطباء جنديسابور» وهو جورجيس بن بختيشوع السرياني. وكان رئيس بيمارستان جنديسابور أشهر مدارس الطب في تلك الأيام. فجاء الى بغداد جورجيس مع اثنين من تلامذته هما ابراهيم وعيسى بن شهلا فعالج جورجيس الخليفة وشفاه. فمنعه الخليفة من الرجوع الى بلده.

وقد حكى ابن ابي أصيبعة حكاية طريفة في هذا الصدد تدل على الثقة التي كان الخلفاء يبدونها نحو أطبائهم المسيحيين. فقد علم المنصور أن جورجيس خلّف امرأته في جنديسابور وليس عنده في بغداد من يخدمه فارسل إليه ثلاث جوار روميات وثلاثة آلاف دينار فقبل الدنانير وردّ الجواري فلما عاتبه المنصور في الغد أجابه «انا معشر النصارى لا نتزوج إلا بامرأة واحدة وما دامت المرأة حية لا نأخذ غيرها» (طبقات الأطباء جـ ١، ص ١٢٤).

وكان العلماء السريان في جنديسابور يؤلفون الكتب الطبية على شكل كنانيش كما أنهم ترجموا الى السريانية كتباً طبية لقدماء اليونان. فلما أتوا إلى بغداد واصلوا عملهم هذا وترجموا والّفوا بالعربية.

وعلى مر الزمن ودخول العناصر الأجنبية في الدولة الاسلامية انتشرت المذاهب المناهضة للتوحيد فكثر الزنادقة وظهرت آراؤهم في الناس وألحّت الحاجة إلى تصنيف كتب لابطال تلك المذاهب واللجوء إلى حجج عقلية لا توجد إلا في ميدان المنطق والفلسفة. وزد على ذلك ان ائتلف الخلفاء بذكر الفلسفة وأصبحوا إذا فتحوا بلداً ووجدوا فيه كتباً لا يأمرون باحراقها أو اعدامها بل يأمرون بنقلها إلى بغداد للاحتفاظ بها ونقلها إلى العربية. فقد أمر مثلاً هارون الرشيد طبيبه يوحنا بن ماسويه بترجمة بعض هذه الكتب (طبقات الاطباء جـ ١، ص ١٧٥) ولكنها ليست من الفلسفة في شيء وانما هي في الطب اليوناني.

أما الكتب الفلسفية فلم يقدم العرب على ترجمتها إلا في ايام المأمون (٨١١ - ٨٣٣ م) ويرجع السبب أولا الى نزعته نحو التفكير المعتزلي وولعه بعلوم الأقدمين وثانياً إلى الحاجة إلى آلة فكرية تمكن العلماء المسلمين من دحض آراء الزنادقة وأصحاب المانوية والزرادشتية. وتأييداً لصحة الجدل أمر المأمون بنقل كتب الفلسفة والمنطق من اليونانية إلى العربية ثم جعل الترجمة عامة لكل مؤلفات أرسطو وشراحه في الفلسفة وغيرها. فأثارت تعطشاً الى العلوم الوضعية وعناية بالاستيضاح ورغبة في التنسيق بين العلوم الانسانية كلها.

وفي بغداد انشأ المأمون دار الحكمة أو بيت الحكمة وكما يقول العلامة ميز إن مجرد اسم هذه المؤسسة يدل على الفرق بينها وبين دور الكتب القديمة. وكانت دار الكتب قديماً تسمى خزانة الحكمة وهي خزانة كتب ليس غير، أما المؤسسة الجديدة فتسمى دار العلم وخزانة الكتب جزء منها (انظر Due Renamance 169 - 176)؛ (الحضارة الاسلامية، جـ ١، ص ٢٩٤) ولا شك أن المأمون كان في ذلك مقلداً لأكاديمية جنديسابور القديمة. وكانت تحوي هذه الدار شرّاحاً، ونقلة أي مترجمين إما من الفارسية إلى العربية وإما من اليونانية إلى العربية. وقد أرسل المأمون وفداً من علماء حاشيته إلى القسطنطينية للحصول على مخطوطات من هناك؛ كما أنه كان يوجد قسم للتجليد ثم توزع الكتب بحسب اللغات. فارسية، سريانية، يونانية. وكل قسم تحت رئاسة مسئول.
لحسن بن سهل بن نوبخت الحجاج بن يوسف بن مطر اللي قام بنقل أصول الهندسة لأقليدس نقلين: الهاروني والمأموني. ويوحنا بن البطريق وعمر بن الفرقان الطبري، ويوحنا بن ماسويه.
ولكن الشخص الذي أحدث نقطة تحول في تاريخ بيت الحكمة هو بلا جدال حنين بن اسحاق العبادي. وستخصص له ترجمة في القسم الثاني لنكتف هنا بالاشارة الى انه كان يتقن أربع لغات: السريانية وهي لغته الأصلية ثم الفارسية واليونانية والعربية. رحل الى كثير من البلاد في العراق وسوريا وفلسطين ومصر (الاسكندرية) للحصول على نوادر المخطوطات وقد ترجم إلى السريانية من كتب جالينوس خمسة وتسعين كتاباً وترجم إلى العربية منها تسعة وثلاثين. هذا إلى أنه راجع ترجمة تلاميذه فاصلح ستة كتب مما نقل إلى السريانية ونحواً من سبعين كتاباً إلى العربية كما راجع وأصلح معظم الخمسين كتاباً التي كان قد ترجمها إلى السريانية سرجيس الرأسعيني وأيوب الرهاوي وغيرهما من الاطباء المتقدمين.

وبعد دراسة طويلة في «حركة الترجمة في المشرق الاسلامي في القرنين الثالث والرابع للهجرة». وهي رسالة دكتوراه نشرت سنة ١٩٨٢. يقول الاستاذ رشيد حميد حسن الجميلي: «ان من

الباحثين من يرى ان الاسلام كان هو المسؤول عن ظهور جماعة العلماء والفلاسفة الذين انجبتهم هذه المدارس ولولاه لما ظهرت هذه الطائفة من رجال العلم والفلسفة»... (ص ٢١٨). فيعلق على هذا الرأي قائلاً: «والواقع ان هذا القول بعيد تماماً عن الحقيقة ولا يعبّر عن واقع المدارس التي درسناها آنفاً. إذ من المعلوم ان معظم هذه المدارس كانت موجودة قبل ظهور الاسلام وقد اشتهرت بعلمائها البارزين في حينه وبمصنفاتهم الخالدة التي ذاعت شهرتها في كل مكان..» ص ٢١٩ الى أن قال: «ومهما يكن من امر فان مدارس الترجمة هذه قد لعبت دوراً رئيسياً في عملية ازدهار الحضارة الاسلامية...» (ص ٢٢٠).

كتب الفلسفة

كتب أفلاطون

١ - السياسة	نقله حنين بن اسحاق
٢ - المناسبات	نقله يحيى بن عدي
٣ - النواميس	نقله حنين ويحيى بن عدي
٤ - طيماوس	نقله ابن البطريق وأصلحه حنين
٥ - أفلاطن إلى أقرطن	نقله يحيى بن عدي
٦ - التوحيد	نقله يحيى بن عدي
٧ - الحسّ واللذة	نقله يحيى بن عدي
٨ - أصول الهندسة	قسطا بن لوقا

كتب ارسطاطليس

الأوغاتون

١ - قاطيغورياس أي المقولات	نقله حنين بن اسحاق
٢ - كتاب العبارة	نقله حنين إلى السريانية واسحاق الى العربية
٣ - تحليل القياس	نقله تيادروس واصلحه حنين
٤ - كتاب البرهان	نقله اسحاق إلى السريانية ومتّى إلى العربية
٥ - كتاب الجدل	نقله اسحاق إلى السريانية ويحيى إلى العربية
٦ - كتاب المغالطات أو الحكمة المموهة	نقله ابن ناعمة وأبو بشر إلى السريانية ويحيى إلى العربية
٧ - الخطابة	نقله إلى اسحق وابراهيم بن عبد الله
٨ - الشعر	نقله ابو بشر من السريانية إلى العربية

الطبيعيات

١ ـ كتاب السماع الطبيعي	نقله أبو روح الصابي وحنين ويحيى وقسطا وأبو ناعمة
٢ ـ كتاب السماء والعالم	نقله ابن البطريق وأصلحه حنين
٣ ـ الكون والفساد	نقله حنين الى السريانية واسحاق الدمشقي الى العربية
٤ ـ الآثار العلوية	نقله أبو بشر ويحيى
٥ ـ كتاب النفس	نقله حنين الى السريانية واسحاق الى العربية
٦ ـ كتاب الحس والمحسوس	نقله أبو بشر متى بن يونس
٧ ـ كتاب الحيوان	نقله ابن البطريق

الإلهيات

كتاب الحروف والالهيات	نقله اسحاق ويحيى وحنين ومتى
لأخلاق	نقله اسحاق
المرآة	نقله الحجاج بن مطر
اثولوجيا	نقله حمصي بن نعيمة وراجعه الكندي

ولكتب أرسطو شرح وتعاليق لبعض تلامذته أو من جاء بعده كثاوفرسطس Theophraste وديدوخس برقلس Diadochus Proclus والاسكندر الأفروديسي Alexandre D'Aphrodise وفرفوريوس Porphyre وامونيوس Ammonius وثامسطيوس Themistius ونيقولاوس Nicolas وفلوطرخس Plurarque ويحيى النحوي Philopon وغيرهم.

ولبعض هؤلاء مؤلفات خاصة وكلها في الفلسفة وفروعها. وقد نقل كثير منها إلى العربية.

وذكروا لجالينوس في جملة كتبه الطبية الآتي بيانها بضعة كتب في الفلسفة والأدب وهي:

كتاب ما يعتقده رأياً ترجمة ثابت بن قرّة.

كتاب تعريف المرء عيوب نفسه نقله توما وأصلحه حنين.

كتاب الأخلاق نقله حبيش.

وكتاب انتفاع الأخيار باعدائهم نقله حبيش.

وكتاب المحرك الأول لا يتحرك نقله حبيش وعيسى وغيرها.

٢ ـ كتب الطب وفروعه

كتب ابقراطHippocrate

عهد ابقراط	نقله حنين إلى السريانية وحبيش وعيسى إلى العربية
كتاب الفصول	نقله حنين لمحمد بن موسى
كتاب الكسر	نقله حنين لمحمد بن موسى
كتاب تقدمة المعرفة	نقله حنين وعيسى بن يحيى
كتاب الأمراض الحادة	نقله عيسى بن يحيى
كتاب ابيلاديا أو الأمراض الوافدة	نقله عيسى بن يحيى
كتاب الأخلاط	نقله عيسى بن يحيى لأحمد بن موسى
كتاب قاطيطريون أي حانوت الطبيب	نقله حنين بمحمد بن موسى
كتاب الماء والهواء	نقله حنين وحبيش
كتاب طبيعة الإنسان	نقله حنين وعيسى

كتب جالينوس

ولد جالينوس في آسيا الصغرى عام ١٣١م وتوفي في روما سنة ٢٠١م ألف جالينوس عدداً كبيراً من الكتب الشاملة لجميع أقسام الطب في زمانه كما ألف كتباً فلسفية. وكان اعجابه بابقراط عظيماً ففسّر أهم كتبه.

وكان لجالينوس شأن كبير عند العرب فترجموا معظم كتبه إلى العربية ولخصوها وفسروها. وقد ذكرها ابن أبي أصيبعة مطولاً في كتابه ووضح مضمون بعضها. وأشار إلى أن أطباء الاسكندرية قد اختاروا من بين هذه المجموعة من الكتب ستة عشر كتاباً ورتبوها سبع مراتب بحيث يتدرج المبتدىء من مرتبة إلى أخرى بنظام محكم ويشتاق إلى المزيد وهي:

١ ـ كتاب الفرق ٢ ـ الصناعة ٣ ـ كتاب النبض ٤ ـ شفاء الأمراض ٥ ـ المقالات الخمس ٦ ـ الاسطقصات ٧ ـ كتاب المزاج ٨ ـ القوى الطبيعية ٩ ـ العلل والأمراض ١٠ ـ تعرف علل الأعضاء الباطنة ١١ ـ كتاب النبض الكبير ١٢ ـ كتاب الحميات ١٣ ـ البحران ١٤ ـ أيام البحران ١٥ ـ تدبير الأصحاء ١٦ ـ حيلة البرء.

وقد نقلها حنين بن اسحاق إلى العربية إلا الأرقام (١١) و (١٥) و (١٦) فقد نقلها حبيش.

أما ما بقي من كتب جالينوس الطبية فإليك اسماءها مع أسماء ناقليها:

١ ـ التشريح الكبير ٢ ـ اختلاف التشريح ٣ ـ تشريح الحيوان الحي ٤ ـ تشريح الحيوان الميت ٥ ـ علم ابقراط بالتشريح ٦ ـ الحاجة إلى النبض ٧ ـ علوم أرسطو ٨ ـ تشريح الرحم ٩ ـ آراء

ابقراط وافلاطون ١٠ ـ العادات ١١ ـ خصب البدن ١٢ ـ المني ١٣ ـ منافع الأعضاء ١٤ ـ تركيب الأدوية ١٥ ـ الرياضة بالكرة الصغيرة ١٦ ـ الرياضة بالكرة الكبيرة ١٧ ـ الحث على تعليم الطب ١٨ ـ قوى النفس ومزاج البدن وقد نقلها كلها حبيش الأعْسم.

١٩ ـ حركات الصـدر ٢٠ ـ علل النفس ٢١ ـ حركة العضـل ٢٢ ـ الحاجـة إلى النفس ٢٣ ـ الامتلاء ٢٤ ـ المرة والسوداء نقلها اصطفان وأصلحها حنين.

٢٥ ـ الحركات المجهولة ٢٦ ـ علل الصوت ٢٧ ـ أفضل الهيئات ٢٨ ـ سوء المزاج ٢٩ ـ الأدوية المفردة ٣٠ ـ المولود لسبعة أشهر ٣١ ـ رداءة التنفس ٣٢ ـ الذبول ٣٣ ـ قوى الأغذية ٣٤ ـ التدبير الملطف ٣٥ ـ مداواة الأمراض ٣٦ ـ ابقـراط في الأمـراض الحـادة ٣٧ ـ إلى تراسوبولـوس ٣٨ ـ الطبيب والفيلسوف ٣٩ ـ كتب ابقراط الصحية ٤٠ ـ محنة الطبيب. نقلها كلها حنين بن اسحاق.

٤١ ـ أفلاطون في طيماوس نقلها حنين واسحاق ٤٢ ـ تقدمة المعرفة نقلها عيسى ٤٣ ـ القصد نقلها عيسى واصطفان ٤٤ ـ صفـات لصبـي يصرخ و ٤٥ ـ الاورام نقلها ابـن الصلـت ٤٦ ـ الكيموس نقلها ثابت وحبيش ٤٧ ـ الأدوية والأدواء نقلها عيسى ٤٨ ـ الترياق نقلها ابـن البطريق.

وهناك كتب في الطب وتوابعه ذكرها ابن النديم في الفهرست ولم يذكر ناقليها. وأما مؤلفوها فمنها بضعة وعشرون كتاباً لروفوس Rufus من أهل افسس كان قبل جالينوس ولعلها لم تنقل كلها.

ومما ذكر ناقلوه بضعة كتب لاورباسيوس Oribasius وهي كتاب الأدوية المستعملة نقله اصطفان بن باسيل وكتاب السبعين مقالة نقله حنين وعيسى بن يحيى إلى السريانية وكتاب إلى ابنه اسطات نقله حنين، وكتاب إلى أبيه أرنافيس نقله حنين. ولاسكندروس كتاب البرسام نقله ابن البطريق وغير هؤلاء مما لم يعرف ناقلوه.

وهناك كتاب ذا أهمية كبرى في المادة الطبية هو «كتاب الحشائش» لصاحبه ديسقوريدس. وهو طبيب يوناني ولد في عَينْ زَربة (Anazarbe) في آسيا الصغرى في القرن الأول بعد الميلاد. وقد صاحب الجيش كطبيب في تنقلاته في بلاد البحر الأبيض المتوسط مما سمح له الاطلاع على أعشاب جديدة والتحقق الشخصي من صحة ما ورد في كتب سابقيه عن المادة الطبيّة. وظل كتابه المرجع الأساسي (Standard 8 book) على مرّ الأجيال للمفردات الطبية فما من طبيب ذي قدر إلا ودرسه درساً مطوّلاً وعلّق عليه منذ جالينوس إلى ابن سينا وداود الأنطاكي.

وقد ترجم الكتاب إلى العربية ببغداد في أيام جعفر المتوكل (٨٤٧ ـ ٨٦١م). وكان المترجم له اصطفان بن بسيل وتصفح هذه الترجمة حنين بن اسحاق فصححها وأجازها.

لتاريخ هذه الترجمة وصعوبة اختيار المصطلحات العربية المناسبة وانتشار هذه الترجمة في البلاد العربية قصة طويلة رواها ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء (جـ٢ ص ٤٦ ـ ٤٨) انظر أيضاً الأمير

مصطفى الشهابي: تفسير كتاب ديسقوريدس لابن البيطار في مجلة معهد المخطوطات العربية (مايو ١٩٥٧، ص ١٠٥ - ١١٢).

كتب الرياضيات والنجوم وسائر العلوم

ويشتمل النظر في ذلك على علم النجوم والهندسة والحساب والموسيقى والميكانيكا.

(١) كتب اقليدس Euclidus منها أصول الهندسة نقله الحجاج بن مطر نقلين: الهاروني، نسبة للخليفة هارون الرشيد، والمأموني نسبة للخليفة مأمون ونقله اسحاق بن حنين وأصلحه ثابت بن قرة ونقله أبو عثمان الدمشقي.

ومن كتب اقليدس التي لم يعرف مترجموها: كتاب الظاهرات وكتاب اختلاف المناظر، وكتاب الموسيقى، وكتاب القسمة. وكتاب القانون، وكتاب الثقل والخفة.

(٢) كتب ارخميدس Archimedes وهي عشرة ولم يعرف ناقلوها.

(٣) ابولونيوس Apollonius صاحب كتاب المخروطات، وكتاب قطع السطوح، وقطع الخطوط، والنسبة المحدودة، والدوائر الحماسة ولم يعرف ناقلوها.

(٤) منالاوس Menelaus له كتاب الأشكال الكروية، وكتاب أصول الهندسة نقله إلى العربية ثابت بن قُرَّة.

(٥) بطليموس القلوذي Ptolemaus صاحب كتاب المجسطي الشهير AZlmagiste نقله وفسره يحيى البرمكي. ولبطليموس أيضاً كتاب الأربعة نقله ابراهيم بن الصلت وأصلحه حنين، وكتاب جغرافيا المعمور وصفة الأرض نقله ثابت إلى العربية نقلاً جيداً ولبطليموس ١٥ كتاباً آخر من الجغرافية وغيرها لم يعرف ناقلوها.

(٧) ذيوفنطس: له كتاب صناعة الجبر نقله قسطا بن لوقا وهناك كتب عديدة في الرياضيات والهيئة والأزياج ونحوها ذكرها ابن النديم ولم يذكر ناقليها منها:

كتاب العمل بالاسطرلاب المسطح لابيون البطريق.
وكتاب جرم الشمس والقمر لارسطرخس.
وكتاب العمل بذات الحلق.
وكتاب جداول زيج بطليموس المعروف بالقانون المسير.
وكتاب العمل بالاسطرلاب وكلها لثاون الاسكندري Theon d'alexandrie

وقد نقل أيضاً إلى العربية من كتب الموسيقى عن اليونانية كتاب الموسيقى الكبير لينغوماخس الجهراسيني.

كتاب الموسيقى المنسوب لاقليدس.
ومقالات في الموسيقى لفيثاغورس وغيره.

وكتاب الريموس.
وكتاب الايقاع لارسطكاس.
وكتاب الآلات المصوتة المسماة بالأرغن البوقي والأرغن الزمري لمورطس.
كتاب الحيل الروحانية.
كتاب شيل الأثقال لايرن.
كتاب استخراج المياه لبادروغوغيا.
كتاب الآلات المصوتة على ستين ميلاً لمورطس.

القسم الثاني

الباب الأوّل

شعراء عرب مسيحيّون

الفصل الأول

شعراء مسيحيون قبل الاسلام

من أهم الشخصيات العربية التي ساهمت في إحياء التراث العربي في القرن التاسع عشر، يحتل الأب لويس شيخو منصباً مرموقاً. فقد اكتشف عدداً كبيراً من المخطوطات القديمة وحققها كما ألّف في أوجه عديدة من التاريخ والآداب كتباً قيّمة.

أسس مجلة المشرق والمكتبة الشرقية في جامعة القديس يوسف في بيروت. فكان من العاملين، بنشاطٍ مستمر، في ازدهار اللغة العربيّة ونشر كنوزها المطوية. من أشهر مؤلفاته: «مجاني الأدب في حدائق العرب»، و«شعراء النصرانية» و«علم الأدب». فضلاً عن ٢٥ مجلداً من المشرق كان يحرّر منها إلى وفاته قسماً لا يستهان به. توفي سنة ١٩٢٧.

وقد وجه اهتماماً بالغاً في البحث والتنقيب عن وجود وأثر الشعراء المسيحيين في الجزيرة العربية قبل الاسلام ونشر دواوينهم واستخراج ما يشتمّ من خلالها تعاليم المسيحية. وقد لفت نظر الباحثين إلى هذا الميدان الذي لم يُعْطَ قبله الاهتمام الكافي.

وبالرغم مما أخذ عليه عديدٌ من النقاد التسرعَ في الوصول إلى النتائج وضعف بعض براهينه إلاّ ان الكمية الضخمة من الوثائق والنصوص التي جمعها أرغمت المؤ رخين والأدباء ان يغيروا نظرتهم الخاصة بوجود المسيحية ونشاطها الأدبي قبل الاسلام. فقد أحصى الألفاظ العربية التي ينم استعمالها عن صلة بالمسيحية من الاعلام مثل سيرجيس أو عبد المسيح أو أسماء عامة مثل قلاية وقلّيس وجاثليق وبطرك وأسقف أو أرغن، فيثار، سنتور، انجيل، جهنم، خوري، مصحف، صومعة، منارة، أبيل، دَيْر بيعة الخ...

ولا شك أن عدداً من القبائل العربية قبل الاسلام كانت قد تنصّرت إما بأجمعها أو على الأقل، جزءٌ كبيرٌ منها. ففي شمال الجزيرة، من رُصَافة إلى معانٍ، ومن دمشق إلى الحيرة، كانت توجد القبائل المسيحية الآتية: تَنوخ، حِمْيَر، تَغْلب*، غسّان، بَهْراء سَليح، وبالقرب منها شرقياً: اللخميانيون، في الجنوب كان لقبائل كَلْب وإياد، وبكر، وعِجْل، وشيبان نسبة كبيرة من المسيحيين كما عند جيرانهم في الشرق والجنوب مثل بني طيّ وتميم؛ وفي وسط الجزيرة بنو كِنْدة، وفي الجنوب الأقصى والشرق الأقصى من الجزيرة بنو الحارث وعبد القيس.

---

* وكانت تغلب منتشرة في الجزيرة وضواحيها، وكانت من أعزّ القبائل حتى قيل «لو أبطأ الاسلام لأكلتْ بنو تغلب الناس».

وقد خصّص أحد الباحثين المعاصرين، الأب حُشَيْمة»، وهو كالاب لويس شيخـو من الابـاء اليسوعيين، رسالة دكتوراة لنقد كتاب الأب شيخـو عن «المسيحية والأدب المسيحـي في جزيرة العرب قبل الاسلام* وجاء النقد في موضوعية تامة وأشار إلى ما يعوز أحياناً كتاب الأب شيخو من الدقة العلمية التامة. وبعض إهماله نصوصاً لم تكن في متناوله حين ألف كتابه ونزعة «انضمامية» تريد اعتبار شاعر مسيحياً استناداً على أهون الدلائل. ولكن بالرغـم من هذا النقـد الصريح، يعترف بالمجهود الجبار الذي قام به الأب شيخو وتجديد ميدانٍ كان مهملاً آنذاك أو كان يقال فيه عموميّات خالية من الدقة والتعمق. وقد أبرز الأستاذ حشيمة بحثه في جدول نثبتـهُ هنـا إتمامـاً للفائدة.

يميّز الاستاذ حشيمة بين أربعة أصناف من الشعراء الذين وصفهم الأب شيخو كأنهم مسيحيون.

١ ـ مسيحي أكيد.
٢ ـ بالأرجح مسيحي أي مسيحي راجح.
٣ ـ ضعيف الاحتمال أي مسيحي مرجوح.
٤ ـ مسيحي موقوف، أو بمعْنى أدق، ليس هناك ما يدل على أنه مسيحي.

* Camille Hechaimé, S.J. Louis Cheikho et son Livre Le christianisme et la littérature chrétienne en Arabie avant L'Islam. Etude critique. Beyrouth, Dar – Machreq (imprimerie catholique). 1967.

	مسيحي أكيد	مسيحي راجح	مسيحي مرجوح	مسيحي موقوف
عَبيد بن الابرص				●
عَدِيّ بن زَيْد	●			
الأَفْوه الأَوْدي				●
عَلْقمة بن عبدة				●
عَمْرو بن كُلْثوم		●		
عَمْرو بن قَميئة				●
عنترة بن شدّاد				●
الأَعْشى			●	
أوس بن حجر				●
بسطام بن قَيْس		●		
دُرَيْد بن الصِمّة				●
الحارث بن حِلِزّة				●
حاتم الطائي				●
الخِرْنِق				●
مُرَقّش الأكبر				●
مرقش الأصغر				●
المسيّب بن عَلَس				●
المتَلَمّس				●
النابغة الذبياني				●
سلامه بن جندل				●
طَرفة				●
أميّة بن أبي الصَلْت			●	
عُرْوة بن الورْد				●
زُهَيْر بن أبي سُلْمى				●
أمْرُؤُ القيس				●

وسنختصر بِنُبَذٍ قصيرة عن بعض الشعراء الذين ثُبِتَتْ أو رُجّحت شخصيتهم المسيحية.

عمرو بن كلْثوم (توفي في أوائل القرن السابع)

من قبيلة تَغْلب كان أبوه سيّد قومه وكانت أمه ليلى بنت المهلهل أخي كليب المشهور. نشأ الشاعر في جوٍّ من العزّ والسؤدد، معجباً بنفسه وبقومه. وقد صار سيّداً لقومه وهو في الخامسة عشرة من عمره.

لم يفز بالدفاع عن قومه ضد بكر في محاكمة تمت أمام عمرو بن هند فرجع ساخطاً. ثم دعاه الملك لزيارته مع أمه فحصل ما عدّته أمه مذلاً لها فغضب عمرو وضرب الملك بالسيف وقتله (٥٧٠؟).

شعره مرجع تاريخي واجتماعي، قويّ العاطفة، متين السبك، له ديوان ومعلقة مطلعها:

ألا هُبّي بِصَحْنِكِ فاصْبَحينا ولا تُبْقي خمور الأندرينا[1]

وفيها:

مَلأنا البرَّ حتى ضاق عَنّا وظَهْرَ البَحْرِ نملَؤُه سفينا
لنا الدنيا ومن أضحى عليها ونبطشُ حين نبطش قادرينا
إذا بَلَغ الفِطامَ لنا صَبيٌّ تَخِرُّ له الجبابِرُ ساجدينا

أميّة بن أبي الصلت (توفي سنة ٦٣٠)

من رؤساء ثقيف وفصحائهم. وهو شاعر مشهور من شعراء الطبقة الثانية وقيل من الطبقة الأولى. قرأ الكتب القديمة وتهذب أحسن تهذيب. وفي شعره ألفاظ مجهولة لا تعرفها العرب كان يأخذها من الكتب القديمة فمنها قوله:

قَمَرٌ وساهورٌ يُسلُّ ويُغْمَدُ

وكان يسمي الله عز وجل في شعره «السَّلْطيط» فقال:

والسلطيط فَوْقَ الأرض مُقْتَدِرٌ

وروي عن مصعب بن عثمان أنه قال: «كان أميّة بن أبي الصلت قد نظر في الكتب وقرأها ولبس المسوح تعبداً، وكان ممّن ذكر إبراهيم وإسماعيل والحنيفية وحرّم الخمر ونبذ الأوثان وكان محققا والتمس الدين، وهو القائل:

كُلّ دينٍ يَوْمَ القيامة عِنْدَ الله إلاّ دِينَ الحنيفة زورُ

ولما مرض مرضه الذي مات فيه جعل يقول: قد دنا أجلي وهذه المرضة منيتي وأنا أعلم أن الحنيفية حق ولكن الشك يداخلني في محمد. ولما دنت وفاته أغمي عليه قليلاً ثم أفاق وهو يقول:

---

(١) (الصحن ـ القدح الكبير. اصبحينا: اسقينا صباحاً. الاندرين. قرية تقع جنوبيّ حلب على مسيرة يوم للراكب.

لَبَّيْكـما لبيكمـا ها أَنَـذَا لَـديْكمـا

وردّد هذا ثلاث مرات ثم أقبل على القوم فقال: قد جاء وقتي فكونوا في أهْبتي. وحدّثهم قليلاً حتى يئس القوم من مرضه وأنشأ يقول:

كُلُّ عَيْشٍ وان تطـاول دَهْراً منتهى أمـرِه إلى أن يَزُولاَ
ليتـي كنـتُ قبـل ما قد بدا لي في رؤوسِ الجبـال أرْعَـى الوُعولا
فاجعـل الموت نصـب عينـك واحْذَرْ غَوْلَـةَ الدَهْـرِ إنَّ للدهْـرِ غُولا

وكانت وفاته في السنة الثانية للهجرة.. ومن شعره قوله وكان الرسول إذ سمعه يقول: كاد أميّة يسلم:

الحمـد لله مُمْسَانَـا ومُصْبَحَنَا بالخـيرْ صَبَّحَنَـا ربّـي ومسَّانا
رَبَّ الحنيفـة لم تنفَـدْ خزائِنُها مَمْلُـوءَةٌ طَبَّـقَ الآفـاق سُلْطَانا
ألا نبـيٌ لنـا مِنَّـا فيخبرنا ما بَعْـد غايتنـا من رأس مَحْيَانا
بَيْنَـا يُرَبِّبنَـا آباؤُنـا هَلَكوا وبَيْنَا نَقْتَنِـي الأولاد أفْنَانَا
وَقَـد عَلِمْنَـا لو آن العلـم ينفعُنَا انْ سَوْفَ يَلْحَـقُ أخرانـا بأولانا

وقد ورد في شعره وصف للتوحيد والكمالات الالهية وأشاد بدين يسميه الحنيفة، وذكر قصّة تضحية ابراهيم لابنه. جمع المستشرق فريدريك شولتس شعره المتفرق (صحيحه ومنحوله) ونشره في ديوان طبع في لايبسيك (١٩١١).

بسْطام بن قيس الشيباني (٦٠٠م)

المروي عن شعره قليل. والغالب عليه الاشتهار بالفروسيه. وقد لخص ترجمته الأب شيخو عن العقد الفريد، وياقوت وعن مجموعة خطّ قديمة وعن التاريخ الكامل لابن الأثير. وقد ذكر بعض شعره المأخوذ عن سيرة عنترة.

فمن شعره قوله مهنئاً عنترة:

بـدوامِ سعْيك تسعـدُ الأمدادُ وبِفضْـلِ مجـدِك تشهـدُ الأمجادْ
عَشْرٌ لعشر أنامـل لك في النـدا للخلْـقِ من بركاتهـا إمدادُ
كَفٌ بمعـروفٍ لهـا معروفَةٌ ويَدٌ لِبَـذْلِ بذْلها مُعْتادُ
لـم يَخْـلُ من بذلٍ يمينُـكَ مِثلما لم يَخْـلُ منـكَ مِنَ الـولاءِ فُؤادُ
يهنيك هذا العِرْسُ ما بين الملاَ يا فارسَ الأزمـانِ والجوّادُ
لا زِلـتَ في نِعَـمٍ تَعُـمُّ وعيشةٍ مَرْضِيَّةٍ ومَزِيدُهـا يَزْدادُ

عَدِيّ بن زيد

شيخو، شعراء النصرانية ص ٤٣٩ ـ ٤٧٤ جواد علي، جـ ٦ ص ٦٦٢ ـ ٦٦٩

عدي بن زيد بن حمّاد، من شعراء البلاط في الجاهلية. نزل قومه الحيرة فاختلطوا بالعباد وتحضروا ودانوا بالنصرانية ولذلك عرف بالعبادي. واتصل زيْد بن حمّاد، والد عديّ بأحد الدهاقين من الفرس، فقربه إلى كسرى الأول أنوشروان (٥٣١ ـ ٥٧٩م) وكان زيد قد حذق العربية والفارسية فولاّه كسرى شؤون البريد. وقد تولىّ الحيرة مدّة.

وفي الحيرة نشأ عَديّ فدرس العربية والفارسية ثم اتصل بهرمز الرابع (٥٧٩ ـ ٥٩٠)، فتولى الكتابة في ديوانه ورأس وفداً إلى بلاد الروم، بهدية إلى الامبراطور طيباريوس الثاني (٥٧٨ ـ ٥٨٢). فساح في المملكة البيزنطية، وزار دمشق فأقام أمداً فيها. ثم عاد إلى الحيرة. وارتفع نجمه في البلاط وتزوج هنداً بنت الملك النعمان ثم ساءت الأحوال بينهما. فاحتال النعمان على عديّ حتى استقدمه من المدائن، فطرحه في سجن الصنين مدّة حتى إذا شعر بتدخل ملك الفرس، أرسل فخنق السجين (٥٨٧؟).

وله شعر كثير في «الأغاني» و«الشعر والشعراء والجمهرة». تضلع عديّ بن زيد بالعربية والفارسية، وتخرج في أنواع الأدب والفروسية، متأثراً بالحضارة الفارسية وهي في أوجها، على عهد كسرى أنوشروان، كما أنه تأثر بالثقافة النصرانية في بيزنطة وبين قومه وقد زادت أسفاره العديدة في سعة أفقه وفي ثقافته. وأرهفت عواطفه بما توالى في آخر حياته من أحداث مؤلمة. فيقول الأستاذ افرام البستاني: فتجلى كل ذلك في شعرٍ رائع خالف به تصوّر البدو وأسلوبهم، كما خالفهم في حياته وثقافته، حتى كان الأصمعي وأبو عبيدة يقولان ـ وقلّما اتفقا في حكم ـ: «عديّ بن زيد في الشعراء بمنزلة سهيل في النجوم، يعارضها ولا يجري معها مجراها». بيد أن التميميين ظلّوا على تذوّق شاعرهم الكبير، «لا يفضلون عليه أحداً» بشهادة حمّاد الراوية. (المجاني الحديثة، بيروت ١٩٤٦، ص ٢٤٨).

ولقربه من الريف وسكناه الحيرة، لانت ألفاظه فحُمِلَ عنه كثير. وإلا فهو مقلّ. ومن مشهوراته «داليته» الطائرة الذكر وهي من مجمهرات العرب ضَمّنها أجود الحكم ومطلعها (من الطويل):

أتَعْرِفُ رَسْمَ الدار من أم مَعْبد　　　نَعَمْ وَرَمَاكَ الشوقُ قَبْلَ التجلّدِ

وقد ورد في قصيدة قيل أنه نظمها في معاتبة النعمان على حبسه بيت فيه قسم «بربّ مكة» والصليب:

سعى الأعداء لا يألون شراً　　　عليك وربّ مكّة والصليب

ومن الغريب أن يلجأ مسيحي إلى القسم بربّ مكة... وهي مجمع الأصنام والأوثان وكعبة الوثنية في الجاهلية. غير أن الأب شيخو يرى أن هذا البيت دليل على انتشار النصرانية في مكة وعلى تنصر احياء منها. وأن البيت هو في الأصل كنيسة بنيت بعد المسيح بعهد قليل بناها النصارى

الذين جاءوا إلى هذه المدينة وسكنوها. وقد بقي منها صور الأنبياء وصورة عيسى وأمه مريم (انظر فيما سبق ما قيل في المسيحيين في مكة).

ولهذا كان النصارى الجاهليون يحجّون إليها ويقدسونها ولهذا السبب أقسم عدي بها، وأقسم الأعشى كذلك بها حيث قال:

حلفت بثوبي راهب الدير والتي بناها قصّي والمضاض بن جرهم

(انظر جواد علي جـ ٦ ص ٦٦٦).

ونسبت لعدي بن زيد أبيات فيها حكايات من العهد القديم مثل هذه الأبيات:

اسمع حديثاً لكي يوماً تجاوبه عن ظهْر غيبٍ إذا ما سائل سألا
أن كيف أبدى إلـه الخلق نعمتَه فينا وعرفنا اياته الأولا
كانت رياحاً وماءً ذا عرانية وظلمة لم يدع فتقاً ولا خللا
فأمر الظلمة السوداء فانكشفت وعزّل الماء عما كان قد شغلا
وبسط الأرض بسطاً ثم قدرها تحت السماء سواء مثل ما فعلا
وجعل الشمس مصراً لاخفاء به بين النهار وبين الليل قد فصلا
قضى لستة أيام خلائقه وكان آخر شيء صوّر الرجلا
دعاه آدم صوتاً فاستجاب له بنفخة الروح في الجسم الذي جبلا

(جواد علي جـ ٦ ص ٦٦٨)

ونسب لعدي هذا البيت:

وأهبط الله إبليساً وأوعده ناراً تلهب بالإسعار والشرر

ويقول الأستاذ جواد علي (جـ ٦ ص ٦٦٨). لم ترد كلمة (ابليس) في شعر منسوب لشاعر جاهلي آخر، إنما وردت كلمة (شيطان) في شعر منسوب إلى أميّة بن أبي الصلت.
ومما قاله: (من الخفيف)

إن للدَهْرِ صَوْلَةً فاحْذَرْنَها لا تنامَنّ قد أمِنْتَ الدهورا
قد يَبيتُ الفتى صحيحاً فَيَرْدى بعد ما كان آمناً مسروراً
إنما الدهر لَيِنٌ ونَطوحٌ يترك العَظيم واهياً مكسوراً
فَسلِ الناس اين آل قُبيْس طحطح الدَهْرُ قبلهُمْ سابورا
لا أرى الموتَ يسبقُ الموت شيءٌ نَغّصَ الموتُ ذا الغِنى والفقيرا

ميمون بن قيس بن جندل بن بكر بن وائل. لُقِّبَ بالأعشى لضعف بصره، وعرف بالأعشى الأكبر تمييزاً له عن سائر «العشو» من الشعراء وهم كثيرون. ولد نحو سنة ٥٣٠م بقرية منفوحة باليمامة، ونشأ راوية لخاله مسيب بن علس. واتصل بأمير بني حنيفة فيها هوذة بن علي النصراني. ثم أخذ يضرب في أنحاء الجزيرة العربية جاداً وراء المال مكتسباً إيّاه بشعره. فرحل من اليمامة إلى اليمن. وزار عدن ونجران وكان يوافي سوق عكاظ كل سنة وأتجه إلى تيماء فنزل الابلق. وهبط الحيرة مادحاً الاسود بن المنذر والنعمان. مخلطاً بالعباد. ثم ينحدر على شاطىء الخليج الفارسي حتى عمان. واحياناً كان يجذر حدود الجزيرة فيبلغ أورشليم وحمص. ويقطع العراق إلى بلاد فارس فيمدح ملوكها. ويخالط بعض العرب النازلين على حدودها. فينقل منهم الكلمات الفارسية التي يدخلها بشعره. وقد بلغ في أسفاره بلاد الحبش على قوله.

توفي الاعشى سنة ٦٢٩م، وقد روى أبو الفرج الاصفهاني عن بعض معاصريه «أنهم رأوا قبره مثابة». للندامى والشرب من الفتيان، يصبون عليه بقايا الاقداح ليرووا عظامه بالتي كانت داءه ودواءه طول حياته. (حنا فاخوري تاريخ الأدب العربي، ص١٧٧).

وقد وصف الاستاذ افرام البستاني شخصية الاعشى على هذا الشكل: فظهر أثر كل ذلك في شعره، فاكسبه عمّق ثقافةٍ، ورهافة شعورٍ، وسعة أفقٍ في الفكرة، وتبسطاً في الكلام، إلى متانةٍ في السبك، وسهولة في الأداء اللغوي، وموسيقى في الوقع، ونفوذٍ في التأثير، متانة وسهولة جعلتا عبد الملك يجمع البحر والصخر في هذا الشعر فيقول المؤدّب وُلده: «أدّبهم برواية شعر الاعشى، فإنه، قاتله الله، ما كان أعذبَ بحره وأصلب صخره !». وموسيقى وقوّة تأثير دفعتا الادباء إلى أن يجمعوا على تلقيبه «بصناجة العربية» (المجاني الحديثة ص٢٢٥).

وقد ذهب المستشرق الشهير كاسكل Caskel وهو متخصص في تاريخ الجاهلية إلى أن الاعشى كان نصرانياً وذهب الاب شيخو هذا المذهب أيضاً وجوّز بروكلمان تنصره لكنه ذهب إلى أنه لم يكن متعمقاً في النصرانية (جواد علي جـ٦، ص٦٧١).

وقد أشار الأعشى في شعره إلى بعض طقوس النصارى وأحوال عبادتهم وذكر قصصاً معروفة بين أهل الكتاب فتراه يتحدث عن حمامة نوح وعن أخبار سليمان وعن جنّ سليمان وعن المباني القديمة العادية المنسوبة إليه، وعن عادة النصارى في الطواف حول الصليب أو تمثال المسيح، وإلى الصليب الذي نصبه الراهب في الهيكل بعد أن زيّنه بالصور.

وفي الشعر المنسوب إليه إقرار بإله واحد كريم:

ربّي كريم لا يكدر نعمة فإذا تنوشد في المهارق أنشدا

ونهى عن عبادة الأوثان ومن التقرب منها:

وذا النصب المنصوب لا تسكننه ولا تعبد الأوثان، والله فاعبدا

وفيه ان الربّ يكفي الانسان ويرعاه ويساعده في حله وترحاله:

ولكن ربي كفى غربتي   بحمد الاله فقد بلغن

وان الانسان عبده:

فاقسم بالذي أنا أعبده   لتصطفقن يوماً عليك المآتمْ

وإن الفناء واقع على كل امرىءٍ وليس أحد في هذه الدنيا بخالدٍ ولو كان الخلود لأحدٍ لكان لسليمان:

ولو كان شيء خالداً ومعمراً   لكان سليمان البريء من الدهر
رآه الهي فاصطفاه عبادة   وملكه ما بين الثريا إلى مصر
وسخر من جن الملائكة تسعة   قياماً لديه يعملون بلا أجر

وفيه حديث عن البعث والحساب ويوم الدين.

الفصل الثاني

الشعراء المسيحيّون المخضرمون

قد بينّ الأب شيخو في الجزء الأول من كتابه شعراء النصرانية ما كان للنصرانية من السهم الوافي بين شعراء الجاهلية. وفي الجزء الثاني تتبع آثار الشعراء الذين نبغوا بعد ظهور الاسلام مستنداً إلى أقدم تآليف العرب ولا سيا مؤرخي المسلمين ومما تيسرّ له جمعه من مكاتب اوروبا ومصر ومن خزائنه الخاصّة في أنحاء الشرق ولا سياً من مخطوطات المكتبة الشرقية للآباء اليسوعيين في بيروت. وقسم بحثه إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الشعراء المخضرمون
القسم الثاني: شعراء الدولة الأموية
القسم الثالث: شعراء الدولة العباسية.

الشعراء المخضرمون

عثمان بن الحويرث

كان من جملة الحنفاء الذين اعتزلوا من قومهم وطلبوا الدين الحق ثم تنصّروا. قال اليعقوبي في تاريخه (طبعة ليدن جـ ١ ص ٢٩٨): «تنصر من أحياء العرب قومٌ من قريش من بني أسد بن عبد العزّي منهم عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزّى وورقة بن نوفل بن أسد. . . وكان عثمان من قرابة ورقة جدّهما أسد بن عبد العزّى وكلاهما من قراب رسول الإسلام.

وقد جاء ذكر عثمان في أخبار أيّام العرب في ذكر الفجار الثاني. وهي حرب جرت بين قريش وهوزان نحو السنة ٥٩٠ أي ثلاثون سنة قبل الهجرة. وقد روى تنصره ابن هشام في سيرة الرسول (طبعة وستنفلد ص ١٤٣ ـ ١٤٤) نقلها شيخو ص ٢.

ولعثمان شعر لم يقف الأب شيخو منه إلا على أبيات نقلها من كتاب البيان والتبيين للجاحظ.

الحارث بن كلدة

شيخو، شعراء جـ ٢ ص ٤

هو الحارث بن كلدة بن عمرو بن علاج الثقفي. كان نصرانياً على مذهب النساطرة. يقول القفطي في تاريخه الحكماء: «الحارث بن كلدة. . طبيب العرب في وقته من ثقيف من أهل الطائف رحل إلى أرض فارس وأخذ الطب من أهل تلك الديار من أهل جنديسابور وغيرها في الجاهلية قبل الإسلام. وجاء في هذه الصناعة. . . واشتهر طبّه بين العرب وكان رسول الإسلام (صلعم) يأمر من كانت به علة أن يأتيه فيسأله عن علته». (ص ١٦١).

وكان للحارث بن كلدة تقدم في النحو واللغة. ومات الحارث بن كلدة في أوّل الإسلام. . وكان الحارث يضرب العود تعلم ذلك أيضاً بفارس واليمن وبقي إلى زمن معاوية.

وقال ابن أبي أصيبعة في كتابه عيون الانبياء (جـ ١ ص ١٠٩ ـ ١١٣): إنه بقي أيام رسول الله (صلعم) وأيام أبي بكر وعثمان وعلي ومعاوية. وللحارث بن كلدة من الكتب كتاب المحاورة في الطب بينه وبين كسرى انوشروان.

أما شعر الحارث بن كلدة فروى له ابن عبد ربّه في العقد الفريد، والبحتري في الحماسة.

أبو القبس صرمة الراهب

شيخو، شعراء جـ ٢ ص ٧

هو أبو قبس صرمة بن أنس بن مالك من بني عدّي ابن النجّار من الخزرج وكان يلقب بالراهب لنسكه.

ويتفق الذين ذكروه على أنه كان شاعراً وله الاشعار الحسنة في الدين والادب مع الاشارة إلى نصرانيته.

ومن شعره:

يقص لنا ما قال نوح لقومه ... وما قال موسى إذ أجاب المناديا
وأصبح لا يخشى عداوة واحدٍ ... قريباً ولا يخشى من الناس نائياً
بذلنا له الأموال من جلّ مالنا ... وأنفسنا عند الوغى والتآسيا
ونعلم ان الله لا شيء غيره ... ونعلم ان الله افضل هاديا
نعادي الذي عادى من الناس كلهم ... جميعاً وان كان الحبيب المصافيا
اقول إذا صلّيت في كل بيعةٍ ... تباركت قد اكثرت لاسمك داعياً

شيخو، شعراء... جـ٢ ص ١٠-١٤

أكثم بن صيْفي.

هو أكثم بن صيفي بن رُباح... أشهر حكّام العرب في الجاهلية وحكمائهم وخطبائهم. كان من نصارى تميم وادرك الاسلام.

كان من المعمّرين ذكره أبو حاتم السجستاني في كتاب المعمّرين. ومما رووا له في ذلك قوله:

وانّ امرءاً قد عاش تسعين حجّة ... إلى مائةٍ لم يسأم العيشَ جاهلُ
مضت مئتان غير ستٍّ واربعٍ ... وذلك من عَدِّ الليالي قلائِلُ

وكان العرب يتقاضون إلى أكثم ولا يردّون حكمه لنزاهته وبرّه. وقد عرف بحكمته حتى ضرب به المثل في ذلك وكاتبه الملوك يطلبون أقواله منهم ملك هَجَر أو نجران.

وممّا يدلّ على نصرانيته عدّة حكم أخذها من الانجيل والأسفار الالهية مثل: «أحْسِن يُحْسَن إليك. ولكل عمل ثواب. ارْحم تُرْحم وكما تدين تدان. وستساق إلى ما أنت لاقٍ. ولا تُلْزم أخاك ما ساءك ولا تكوننّ راضياً بالقول. ففضّل الفعل على القول مكرمة حيلة ما لا حيلة لهُ الصبر. واستر سوءَة أخيك لما تعرفُ فيك. والدالّ على الخير كفاعله. وجاز بالحسنة ولا تكافىء بالسيئة. أفضلُ الزاد ما تُزُوّد للمعاد.

ولما حضرت ابن صيفي الوفاة جمع ولده وقال: «يا بنيّ، الدهر قد أدبني وقد أحبَبْت أن أؤدبكم وازوّدكم أمراً يكون لكم بعدي معقلاً. يا بنيّ تباروْا فإن البرّ يُنمي في الأجل وينمي العدد وكفّوا ألسنتكم فإن الرجل بين فكّيْه والصدق منجاة ومن قنع بما هو فيه قرّت عينه فإن مصارع الألباب تحت ظلال الطمع ومَنْ سلك الجدَد أمِن العثار وخير الأمور أوسطها...».

شيخو، شعراء... جـ٢ ص ١٤ - ٢٠

عبد المسيح بن بُقَيلَة

أحد أعيان نصارى الحيرة الذي اشتهر في الجاهلية وأول الإسلام. وكل من ذكروه مجمعون على شرفه وثباته في النصرانية بعد الإسلام ومصالحة خالد بن الوليد قومه على يده في الحيرة. وقال أبو الفرج الأصفهاني إنه كان وزيراً للنعمان. وذكره أبو حاتم السجستاني في جملة المعمَّرين.

وكان عبد المسيح عبادياً كثير التقى عمَّر ظاهر الحيرة ديراً بموضع يقال له الجَرَعة عُرِف بدير الجَرعة وبدير عبد المسيح. وفي هذا الدير يقول على ما روى ياقوت:

كم تجرّعت بدير الجَرَعَهْ غُصَص كَبْدي بها مُتَصدِعَهْ
من بدورٍ فوق اغصانٍ على كُثبٍ زُرْن احتساباً بِيَعَهْ

وكان قبل تشييده للدير ابتنى قصراً بالحيرة. كان معروفاً بقصر ابن بُقَيْلَة. وروي له بيتين أنشدهما لمّا بناه:

لقد بنيْتُ للحدثانِ حصناً لو انَّ المرءَ تنفعُه الحصون
طويلَ الرأس أقْعسَ مُشْمَخرًا لأنواع الرياح به حَنينُ

شيخو، شعراء... جـ٢، ص ٢٠

الحُرَقَة هند بنت النعمان.

هي التي تعرف بهند الصغرى ابنة النعمان بن المنذر ملك الحيرة قال. أبو الفرج في كتاب الأغاني (جـ ٢ ص ٣٢ ـ ٣٣): «إن هنداً كانت من أجمل نساء أهلها وزمانها وأمها مارية الكندية... رآها عديّ بن زيد الشاعر النصراني العبادي وزير النعمان يوم خميس الفصح إذ دخلت البيعة مع حاشيتها وعمرها حينئذ احدى عشرة سنة. فهويها ثم أتى النعمان بعد الفصح بثلاثة أيام وذلك في يوم الاثنين فسأله أن يتغذى عنده هو وأصحابه. فلما أخذ منهم الشراب خطبها إلى النعمان فأجابه وزوّجه وضمّها إليه. وبعدما قتل عدي ترهبت وبنت ديرها المنسوب إليها. أقامت في ديرها مترهبة حتى ماتت فدفنت فيه.

ويلوح من اخبار العرب أن الحرقة ابنة النعمان بعدما قتل أبوها عدياً وقتل كسرى أباها طلبها كسرى وألحّ في طلبها فأبت الاقتران به.

ومن شعرها:

بيْنا نسوس الناس والأمرُ أمْرُنا إذا نحن فيهم سُوقةٌ نتصَفّفُ
فتبّاً لدنيا لا يدوم نعيمُها تَقَلّبُ تاراتٍ بنا وتصرف

وأيضاً:

صان لي ذمّتي وأكرم وجهي إنما يُكرِمُ الكريمَ الكريمُ

شيخو، شعراء... جـ ٢ ص ٢٩ - ٣٧

الزِبْرِقان بن بَدْر

والزبرقان لقب ومعناه القمر يسمى به لجماله ودعي لذلك بقمر نجد. وكانت بعض قبائل العرب تتفاخر بالزبرقان وتنسبه إلى قومها. كان من نصارى تميم والدليل عليه قوله لمحمد يفتخر بقومه تميم وبتشييدهم للبيع:

نحنُ الكرامُ فلا حيٌّ يعادلنا   منّا الملوك وفينا تُنْصَبُ البِيَعُ

وذلك انه وفد على رسول الإسلام السنة التاسعة للهجرة مع بني تميم:

ومما روي له في الوفاء:

وفيتُ بذمّةِ القَيْسي لمّا   تواكَلَها الصحابَةُ والجِوارُ
كما أوفيتُ بالعكليّ ضرباً   بفَضْلِ السيف إذ عَلَنَ السرارُ

وفي الأنفة:

أغشى المهالِكَ بالرجالِ ولا   أُعطي المقادة سائمي الحقْراء

وقد دعا ابن سلام في طبقاته الزبرقان «شاعراً مغلقاً».

شيخو، شعراء... جـ ٢ ص ٣٧ - ٤١

عديّ بن حاتم

هو عديّ بن حاتم الطائي بن عبد الله الطائي ويكنى أبا طريف. وأبوه حاتم هو الذي يضرب العرب به المثل في الجود والكرم. وقد نشأ عديّ في حجْر والده وتخلّق بأخلاقه وصار بعد وفاته خلفاً له في رئاسة قومه. وقد صرّح بنصرانيته ابن هشام في سيرة الرسول (ص ٧٤٧) والطبري في تاريخه (جـ ١ ص ١٧٠٧). وبقي عدي على نصرانيته بعد ظهور الإسلام إلى السنة التاسعة من الهجرة. وكان عديّ أحد المعمّرين قيل أنه عَمّر ١٨٠ سنة على ما روى أبو حاتم السجستاني في كتاب المعمّرين (ص٣٧ (وتوفي سنة ٦٨هـ (٦٩٠م).

وكان عديّ أبيّاً فخوراً يرى السباق لقبيلته.

وقد رويت له أبيات من الرجز قالها في صفّين:

أقول لك لما أن رأيتُ المعمعَهْ   واجتمع الجندان وَسْطَ البَلْقَعَهْ
هذا عَليٌّ والهدى حَقّاً معهْ   فمتى أراد غيّه فضعضَعَهْ
يا ربِّ فاحفظهُ ولا تضيعهْ   فإنه يخشاك ربي فارفعهْ

شيخو، شعراء... جـ ٢ ص ٤١ - ٥١

سِمْعان بن هُبَيرَة

شاعر نصراني من بني أسد بن خزيمة. أسلم مع قومه عند ظهور الإسلام لكنه ارتدّ إلى دينه بعد وفاة محمد و تبع طليحة بن خويلد بن نوفل مع الحليفَينْ أسد وغطفان. ثم عاد ثانية إلى الإسلام.

وكان من المعمرين إذ إنه عاش ١٠٧ سنة.

شيخو، شعراء، جـ٢ ص ٤٣ - ٥١

النجاشي الحارثي

شاعر اليمن من بني الحارث بن كعب النصارى أصحاب نجران واسمه النجاشي يدل على ما كان لرهطه من العلاقة مع الحبش الذين ملكوا في اليمن بعد محاربتهم لذي نواس اليهودي.

عاش دهراً من الجاهلية ولما فتح المسلمون أنحاء اليمن اسلم النجاشي مع من دخل الإسلام لكنه لم يكترث لفرائض دينه. قال ابن قتيبة: «وكان النجاشي فاسقاً رقيق الإسلام».

وقد هجا قريشاً ولقبها بسخينة وهو طعام رقيق من دقيق وسمن كان القرشيون يكثرون منه:

إنّ قريشاً والاقامة كالذي	وَقَى طرفاه بعد أن كان أجدعا
وحُقَّ لمن كانت سخينةُ قومَهُ	إذا ذُكر الأقوام أن يتقنعا

شيخو، شعراء.... جـ٢ ص ٥١ - ٥٦

جُحَيَّة بن المُضرِّب الكندي

كان من أهل اليمن من بني قتيرة من حـي السكون من كندة جاهلياً أدرك الإسلام. وكان يدين بالنصرانية كما شهد عليه صاحب الأغاني (جـ ٢١ ص ١٥). عاش أيام عمر بن الخطّاب.

وقد روى صاحب لسان العرب (جـ ١٩، ص ٦٦) حديثاً لعائشة تثني فيه على جحيّة وعلى شعره حيث قالت:

«تروَّوْا لشعر جحيّة فإنه يعين على البّر».

شيخو، شعراء... جـ٢ ص ٦٠ - ٦٣

نائلة بنت الفرافصة زوجة الخليفة عثمان

نسبها إلى علي بن جناب من بني كلب النصارى. وقد شهد في كتاب الأغاني عن نصرانيّة الفرافصة أبي نائلة كما شهد الطبري في تاريخه على نصرانية ابنته نائلة. أما زواجها بالخليفة عثمان فوقع سنة ٢٨ هجرية (٦٥٠م).

وكانت نائلة أبية، كريمة الطبع. وقد أظهرت شهامة فائقة في الدفاع عن زوجها وحاولت أن تبذل نفسها دون الخليفة وعندما أهوى رجل إلى عثمان بالسيف أكبّت عليه نائلة بالسيف واتقت السيف بيدها فتعمّد وقطع أصابعها وولّت فغمز أوراكها ثم ضرب عثمان فقتله. فلما قتل ناحت عليه وقالت ترثيه:

ألا أنّ خير الناس بعد ثلاثة	قتيلُ التُجَيْبي الذي جاء من مصرِ
وما ليَ لا أبكي وتبكي قرابتي	وقد غيّبت عنّا فضول أبي عمروِ

وبعد قتل زوجها عثمان خطبت نائلة في مسجد المدينة وهي متسلّبة في اطمار معها نساءٌ من قومها. والخطبة طويلة افتتحتها بقولها:

«معاشر المؤمنة، وأهل الملّة لا تستنكروا مقامي، ولا تستكثروا كلامي، فإني حَرَّى عبرى رُزئتُ جليلاً وتذوقت ثكلاً من عثمان».

شيخو، شعراء جـ ٢ ص ٦٣

ميسون بنت بَحْدَل الكلْبيّة

من نصارى كلب. وقد وصفها ابن عساكر في تاريخ دمشق وغيره بالذكاء وقالوا انها كانت لبيبة ورعة وهي زوج معاوية بن أبي سفيان وأمّ ابنه يزيد.

وقد ثقل عليها الغربة والبعد عن قومها في البادية. فانشدت.

لَبَيْتٌ تخفق الأرواح فيه	أحبُّ إليَّ من قصرٍ منيف
وليس عباءةٍ وتَقَرَّ عيني	أحبُّ إليّ من لبس الشُفوف
وأكل كُسَيْرةٍ في كِسْرِ بَيْتي	أحبُّ إليّ من أكلِ الرغيف
وكلبٌ ينبحُ الطرّاق دوني	أحبُّ إليّ من قِطٍّ الوفِ
وَبكْرٌ يتبعُ الأظعانَ صَعْبٌ	أحبُّ إليّ من بَغْلٍ زفوفِ
وأصوات الرياح بكل فجٍ	أحبُّ إليّ من نقرِ الدفوفِ
وخِرْقٌ من بني عمّي نحيفٌ	أحبُّ إليَّ من علجٍ عليف

شيخو، شعراء جـ ٢ ص ٦٥ - ٩١

أبو زُبَيْد الطائي

من قبيلة طيء الراقية إلى زيد بن كهلان من عرب اليمن. وكان من المعمرين، وبلغ إلى زمن علي ومعاوية أما دينه فكان في الجاهلية النصرانية بلا شك كمعظم أبناء قبيلته طيء. أما في الإسلام أثبت على دينه أو أسلم فجاء فيه قولان: قول الطبري الذي يقول أن أبازبير أسلم وحَسن اسلامه. وقول آخر - وهو قول ابن قتيبة في الشعر والشعراء: أدرك أبو زبيد الإسلام ومات نصرانياً. ومثله قال ابن سلام الجمحي في طبقات الشعراء وأبو الفرج في الأغاني. وتجد هناك عثمان الخليفة يكلمّه بقوله: «يا أخا تُبّع المسيح. وذكر أيضاً أبو الفرج (جـ ١١ص٢٨)انه قبل موته كان يحمل في كل

أحد إلى البيعة».

«كان مقام أبي زبيد بالرقّة في الجزيرة وبها مات. قال: كان اخوال أبي زبيد بني تغلب. وكان يقيم فيهم أكثر أيامه وقال ابن سلام في طبقات الشعراء: وكان أبو زبيد الطائي من زوّار الملوك، والملوك العجم خاصّة وكان عالماً بسيرها. . وكان عثمان بن عفّان يقربه ويدنيه ويدني محله».

ومما اشتهر به أبو زبيد وصفه للأسد. قيل إنه لقيه في بعض أسفاره بالنجف فرأى من بطشه ما أرعد فرائصه فوصفه وصفاً لم يأتِ بمثله غيره. وقد ورد هذا الوصف في قصيدته العينية وفي قصائد أخرى (انظر شيخو جـ ٢ ص ٦٧ - ٧٥).

وله أيضاً مدح كثير في الوليد لاحسانه إليه وهو يقول مثلاً:

انّ الـوليد له عنـدي وحـقّ له.	ودّ الخليل ونصـحٌ غـير مذخور
لقـد رعانـي وأدنانـي وأظهرني	على الأعـادي بنصرٍ غـير تقدير
فشـذّب القـوم عنّـي غـير مكترثٍ	حتـى تَنَاأَوْا على رغـمٍ وتصغير
نفسي فداء أبـي وهـبٍ وقـلّ له	يا امّ عمـروٍ فحلّي اليوم أو سيري

لأبي زبيد شعر كثير متفرّق وليس له ديوان مستقل. وهو ممّن يرجع أهل اللغة إلى كلامه لفصاحة أقواله وقد اختار البحتري في حماسته كثيراً من أبياته وفيها الحكم والاقوال البليغة، ولأبي زبيد في المعاجم وكتب الادب ابيات مفردة عديدة يستدل منها انه كان غزير المادة ذا قريحة واسعة.

شعراء الدّولة الأمويّة

يقول الأب شيخو في مقدمة القسم الخاص بهؤلاء الشعراء: «وما يقال إجمالاً عن الشعراء النصارى في عهد بني اميّة انهم اشعر من السابقين ولعل السبب في ذلك ما صارت إليه الدولة العربية من السكينة والهدوء بعد حروبها الأولى فان الآداب تأنس بالسلام والقرائح تشحذ في المقامات الشريفة لدى كبار الرجال وفي قصور الملوك ونوادي الطرب وعند وقوع الأمور الخطيرة. فيكتسب شعر الشعراء من تلك المجالس رقّة وانسجاماً وطباعةً. فترى في قصائدهم مع متانة شعراء الجاهلية سلاسة شعراء الاسلام كشعر الأخطل وشعر القطامي» (شعراء النصرانية جـ٢ ص٩٥).

وقد ذكر في هذا القسم الذين طبعت دواوينهم مجتزءًا في تراجمهم برواية بعض محاسن شعرهم. ونحن نشير هنا بايجاز إلى هؤلاء الشعراء.

هدبة بن الخشرم

يرتقي نسبه الى قضاعة من اكبر قبائل العرب. كان معروفاً بالشجاعة والنجدة والجلادة والصبر والمروءة. كان نصرانياً كما يشهد عليه تاج الحماسة حيث يدعوه زيادة هو ورهطة بأمّة المسيح.

ان غاية ما أخبره القدماء عن هدبة ما جرى بينه وبين صهره زيادة بن زيد من الخلاف والضغائن التي افضت به الى قتل زيادة والى ما لحقه هو من القصاص بسببه. وقد وردت تفاصيل هذه الرواية المشؤومة في عدة تآليف: الأغاني، شرح الحماسة، كامل المبرد. وغيرهم ويدل ما وصل الينا من شعره عما طبع عليه من البلاغة وجودة الحريقة والتفنّن في المعاني.

شيخو، شعراء جـ٢ ص١١٣ ـ ٨

موسى بن جابر

احد شعراء بني حنيفة اهل اليمامة. عاش في عهد اواخر الخلفاء الراشدين وأوائل الدولة الأمويّة. وكانت النصرانية شائعة في بني حنيفة وبقيت على النصرانية زمناً بعد الاسلام. وصرح صاحب خزانة الأدب بنصرانيته. ما يعرف من شعره لا يتجاوز بضع قطع متفرقة في كتب الأدباء الأقدمين. وفي المعاجم ما يدلّ على انهم يعولّون عليه في فصاحة اللغة.

شيخو، شعراء جـ٢ ص١٨

شمعلة التغلبي

من بني خَدَس بطن من بني لخم النصارى. كان في اواسط عهد بني أمية أعني في أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن في ايام عبد الملك بن مروان وابنيه الوليد بن عبد الملك وهشام. كان شمعلة رئيساً لبني تغلب ذا قدر عظيم، وفضل عميم، وهيئة وجمال وبلاغة في المقالة وشاعراً ظريفاً وكان نصرانياً عريقاً في دينه كقومه التغلبيين الذين ثبتوا بعد الاسلام على دينهم. وكان يسكنون الجزيرة وعلى حدود الشام. وكان شمعلة بصفة رئاسته على بني تغلب يتردد على عاصمة الشام ويدخل على الخلفاء.

قال شهاب الدين احمد بن يحيى المعروف بابن فضل الله الكاتب الدمشقي في كتابه مسالك الأبصار وممالك الأنصار: شمعلة بن فائد ذو نخوة دينية، وحميّة جاهلية، وأنفةٍ اساء فيها النيّة، كان نصرانياً له أبهّة بادية، وقدر عظيم في البادية، يشار إليه ويُسار، ويَغار له من رآه من عاقبة البَوار، والمصير إلى النار، فطالبه هشام بن عبد الملك بالاسلام لما رأوى من فضله وجماله، وما أعجبه من هيئته وإضاءَة حاله، وأحبَّ له الدخول في الدين، وأنْ يكونَ من المهتدين، فامتنع وأبى، واتّبع هداه ليكون لجهنّم حَطَبا، قال الله تعالى (سورة القصص ٥٦): انَّك لا تُهدي من احببتَ ولكنَّ الله يهدي من يشاء. فقال له هشام: ان لم تفعل لأطعمنّك لحمَك فقال شمعلة: ولو قطَّعتني لما أسلمتُ على هذا الوجه فلما خلىَّ عنه قال اعداؤه: اطعمهُ هشامُ لحمهُ.

شيخو، شعراء جـ ٢ ص ١٢٢ ـ ١٢٩

اعشى بني تغلب

يطلق اسم الأعشى على نحو من عشرين شاعراً. وقد كثر التخليط في تعريف اسمائهم وكناهم وقبائلهم. وانما اشهرهم الأعشى المعروف بالأعشى الأكبر (انظر فيما سبق).

أما اعشى بني تغلب «هو من شعراء الدولة الأموية وساكني الشام اذا حضر، واذا بدا نزل في بلاد قومه بنواحي الموصل وديار ربيعة، (الأغاني)، عاش في اواخر القرن الأول ثم اوائل الثاني للهجرة وفي النصف الأول من القرن الثامن للمسيح في عهد الوليد بن عبد الملك وخلفه عمر بن عبد العزيز.

وقد صرح صاحب الأغاني: «وكان نصرانياً وعلى ذلك مات» (جـ ١٠ ص٩٨). ولعلو مرتبته، حظي عند خلفاء بني اميّة وعند اعيان زمانه. ان القليل ممّا بقي من شعره ينبيء بحسن ذوقه ومتانة نظمه ما يجعله اهلاً بشعراء زمانه المفلقين.

شيخو، شعراء جـ٢ ص ١٢٩ ـ ١٣٥

أعشى بن ابي ربيعة

كان هذا الأعشى معاصراً لأعشى تغلب يشبهه في دينه وانتمائه الى الدولة الأموية. من ساكني الكوفة وقرب الشام ودخل على الخلفاء الأمويين في دمشق فمدحهم ونال صلاتهم وقد تردّد خصوصاً على عبد الملك بن مروان وعلى سليمان بن عبد الملك فعاش في ايام الوليد بن عبد الملك.

شيخو شعراء... جـ ٢ ص ١٣٦ - ١٣٧

مَرْقس الطائي

أحد الطائيين الذي عرف في عهد الاعشيين التغلبي والشيباني. واسمه أيضاً عبد الرحمن وهذا دليل على ان النصارى في ذلك الزمان كانوا يتخذون لهم اسمين: اسما في العماد يدلُّ على نصرانيتهم واسما آخر يُعْرفون به فجاء في الحماسة: ان اسمه عبد الرحمن ولقبه مرقس..

شيخو، شعراء.. جـ ٢ ص ١٣٧ - ١٦٢

نابغة بني شيبان

شاعر بدوي. كان يقيم، على ما يبدو، في حدود الشام مع قومه بني شيبان ويتردّد على مدنها. يقول أبو الفرج في الأغاني: «وكان فيما أرى نصرانياً لاني وجدته في شعره يحلف بالانجيل وبالرهبان وبالايمان التي يحلف بها النصارى».

نبغ في أواخر القرن الأول وفي القسم الأول من القرن الثاني للهجرة.

استحق عبد الله بن مخارق الشيباني أن يدعوه «نابغة» لجودة شعره الجامع بين المتانة والانسجام. وقد وصلنا ديوانه ومنه نسخة في دار الكتب المصرية.

شيخو، شعراء.. جـ ٢ ص ١٦٢ - ١٧٠

حنين الحيري الشاعر المغنّي

يكنى اباكعب. كان شاعراً فحلاً من فحول المغنين وله صنعة فاضلة متقدمة وكان يسكن الحيرة ويكرى الجمال إلى الشام وغيرها. وكان نصرانياً» (الأغاني جـ٢، ص١٢٠).

له أخبار كثيرة جمعها اسحاق بن ابراهيم الموصلي في كتاب دعاه «أخبار حنين الحيري» ذكره ابن النديم في الفهرست.

شيخو، شعراء.. جـ ٢ ص ١٧٠ - ١٩١

الأخطل التغلبي

اعظم شعراء النصرانية بعد الاسلام فقد تفوّق على الجميع بجودة شعره ومتانته وغزارته وتفننه. وكان شاعر بني أمية غير منازع يفتخرون به ويحلّونه محل ندماتهم واعز اصدقائهم ويجيزون له ما لا يجيزونه لسواه من أصحابهم.

اسمه الكامل: أبو مالك غياث بن غَوْث بن الصَّلت الملقّب بالأخطل، وبدني الصليب لنصرانيته وحمله الصليب، من قبيلة تغلب من ربيعة، ولد في الحيرة نحو سنة ٢٠هـ ٦٤٠م. نشأ متيلئاً من مفاخر قومه وأخبارهم وأيامهم. والمرجح انه كان على مذهب اليعقوبية الذي كان شاع في قبائل البادية. وكان الجاهل يجاهر بدينه والدليل عليه دخوله على الخلفاء والصليب على صدره كما أن هجاء أقرانه الشعراء ولا سيماً جرير لم يؤثر فيه من هذا القبيل.

ولما عرض عليه الخليفة عبد الملك أن يدين بالاسلام أبى ونجا منه بأبيات هزلية. وسمعه هشام بن عبد الملك ينشد في قصيدته اللامية قوله:

واذا افتقرت الى الذخائر لم تجدْ ذخراً يكون كصالح الأعمال

فقال له: هنيئاً لك يا أبا مالك هذا الاسلام: فقال له: يا أمير المؤمنين ما زلت مسلماً في ديني.
ولما دعاه بعضهم في الكوفة إلى دخول مسجد بني رؤاس ليصليّ وكان مؤذنهم نادى بالصلاة قال:

أصليّ حيث تُدركني صلاتي وليس البرُّ عند بني رؤَاسِ

كان يرضخ لأوامر رؤسائه النصارى ويتقرب إليهم في أسرار دينه فكان «يقوم بين يدي قسيسه لأخذ القربان» كما بكّته عليه جرير.

غير أن آثار الدين في شعر الأخطل قليلة سواءٌ كان السبب ضياع بعض شعره أم بالاحرى لعدم وجوده داعياً لوصف الدين. وفي ديوانه انه كان يحلف بالانجيل والقربان، وفي شعره اشارات واستعارات منقولة عن عادات النصارى ومعتقداتهم وقد تكرّر فيه ذكر الجنّة والخلود.

وقد رحل الى دمشق فما لبث ان حظي عند خلفاء بني أميّة أوفر حظوة لما سمعوا إنشاده واختبروا جودة قريحته وغزارة مادته ورسوخ قدمه في صناعة الشعر. وقد مدح خلفاء الامويين مباشرة بيزيد ابن‌معاوية ثم نظم القصائد الطنانة في عبدالملك بن مروان وفي هشام والوليد ابني عبد الملك فاولع الخلفاء بشعره وحملهم تفضيلهم له على غيره إلى أن دعوه بشاعر بني أميّة واكرموه أي إكرام واتخذوه كنديمهم ولم يؤاخذوه بشربه الخمر.

أما رتبة الأخطل بين الشعراء فقد بلغ رتبة أكبر شعراء العرب وكلهم ينظّمه بين فحولهم الأولين. فقد جعله ابو عمرو بن العلاء في عهد الاسلام شبيهاً بالنابغة الذبياني في الجاهلية ويفضله لصحة شعره. ويقول ابو عبيدة: «شعراء الاسلام الأخطل ثم الفرزدق. والأخطل اشبه بالجاهلية واشدهم أسرَ شعرٍ وأقلهم سقطاً».

للأخطل ديوان كبير ضبطه ونظّمه أبو سعيد الحسن المعروف بالسكّري وعُني بطبعه الأب انطون صالحاني اليسوعي في بيروت ١٨٩١ ثم سنة ١٩٠٥. وقد طبعت القصيدة التي مطلعها:

خَفَّ القَطِينُ فراحوا مِنكَ أو بكروا وأزْعَجَتْهُمْ نوىً في صَرْفِها غِيَرُ

في ليدن مع ترجمة لاتينيـة سنة ١٨٧٨. وفي سنة ١٩٢٢ نشر الأب أنطون صالحاني اليسوعي «نقائض جرير والأخطل» وأما اغراض شعر الأخطل فالمدح والهجاء والفخر والوصف والخمريات.

توفي الأخطل نحو السنة ٩٢هـ/ ٧١٠م.

بعض المراجع

الأب انطون صالحاني: ملحق «شعر الأخطل» بيروت ١٨٩١

فؤاد افرام البستاني: الأخطل - الروائع ٣٤، ٣٥، ٣٦ - بيروت ١٩٤٠

حنا نمر: الأخطل - الطرائف ٦

الأب بولس شيخو: شعراء النصرانية، جـ ٢ ص ١٧٠ - ١٩١

H. Lammens: Akhtal, in Encyc. de l'Islam, t. I, pp. 238 – 239

H. Lammens, Le Chantre des Omiades, Paris 1895

H. Lammens, Un poète royal à la cour des Omiades de Damas (extrait de l'Orient chrétien 1904)

شيخو، شعراء . . جـ ٢ ص ١٩١ - ٢٠٣

القُطامي التَغْلبي

ابن اخت الأخطل. ومثله نصراني (انظر ما يقوله الأب شيخو ص ١٩٢ - ١٩٣ توضيحاً لهذا).

لا يعرف إلا القليل من أخبار القطامي. أزهر في القسم الثاني من القرن السابع الميلادي في أيام الأمويين بعد معاوية وكان معاصراً للأخطل وهو اصغر منه سناً ولم يبلغ عهد بني عباس.

ليس في أخباره ما يدل على تقربه من الخلفاء. وهو يعدّ بين الشعراء المقلّين. وقد وصف قدماء العرب القطامي بالشاعر الفحل واستحسنوا شعره.

وقد اهتم بنشر قصيدته اللامية المستشرق بارت، طبعها سنة ١٩٠٢ في ليدن ونقلها الى الالمانية وعلق عليها.

شيخو، شعراء جـ ٢ ص ٢٠٣ - ٢١٢

كعْب بن جُعيْل التغلبي

عاش كعب في أيام الخلفاء الراشدين وبلغ عهد الدولة الأموية.

لا يعرف من أخبار كعب إلا ما رواه عنه الكتبة استطراداً ومن هذه الأخبار أنه حارب مع قومه في يوم صفّين وكان موالياً لبني أميّة كالأخطل وسائر عرب الشام في محاربتهم للشام.

شيخو، شعراء جـ ٢ ص ٢١٣ - ٢٢٨

العجّاج بن رؤبة

أحد بني تميم يكنّى أبا الشعثاء، والشعثاء ابنته، عاش في عهد بني أميّة فمدحهم ونال صلاتهم ومدح عاملهم على العراق الحجاج بن يوسف وغيره من أعيان زمانه.

أما شعره فقد اشتهر فيه بقصائده الرَجز عاش في البصرة وفي البادية المجاورة لها في أيام خلفاء الراشدين ثم في عهد بني أميّة.

وكان العجّاج يقيم في مِرْبَد البصرة من أشهر معالمها وبها كانت مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء. وعاش الى أيام الوليد بن عبد الملك فمات نحو السنة ٩٠ هـ / ٧٠٩ م

وقد نجى ديوانه من الضياع. وكان أول من اهتم بجمعه الاصمعي وأبو عمر الشيباني كما روى ابن النديم في الفهرست. وقد نشر ديوانه، مع ترجمة المانية في برلين سنة ١٩٠٣.

القسم الثالث

شعراء الدولة العبّاسيّة

لقد اشتهر المؤلفون المسيحيون في زمن العباسيين (٧٥٠ - ١٢٥٨ م)في نقل روائع الحضارة اليونانية والسريانية الى العربية وتخصصوا في ميدان الفلسفة والطب كما سنبينه فيما بعد.

غير أنهم لم يهملوا، مع ذلك، درس اللغة العربية وفنونها اللسانية من نثر وشعر. وقد خصّص الأب شيخو القسم الثالث من كتابه الى تعريف هذه المساهمة. ونحن نلخص فيما يلي نتائج بحثه.

شيخو، شعراء... جـ ٢ ص ٢٤١ - ٢٤٨

أبو قابوس الشاعر النصراني

كان اسمه عمرو بن سليمان وأبو قابوس كنيته. والقابوس في اللغة الرجل الجميل الوجه الحسن اللون. كان حيريّاً وكان ينتمي الى بني شيبان.

عاش في عهد هارون الرشيد في أواخر القرن الثامن للميلاد. كان شاعراً منقطعاً الى البرامكة. وتقرّب بهم الى الخليفة هارون الرشيد.

اسحق بن حنين

سنتكلم عنه كطبيب في قسم الأطباء. ويخصص له الأب شيخو نبذة ويشير إلى نشاطه الأدبي بالاضافة إلى نشاطه كطبيب ويذكر ما قاله ابن النديم في الفهرست ان اسحق بن حنين كان فصيحاً بالعربية يزيد على أبيه في ذلك. ويقول ابن أبي أصيبعة: «ولاسحاق حكايات وأشعار مستظرفة ونوادر». وذكر من كلامه قوله: «قليلُ الراح صديق وكثيرها عدوّ الجسم». ثم قال: ومن شعره يذكر كبار الأطباء ويفتخر بالطبابة:

أنا ابن الذين استُودع الطب فيهم ... وسُمّي به طفلٌ وكهلٌ ويافعُ
يبصرني أرسطاليس بارعاً ... يقوّم منّي منطقٌ لا يدافعُ
وبقراط في تفصيل ما أثبت الألى ... لنا الضرَّ والاستقامَ طبٌّ مضارعُ
وما زال جالينوس يشفي صدورنا ... لما اختلفتْ فيه علينا الطبائعُ
ويحيى بن ماسويه وأهرُنُ قبلَهُ ... لهم كتبٌ للناس فيها منافعُ
رأى أنّه في الطبّ نيلَتْ فلم يكن ... لنا راحةٌ من حفظها وأصابعُ

شيخو، شعراء جـ ٢ ص ٢٥٠ - ٢٥٢

سعيد التُستري النصراني

ورد ذكره في الفهرست: «ابن التستري. . . ويكنى ابا الحسين كان نصرانياً. قريب العهد من صنائع بني الفرات وهو وأبوه يلزم السجع في مكاتبته»

أما فيما يخص أدبه وشعره فقد قال ابن النديم: «وللتستري من الكتب كتاب المقصود والممدود على حروف المعجم، وكتاب المذكّر والمؤنث على ذلك الترتيب، وكتاب الرسائل في الفتوح على هذا الترتيب، ورسائل مجموعة في كل فن.»

شيخو، شعراء. . . جـ ٢ ص ٢٥٣ - ٢٥٤

أبو الحسن بن غسّان

طبيب بصري. جاء ذكره في تاريخ بطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل. فكنّاه بأبي علي بن غسّان وروى هناك نصرانيته وما أنفقه على إنجاز بناء دير مارفتيون في بغداد وذلك سنة ٣٤٣ هـ / ٩٥٣ م. كان كلدانياً من النساطرة.

وقال عنه ابن ماري في المجدل انه كان «كاتباً لركن الدولة». ويقول القفطي: «وكان لأبي الحسن. . أدبٌ متوفر وشعرٌ حسن».

الموصلي النصراني

هكذا رواه البيهقي في كتاب المحاسن والمساويء وهو كما يظهر من شعراء أواخر القرن الثالث وأوائل الرابع للهجرة لأن البيهقي الذي ذكره عاش في ذلك العهد.

يحيى بن عدي

سنتكلم عنه مطولاً فيما بعد عندما نذكر فلاسفة اليعاقبة.

وليحيى بن عدي شعر قليل منه قوله في من يرد اعتقاد أسرار الدين لعدم فهمها:

أفعمْتَ فحصَ المعاني عن حقائقها ... فلم يبنْ لك إذ لم تحسِنِ النظرا

فالشمس تخفى على من ليس ذا بصرٍ ... وليس تخفى على من أُعْطِي البصرا

وحدّث الآمدي ابو الحسين انه سمع من أبي بن زرعة تلميذه يقول: انّ أبا زكريّا يحيى بن عدي وَصّى إليه أن يكتب على قبره حين حضرته الوفاة وهو في بيعة توما بقطيعة الدقيق هذين البيتين:

رُبَّ ميّتٍ قد صار بالعلم حيّاً ... ومُبقّى قد مات جهلاً وعيّا

فاقتنوا العلم كي تنالوا خلوداً ... لا تعُدّوا الحياةَ في الجهل شيّا

شيخو، شعراء جـ ٢ ص ٢٥٦ - ١

أبو تمّام الطائي

ولد حبيب أبو تمام، على ما يرجح في قرية قرب دمشق، على طريق طبرية نحو سنة ٧٩٦ م من أب أجمع المؤرخون على أنه نصراني اسمه تدّوس (تصغير تدّاوس أو ثيودوسيوس) ومن أصل غير عربي قد يكون يونانياً. «وعندما انتحل الشاعر الاسلام ديناً، غيّر اسم أبيه فدعاه أوشا، وانتسب الى قبيلة طيء العربية فعرف بالطائي» (حنا الفاخوري تاريخ. . ص ٤٨٣).

وقد خصّص الأب شيخو فصلاً طويلاً (ص ٢٥٦ - ٢٦٠) للبحث عن حقيقة انتسابه للنصرانية. وبعد أن أورد عدة حجج ثبت رأيه في هذا الانتساب، أضاف ما يلي: «على أن في ديوانه عدة أبيات تشعر بأنه يدين بالاسلام حيناً يحلف بالبيت الحرام ويقول انه حجّ إليه وحيناً آخر يذكر نبي العرب ودين الاسلام كأنهما نبيّه ودينه واذا ذكر الروم نبذهم بالشرك والكفر ويعظّم القرآن. وهذا كله لما يثبت اسلامه» (ص ٢٥٨)

شيخو، شعراء. . . جـ ٢ ص ٢٦٢ - ٢٦٤

بشر بن هارون

هو أبو نصر بشر بن هارون النصراني العراقي وقد ذكر الطبري في تاريخه أن بشراً وأخاه ابراهيم كانا كاتبين لمحمد بن عبد الله بن طاهر الأمير والي العراق من قبل المتوكّل. وقال الصفدي في الوافي بالوفيات: كان أبو نصر بشر بن هارون النصراني كثير الهجو للوزراء والرؤساء فممّن هجاهم أبو نصر سابور بن ازدشير وزير شرف الدولة بن عضد الدولة بن بويه المولود سنة ٣٣٦ والمتوفى سنة ٤١٦ هـ (٩٤٧ - ١٠٢٥ م). وكان سابور قليل الألفاظ، جافي الأقوال، دقيق الخطّ منتظمه، قصير التوقيع مختصره، كثير الشرّ، مخوف البطش، شديد التأثر في المعاملات والميل الى الصادرات.

فقال بشر يهجوه:

سابورُ وَيْحكَ ما أخصّك ما أخصّك بالعيوب
وأكدّ وجْهك بالشناءَةِ للعيون وللقلوب
وجْه قبيح في التبسُّم كيف يحسُن في القطوب

شيخو، شعراء جـ ٢ ص ٢٦٣ - ٢٦٦

عيسى بن فرُّخنْشاه

من نصارى بغداد وكان نسطوري النحلة اشتهر في أواسط القرن الثالث للهجرة والتاسع للمسيح في أيام الخلفاء العباسيين المستعين، والمهتدي، والمعتمد، تكرّر ذكره في عهدهم في تاريخ الطبري، وقد اتخذه الخليفة المستعين لنائب لوزيره الحسن مَخْلد سنة ٢٤٥هـ - ٨٥٩م. ثم ولّاه ديوان الخراج. واثبته عليه خلفه المعتز.

وقد اشتهر من قرابته الأخوان سعيد وعبد الله ابنا فرُّخنشاه.
كان عيسى بن فرّخنشاه من كتاب ديوان الخلفاء ذوي الانشاء البديع ذكره ابن النديم في الفهرست.

شيخو، شعراء جـ ٢ ص ٢٦٦

ابن بطريق

قد تسمّى غير واحد بابن البطريق كسعيد بن البطريق، صاحب التاريخ، ويحيي أو يوحنا بن بطريق وعيسى بن بطريق وكلهم نصارى عاشوا في القرن التاسع للميلاد وقد ذكر العمري في كتاب مسالك الأبصار، بعد ترجمة ابن عدلان ابياتاً نسبها إلى ابن بطريق ولم يزد افادة.

شيخو، شعراء جـ ٢ ص ٢٦٦ - ٢٧٧

ابن بطلان المتطيب الراهب

سنتكلم عنه مطولاً في الفصل الخاص بالأطباء.
وقد ذكر الأب شيخو أبياتاً له كما انه قارن بين ما جاء عند ابن أبي اصيبعة والقفطي بالنسبة الى ترجمته. وقد نقل سيادة الأب رحلة ابن بطلان إلى الشام وقد كان ابن بطلان صنفها، على صورة رسالة، وجهها إلى بغداد إلى الحسن هلال بن الحسن الصابي (انظر ص ٢٧٢ إلى ٢٧٧).

شيخو، شعراء جـ ٢ ص ٢٧٨

صاعد بن شمّاس

ورد ذكره في رحلة ابن بطلان ومنه يستدل على زمانه وعلى دينه ووطنه اي القرن الخامس للهجرة والحادي عشر للمسيح.
ولا يذكر له إلا بعض الأبيات.

شيخو، شعراء جـ ٢ ص ٢٧٨

عون الراهب

ورد ذكره في كتاب زهر الآداب للحصري القيرواني كان من أدباء القرن الحادي عشر للميلاد. وقد روى لعون الراهب أبياتاً في مديح الغراب رداً على من يتشاءم بهذا الطائر، فقال:

غلط الذين رأيتهم بجهالةٍ يلحون كلُّهُمُ غراباً ينعق
ما الذنبُ إلاّ للأباعِرِ انها مِمّا يُشِتّتُ جميعُهم ويفرّقُ
إن الغراب بيُمنهِ تدنو النوى وتشتّتُ الشمْلَ الجميعَ الأيْنُقُ

شيخو، شعراء. جـ ٢ ص ٢٧٩ - ٨١

ابن مَرْغَر الاشبيلي

من شعراء القرن الخامس الهجري - الحادي عشر للميلاد كان في أيام الملك المعتمد بن عبّاد وهو آخر ملوك العبادّيين في اشبلية، حاضرة الأندلس (٤٦١ - ٤٨٤ هـ / ١٠٦٨ - ١٠٩١ م).
أخباره قليلة. وقد ذكر الأب شيخو بعض أبياته.

شيخو، شعراء: . جـ ٢ ص ٢٨١

زبيتا النصراني

زبيتا اسم سرياني بمعنى المبيع والمملوك. كان في القرن الخامس للهجرة ـ الحادي عشر للمسيح. ذكره الراغب الاصفهاني في كتابه محاضرات الادباء وروى له شعراً.

شيخو، شعراء.. جـ ٢ ص ٢٨٢

ربيب النصراني

من شعراء القرن الخامس ـ الحادي عشر. نقل عنه بعض المقاطيع الراغب الاصفهاني.

شيخو، شعراء جـ ٢ ص ٢٨٢ ـ ٢٨٣

سعيد النصراني

ذكره ايضاً الراغب الاصفهاني وهو من شعراء القرن الخامس الهجري ـ العاشر الميلادي. ولم يُروَ منه إلاّ ثلاثة أبيات في باب «مزاورة الحبيب وملاقاته والنظر إليه».

شيخو، شعراء.. جـ ٢ ص ٢٨٣ ـ ٢٨٨

امين الدولة العلاء بن مُوصلايا

كان منشأه بغداد فدعاه ابن خلكان «بالكاتب البغدادي ومنشيء دار الخلافة» على ان اسم جدّه يدلّ على ان اصلهم من الموصل.

كانت وفاته سنة ٤٩٧ هـ / ١١٠٤ م.

ولد امين الدولة نصرانياً وعاش نصرانياً في خدمة الخلفاء الى السنة ٤٨٤هـ ـ ١٠٩١ فاسلم. اما اسلامه فلم يكن من اقناع واختيار بل كرهاً واضطراراً كما روى ابن تغرى بردي في تاريخ سنة ٤٨٤ (طبعة يوير جـ ٣، ص ٢٨٧).

«فيها في صفر، كتب الوزير أبو شجاع (محمد بن الحسين الروذراوري) الى الخليفة (المقتدي بالله) يعرّفه باستطالة اهل الذمّة على المسلمين وان الواجب تمييزهم عنهم. فامر الخليفة ان يفعل ما يراه. فألزمهم الوزير لبس الغيار والزنانير، وتعليق الدراهم الرصاص في أعناقهم مكتوب «عليّ الدراهم» وتجعَل هذه الدراهم أيضاً في اعناق نسائهم في الحمامات ليُعْرَفْنَ بها وان يَلْبَسْنَ الخفاف فرداً أسود وفرداً أحمر وجلجلاً في أرجلهنّ. فذلّوا وانقمعوا بذلك. واسلم حينئذٍ أبو سعد بن الموصَلايا، كاتب الانشاء للخليفة وابن اخيه أبو نصر هبة الله».

كان، ابن موصلايا، كما قلنا، من نصارى بغداد، وكان ينتمي إلى النحلة النسطورية. وقد خدم الخلفاء، في ديوان الانشاء مدة ٦٥ سنة. وقد قال عنه عماد الدين الاصفهاني.

كان أمين الدولة بليغ الانشاء، سديد الآراء، رسائله تعبّر عن فضله ووقور علمه. وكان نثره أحسن من نظمه لتعرّنه عليه، وانقطاعه إليه. على أنّ له مقاطعات مستعذبة أراها أحلى من الأرْي، وأزْيَن من الحلي، وهي في اسلوب شعر الكتاب، بعيدة عن التكلف في الصنعة، أرق معنى في الدمعة، وأعذب لفظاً (المتكلم) مستبشر الطلعة».

أما ابن تغري بردي فقد وصفه في تاريخه بالمترسل والشاعر المجيد. وقد نقل عماد الدين في كتابه خريدة القصر بعضاً من شعره.

شيخو، شعراء جـ ٢ ص ٢٨٨ ـ ٢٩٢

ابو نصر بن موصلايا

ابن اخت امين الدولة السابق ذكره. كان مولده سنة (٤٢٨ هـ / ١٠٣٦ م) وتوفي سنه ٤٩٨ ببغداد (اوائل فبراير ١١٠٥) وله سبعون سنة.

كان ابو نصر كخاله امين الدولة نصرانياً نسطوريا وبقي على نصرانيته إلى السنة ٥٦ من عمره فاسلم مكرها مع خاله كما مرّ.

ولما توفي خاله، رُدَّ ديوان الانشاء إليه في الأيام المستظهرية . . وخرج إلى الرسالة إلى السلاطين مراراً، ويقول عماد الاصفهاني، وكان لا يقارنه أحد في الانشاء والعبارة ولم يكتب كتاباً قطّ فرجع فيه مبيضّه».

وقد روى له عماد الدين الأصفهاني شعراً.

شيخو، شعراء جـ ٢ ص ٢٩١ - ٢٩٢

أبو غالب وأبو طاهر ابنا الاصباغي

هما اخوان نصرانيان من كتبة ديوان الانشاء للخلفاء كانا معاصرين لابَنيْ الموصلايا اضطرار مثلهما إلى الاسلام لينجوا من تذليل النصارى كما مرّ سابقاً.

ولم نجد أخباراً عنهما إلا في خريدة القصر لعماد الدين الأصفهاني. قال الاصفهاني عن أبي غالب.

«هو تاج الرؤساء أبو غالب بن الأصباغي الكاتب. كتب بديوان النعام في بعض الأيام المستظهرية. وناب عن ديوان النعام في أيّام المقتدي. وله تصنيف في علم الكتابة. وجماعة الحسّاب وكتّاب العراق يكتبون الحساب في طريقته. وأسلم في صفر سنة ٤٨٤ (١٠٩١م) قبل اسلام ابني موصلايا بيوم حيث خرج التوقيع الشريف بالزام أهل الذمّة بالغيار وكان من بركات ذلك اسلامهم». (شيخو ص ٢٩١).

وقال عن أبي طاهر: «ابو طاهر بن الأصباغي اخوه كان يخدم عفيفاً القائمي وانصرف عن خدمته. فبلغه انه تهدده. وكان عفيف قد بنى داراً وانفق على سقفها في التذهيب اكثر من خمسة آلاف دينار فعمل فيه ابو طاهر أبياتاً غاظته فتهدّد ابا طاهر. ولم يذكر العماد اسلام أبي طاهر.

شيخو، شعراء . . جـ ٢ ص ٢٩٢

ابن مابي

هو أحد كبار الكتاب عاش في أواخر القرن الخامس للهجرة واوائل السادس (الحادي عشر للمسيح). أصله من بغداد من نصارى النساطرة. وانتقل إلى مدينة واسط واشتهر بين أدبائها. وجاء ذكره في خريدة القصر وجريدة العصر. وقيل «ان له شعر لطيف، ونظم ظريف، وعبارة مستعذبة، وكلمات مطربة معجبة».

شيخو، شعراء . . جـ ٢ ص ٢٩٦ - ٢٩٨

ابن أبي سالم النصراني

احد الشعراء الذين ذكرهم عماد الدين الاصفهاني في كتابه خريدة القصر. وقد خدم بني مروان أصحاب ميّافارقين وبني بويه.

شيخو، شعراء . . جـ ٢ ص ٢٩٨ - ٣٠٠

جمال الرؤساء أبو الفتح بن صاعد

من شعراء بغداد. ذكره عماد الدين الاصفهاني في كتابه خريدة القصر. وهو من رجال القرن السادس للهجرة (الثاني عشر للمسيح).

شيخو، شعراء... جـ٢ ص ٣٠٠ ـ ٣٠٨

ابن أبي الخير سلامة الدمشقي

ذكره عماد الدين الاصفهاني في كتابه خريدة القصر وقال: «هو ابو الحسن بن أبي الخير سلامة كان نصرانياً من اهل دمشق وكاتباً لتاج الملوك أخ الملك الناصر فيه أدب وذكاء» وقد ذكر عماد الكاتب تاريخ بعض شعره في السنة ٥٧٢/ ١١٧٦ م كما انه نقل عنه شيئاً من شعره.

شيخو، شعراء... جـ٢ ص ٣٠٨ ـ ٣١٠

ابن أبي اصيبعة جـ٢ ص ١٠٦

جرجس الانطاكي النصراني

ذكره العماد الاصبهاني في كتابه خريدة القصر يدعى الفيلسوف الانطاكي النصراني وهو موصوف كفيلسوف وشاعر معاً. كان أصله من انطاكية فرحل إلى مصر ومارس فيها فنّ الطباعة واشتغل بالفلسفة. وهناك وجده ابو الصلت أميّة بن عبد العزيز لما دخل مصر سنة ٥١٠ هـ/ ١١١٦م.

لجرجس الأنطاكي أقوال في الشعر حسنة وكلها في هجو أبي الخير الطبيب اليهودي.

ابو الفرج يحيى ابن التلميذ

انظر ترجمته بين الأطباء.

هبة الله ابن التلميذ

انظر ترجمته بين الأطباء.

شيخو، شعراء... جـ٢ ص ٣٣٥ ـ ٣٤١

محفوظ النيلي

هو الحكيم ابو العلاء محفوظ بن المسيحي بن عيسى النصراني النيلي، الطبيب والأديب الشاعر. كان من أهل العراق ونسبته الى النيل وهي بلدة على الفرات في سواد الكوفة بين الكوفة وبغداد. كان في اواسط القرن السادس للهجرة (الثاني عشر للميلاد).

قال فيه القفطي: «كان محفوظ طبيباً فاضلاً نبيلاً مذكوراً في وقته، عالماً بصناعة الطب، مرتزقاً بها، جميل المشاركة، محمود المعالجة. وله مع ذلك أدبٌ طريٌّ، وخاطر في النظم سري، وكان موجوداً بالعراق سنة ٥٥٩ هـ (١١٦٤ م).

وقد ذكر عماد الدين الاصفهاني شيئاً من شعره نقلها الأب شيخو (جـ٢ ص ٣٣٦ ـ ٢٤١).

شيخو شعراء... جـ٢ ص ٣٤١ ـ ٣٤٢

سعيد النيلي

شاعر من بلدة النيل قرب واسط. ذكره ابن أبي اصبعة في كتابه طبقات الأطباء (جـ ١ ص٢٥٣) «هو أبو سهل سعيد بن عبد العزيز النيلي المشهور بالفضل، عالم بصناعة الطب، جيّد المصنفات متفنن في العلوم الأدبية بارع في النظم والنثر وذكر بعض شعره.

شيخو، شعراء . . . جـ ٢ ص ٣٤٢ - ٣٤٣

ابن اصطفانوس الرومي

من شعراء القرن الخامس للهجرة (الحادي عشر للمسيح) كان ابن اصطفانوس فيلسوفاً شاعراً، ولد بالروم، ونشأ بإنطاكية، وكان ذا هيبة، اديباً شاعراً نحوياً فيلسوفاً نظاراً. سافر إلى العراق ولقي بها العلماء ولُقّن من العلوم والآداب ما علا به صيتُه واشتهر ذكره في الأزمان. . . . ثم ارسل سفيراً الى الخليفة الفاطمي المستنصر بالله في مصر.

شيخو، شعراء . . . جـ ٢ ص ٣٤٣

القس يعقوب الماردانى

أحد قسوس اليعاقبة السريان، ذكره الشيخ المؤتمن ابو اسحاق ابن عسّال في جدول كتَبة النصارى الذي قدّمه على كتابه أصول الدين. وقال عنه «صاحب دعوة القسوس».

وقد عثر الأب شيخو، سنة ١٩٠٤، على مخطوط فيه مجموع شعر قديم لشعراء مسلمين بينهم بعض النصارى وذكر فيه بعض الخمريات مترفعاً عن الخمرية الماديّة الى ذكر الخمرة الالهية في سرّ النصرانية، بينها قطع اخذها من كتاب دعوة القسوس. وقد نشرها الأب شيخو في كتابه (ص ٣٤٤ - ٣٤٦). وهي تشبه خمرية ابن الفارض. وهو كان معاصراً للماردانى.

شيخو، شعراء . . . جـ ٢ ص ٣٥١ - ٣٥٩

بنو ممّاتي النصارى الأقباط

بنو مماتي أسرة شريفة قبطية أصلها من اسيوط في صعيد مصر وهي تنتمي إلى أبي مليح الملقب بمماتي قال ابن خلكان: «كان أبو مليح نصرانياً وانما قيل له ممّاتي لانه وقع في مصر غلاءٌ عظيم وكان كثير الصدقة والاطعام وخصوصاً لصغار المسلمين. فكانوا اذا رأوه نادى كل واحدٍ منهم . . ممّاتي . . فاشتهر به . .

وقال ياقوت في معجم الأدباء يذكر انتقال بني ممّاتي إلى مصر قال: «قدموا مصر وخدموا وتقدموا وولّوا الولايات وهو (اي ابو مليح) مع ذلك من أهل بيت في الكتابة، عريق، وهو كالمستولي على الديار المصريّة ليس على يده يدٌ . . . وكان إلى ممّاتي كثير من أعماله» (جـ ٢ ص ٢٤٤).

وكان في تلك الأيام وزيرا على مصر بدر الجمالي أمير الجيوش في أيام الخليفة المستنصر بالله وكان أبو مليح أحد عماله يكتب في ديوان مصر ويتولى استيفاء الديون.

ولده المهذب ممّاتي وكان يلقب بالخطير كان كاتب ديوان الجيش في أواخر ايام الفاطميين وأول

حكم بني أيوب مدّة. «وكان مرتباً على ديوان الاقطاعات وهو على دين النصرانية فلما علم أسد الدين شيركوه في بدء أمره بمصر أنه نصراني وانه يتصرف في عمله بلا غيار نهاه وأمره بغيار النصارى ورفع الذؤابة وشدّ الزنّار وصرفه عن الديوان فبادر هو وأولاده فاسلموا على يده. فأقرّه على ديوانه مدّة ثم صرفه عنه» (ياقوت جـ ٢ ص٢٤٦).

وكانت وفاة الخطير يوم الاربعاء ٦ رمضان سنة ٥٧٧ هـ(١١٨٢ م).

ابنه الأسعد مماتي

هو شرف الدين ابو المكارم اسعد بن المهذب مماتي المصري الكاتب الشاعر. قال ياقوت في معجم الأدباء (جـ ٢ ص ٢٤٩) والمقريزي في الخطط(جـ ٢ ص ٢٦٠) «خلف أباه على ديوان الجيش وتصدّر فيه مدّة طويلة. ثم اضيف اليه ديوان المال وهو أجلّ ديوان من دواوين مصر واستمرّ في ذلك مدّة أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، وايام ابنه الملك العزيز عثمان، وولي نظر الدواوين واختص بالقاضي الفاضل عبد الرحمن بن علي البيساني فنفق عليه وحظي عنده وكُرم لديه، فقام بأمره واشاع من ذكره، ونبّه على فضله، وصنف له عدّة تصانيف باسمه وكان يسميه بلبل المجلس».

وقال المقريزي في الخطط: «ولم يزل بمصر حتى ملك السلطان الملك العادل أبو بكر بن أيوب، ووزر له صفيّ الدين عليّ بن عبد الله بن شكر، فخافه الأسد لما كان يصدر منه في حقّه من الاهانة. وشرع الوزير ابن شاكر في العمل عليه، ورتّب له مؤامرات، ونكبَهُ وأحال عليه الأجناد. ففرّ من القاهرة وسقط في حلب». وتوفي فيها سنة ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م. عن ٦٢ سنة. فدُفن بظاهر حلب، بمقام بقرب قبر أبي بكر الهروي.

وذكر العماد الاصفهاني من مؤلفاته:

ــ كتاب سرّ الشعر صنّفه للملك العزيز

ــ ونظم سيرة السلطان صلاح الدين يوسف.

ــ ونظم كتاب كليلة ودمنة.

ــ كتاب صحة الحق على الخلق في التحذير من سوء عاقبة الظلم كان السلطان صلاح الدين يكثر النظر فيه.

ــ كتاب قوانين الدواوين فيما يتعلق بدواوين مصر ورسومها وأصولها وأحوالها في أربعة اجزاء ضخمة، ذكر فيه أربعة آلاف صنيعة من أعمال مصر ومساحة كل صنيعة، وقانون ريّها ومتحصلها من عين وغلة. وقد طبع في مصر سنة ١٢٩٩.

ــ الفافوش في أخبار قراقوش نسب غلطاً إلى السيوطي كان أبو المكارم نصرانياً فاسلم لكي لا يفقد وظيفته.

البَابُ الثَّاني

أُطباء وصَيادلة مسيحيّون

الفصل الأول

أطباء وصيادلة

وأما الأطباء من النصارى فمن كان معاصر الأطباء الاسكندريين وقريباً من أزمنتهم فمنهم :

١ ــ شمعون الراهب المعروف بطيبويه.

٢ ــ وأهرن القس صاحب الكناش. وألف كناشه بالسريانية ونقله ماسرجيس الى العربية وهو ثلاثون مقالة وزاد عليها ماسرجيس مقالتين.

٣ ــ ويوحنا بن سرابيون (انظر فيما بعد).

٤ ــ وانطيلس وبرطلاوس وسندهشار والقهلمان وأبو جريج الراهب وأوراس وبونيوس البيروتي وسيورخنا وفلاغوسوس.

٥ ــ وعيسى بن قسطنطين ويكنى أبا موسى وكان من جملة أفاضل الأطباء وله من الكتب: كتاب الأدوية المفردة،وكتاب في البواسير وعللها وعلاجها.

٦ ــ وسرجس الرأس عيني وهو اوّل من نقل كتب اليونانيين على ما قيل إلى لغة السريانيين. وكان فاضلاً وله مصنفات كثيرة في الطب والفلسفة.

٧ ــ وأطنوس الآمدي صاحب الكناش المعروف بيقوقبا.

٨ ــ وغريغوريوس صاحب الكناش.

وأكثر كتب هؤلاء موجودة وقد نقل الرازي كثيراً من كلامهم في كناشه الكبير الجامع المعروف بالحاوي.

جراف، جـ ٢ ص ١٣١ / ابن أبي أصيبعة، ١٠٩،١

شيخو، ٢٢١ / قفطي ٤٣١ / فهرست ٢٩٦

يوحنا بن سرابيون

عاش في القرن الثاني عشر يقول عنه أبن أبي أصيبعة : «جميع ما ألفه سرياني وكان والده سرابيون طبيباً من أهل باجرمي. وخرج ولداه طبيبين وهما يوحنا وداود.

وليوحنا بن سرابيون من الكتب:

كناشه الكبير اثنتا عشرة مقالة.

كناشه الصغير (وهو المشهور) سبع مقالات ونقله الحديثي الكاتب لابي الحسن بن النفيس

المتطبب في سنة ثماني عشرة وثلاثمائة وهي أحسن عبارة من نقل الحسن بن البهلول الأواني الطبرهاني. ونقله أيضاً أبو البشر متى.

نقل الكبير إلى اللاتينية.

وقد نشر الدكتور جيج Guigues، أستاذ الصيدلة بكلية الطب لليسوعيين في بيروت المفردات العربية الطبية الواردة في كتابه فنشرها وشرحها ووضع فهارسها في العربية والفرنسية Dr. P. Guigues, Les noms arabes dans Sérapion, Paris, 1905

ويحضر الصيدلي المصري منير شحاتة رسالة دكتوراة عنه في جامعة ماربورج Marburg بالمانيا الغربية.

ابن أبي اصيبعة جـ١ ص١١٦

عبد الملك بن أبجر الكناني

«كان طبيباً عالماً ماهراً. وكان في أول أمره مقيماً في الاسكندرية لانه كان المتولي في التدريس بها من بعد الاسكندرانيين. وذلك عندما كانت البلاد في ذلك الوقت لملوك النصارى.ثم ان المسلمين لما استولوا على البلاد وملكوا الاسكندرية أسلم ابن أبجر على يد عمر بن عبد العزيز وكان حينئذٍ أميراً قبل أن تصل إليه الخلافة وصحبه. فلما أفضت الخلافة إلى عمر وذلك في سفر سنة تسع وتسعين للهجرة نقل التدريس إلى انطاكية وحرّان، وتفرق في البلاد.

وكان عمر بن عبد العزيز يستطب ابن أبجر ويعتمد عليه في صناعة الطب. ومن اقواله: «المعدة حوض الجسد والعروق تشرع فيه فما ورد فيها بصحة صدر بصحة وما ورد فيها بسقم صدر بسقم» (ص ١١٦).

ابن أبي اصيبعة جـ ١ ص ١١٩

أبو الحكم

«كان طبيباً نصرانياً عالماً بأنواع العلاج والأدوية وله أعمال مذكورة ووصفات مشهورة. وكان يستطبه معاوية بن ابي سفيان ويعتمد عليه في تركيبات أدوية لأغراضٍ قصدها منه.

وعمّر ابو الحكم هذا عمراً طويلاً حتى تجاوز المائة سنة.

ابن أبي اصبعة جـ ١ ص ١١٦

ابن أثال

كان طبيباً متقدماً من الأطباء المتميزين في دمشق، نصراني المذهب. ولما ملك معاوية بن أبي سفيان دمشق اصطفاه لنفسه وأحسن إليه وكان كثير الافتقاد له، والاعتقاد فيه، والمحادثة معه ليلاً ونهاراً.

• «وكان ابن أثال خبيراً بالأدوية المفردة والمركبة وقواها وما منها سموم قواتل، وكان معاوية يقربه لذلك». (ص ١١٦ - ١١٧).

ابن أبي اصيبعة جـ ٢ ص ١٢٠ / جراف جـ ٢ ص ١١٢

فهرست ص ٢٩٧ / القفطي ص ٢٤٩

أبو الحسن عيسى بن حكم مسيح الدمشقي

وهو المشهور بمسيح صاحب الكناش الكبير الذي يعرف به وينسب إليه. مترجم ـ نسطوري ـ ألف كتاباً في الطب عنوانه:
الرسالة الكافية قدمها لهارون الرشيد وله أيضاً من الكتب: كتاب منافع الحيوان.

ابن ابي اصيبعة جـ ١ ص ١٢١

تياذوق

كان طبيباً فاضلاً وله نوادر وألفاظ مستحسنة في صناعة الطب. وعمّر. وكان في اول دولة بني اميّة ومشهوراً عندهم بالطب. وصحب ايضاً الحجاج بن يوسف الثقفي المتولي من جهة عبد الملك ابن مروان وخدمه بصناعة الطب وكان يعتمد عليه ويثق بمداواته. وكان له منه الجامكية الوافرة والافتقاد الكثير.

ومن كلام تياذوق للحجاج قال: «.. لا تأكل من اللحم الا فتياً، ولا تشرب الدواء إلا من علة، ولا تأكل الفاكهة إلا في أوان نضجها وأجد مضغ الطعام واذا اكلت نهاراً فلا بأس ان تنام، واذا اكلت ليلاً فلا تنم حتى تمشي ولو خمسين خطوة». فقال له بعض من حضر: «اذا كان الأمر كما تقول فلِمَ هلك بقراط، ولم هلك جالينوس وغيرهما، ولم يبق أحد منهم؟». قال: «يا بني قد احتججت فاسمع ان القوم دبروا انفسهم بما يملكون وغلبهم ما لا يملكون، يعني الموت، وما يرد من خارج كالحر والبرد والوقوع والغرق والجراح والغم وما اشبه ذلك».

ومات تياذوق بعدما اسنّ وكبر وكانت وفاته بواسط في نحو سنة تسعين للهجرة. ولتياذوق من الكتب كناش كبير ألفه لابنه، وكتاب ابدال الأدوية وكيفية دقها وإيقاعها وإذابتها، وشيء من تفسير اسماء الأدوية.

آل بختيشوع

خصّص ابن ابي اصيبعة فصلاً كاملاً (الثامن من طبقات الأطباء) الى «الأطباء السريانيين الذين كانوا في ابتداء ظهور دولة بني العباس». وقد ذكرنا فيما سبق اهمية مدينة جنديسابور كمركز لدراسة الطب وكيف انبثقت منها حركة الاشتغال بالعلوم الطبية في البلاد الاسلامية العربية.

وأساس هذه الحركة هي بلا جدال اسرة بختيشوع وهذه هي شجرة سلالة هذه العائلة:

١ ـ جورجس بن جبريل بن بختيشوع (توفي حوالي سنة ٧٦٨ م)

٢ ـ بختيشوع بن جورجس (توفي سنة ٨٠١)

٣ ـ جبرئيل بن بختيشوع (توفي سنة ٨٢٧)

٤ ـ بختيشوع بن جبرئيل (توفي سنة ٨٧٠)

٥ ـ عبيد الله بن بختيشوع	٥ (١) ـ يوحنا بن بختيشوع
٦ ـ جبرئيل بن عبيد الله	٦ (١) ـ بختيشوع بن يوحنا
(١٠٠٦)	(٩٤١)

٧ ـ عبيد الله بن جبرئيل　　　　٧ (١) ـ ابراهيم بن بختيشوع

(١٠٥٨)
٨ ـ سعيد بن عبيد الله　　　　٨ (١) ـ علي بن ابراهيم

ابن ابي اصيبعة جـ ١ ص ١٢٣ ـ ١٢٥

جورجس بن جبرئيل

يقول ابن ابي اصيبعة: «كانت له خبرة بصناعة الطب ومعرفة بالمداواة وأنواع العلاج. وخدم بصناعة الطب المنصور وكان حظياً عنده، رفيع المنزلة ونال من جهته اموالاً جزيلة. وقد نقل للمنصور كتباً كثيرة من كتب اليونانيين الى العربية.

وقد روى ابن ابي اصيبعة، حسب فثيون الترجمان، قصة اتصال الخليفة بهذا الطبيب الشهير. ان المنصور في سنة ١٤٨ هـ/ ٧٦٥م مرض وفسدت معدته وانقطعت شهوته. وكلما عالجه الأطباء زاد مرضه. فطلب منهم ان يدلوه على طبيب ماهر. فقالوا له: ليس في وقتنا هذا احد يشبه جورجس رئيس اطباء جنديسابور. فاستدعاه.

فخرج جورجس من جنديسابور بعد ان اوصى ابنه بختيشوع بأمر البيمارستان وأموره وأخذ معه ابراهيم وعيسى من تلاميذه. فقبله الخليفة بكل اكرام وحفاوة. فعالجه جورجس وشفاه.

وقد ذكر ابن ابي اصيبعة حكايات ظريفة تدل على مدى ثقة الخليفة بطبيبه المحبوب. فلنذكر اثنتين منها. يقول الراوي: ولما كان بعد ايام قال الخليفة للربيع: ارى هذا الرجل قد تغير وجهه لا يكون قد منعته مما يشربه على عادته. قال له الربيع: لم نأذن له ان يدخل الى هذه الدار مشروباً. فأجابه بقبيح. وقال له: لا بد ان تمضي بنفسك حتى تحضر له من المشروب كل ما يريده. فمضى الربيع الى قطربل وحمل منها اليه غاية ما امكنه من الشراب الجيد».

وهناك حكاية اخرى تدل على مدى تقدير المنصور لجورجس. مرض جورجس مرضاً صعباً وكان الخليفة يرسل اليه في كل يوم الخدم حتى يعرف خبره. ولما اشتد مرض جورجس امر به الخليفة فحمل على سرير الى دار العامة، وخرج اليه الخليفة ماشياً ورآه، وسأله عن خبره فبكى جورجس بكاءً شديداً. وقال له ان رأى امير المؤمنين اطال الله بقاءه ان يأذن لي في المسير الى بلدي لأنظر الى اهلي، وان متّ قبرت مع آبائي. فقال الخليفة: يا جورجس، اتق الله واسلم وانا اضمن لك الجنّة. قال جورجس: انا على دين آبائي اموت حيث يكون ابائي احب ان اكون، اما في الجنة او في جهنم. فضحك الخليفة من قوله وقال له: وجدت راحة عظيمة في جسمي منذ رأيتك والى هذه الغاية وقد تخلصت من الأمراض التي كانت تلحقني. قال له جورجس اني اخلف بين يديك عيسى وهو تربيتي. فأمر الخليفة ان يخرج جورجس الى بلده، وان يدفع اليه عشرة آلاف دينار». وعاد فعلاً جورجس الى بلده.

لجورجس من الكتب كناش مشهور نقله حنين بن اسحق من السرياني الى العربي.

ابن ابي أصيبعة جـ ١ ص ١٢٥ ـ ٧

بختيشوع بن جورجس

ومعنى بختيشوع: عبد المسيح لأن في اللغة السريانية البخت: «العبد» و«يشوع» المسيح.

كان بختيشوع يلحق بأبيه في معرفته بصناعة الطب ومزاولته لأعمالها. وخدم هارون الرشيد وتميّز في أيامه.

ولبختيشوع بن جورجس من الكتب كناش مختصر. وكتاب التذكرة ألفه لابنه جبرئيل.

ابن ابي أصيبعة جـ ١ ص ١٢٧ ـ ١٢٨

جبرئيل بن بختيشوع بن جورجس

سنة ١٧٥ هـ / ٧٩١ م طلب الرشيد من بختيشوع أن يعالج جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك الذي كان مريضاً. وقال له جعفر فيما بعد: أريد أن تختار لي طبيباً ماهراً اكرمه واحسن اليه. قال له بختيشوع: ابني جبرئيل أمهر مني وليس في الأطباء من يشاكله. فقال له: أحضرنيه. ولما احضره عالجه في مدة ثلاثة أيام وبرأ. فأحبه جعفر مثل نفسه وكان لا يضبر عنه ساعة ومعه يأكل ويشرب.

وقد قويت منزلته عند الرشيد حتى أن الرشيد قال لأصحابه: كل من كانت له إلي حاجة فليخاطب بها جبرئيل لأني أفعل كل ما يسألني فيه ويطلبه مني. ويضيف ابن ابي أصيبعة: «ومنذ يوم خدم الرشيد الى أن انقضت خمس عشرة سنة لم يمرض الرشيد».

ولما تولى محمد الأمين وافى إليه جبرئيل فقبله أحسن قبول وأكرمه. . وكان الأمين لا يأكل ولا يشرب إلا باذنه. وحظي بنفس الثقة من طرف المأمون. ولما عزم المأمون على الخروج الى بلد الروم في سنة ٢١٨ هـ / مرض جبرئيل مرضاً شديداً فلما رآه المأمون ضعيفاً التمس منه ايفاد بختيشوع ابنه معه إلى بلد الروم فأحضره وكان مثل أبيه في الفهم والعقل والسر. ولما خرج المأمون طال مرض جبرئيل الى ان بلغ الموت. فمضى في تجميل موته ما لم يمض لامثاله بحسب استحقاقه بأفعاله الحسنة وخبرته. ودفن في دير مار سرجس بالمدائن. ولما عاد ابنه بختيشوع من بلد الروم جمع للدير رهبانا وأجرى عليهم جميع ما يحتاجون إليه.

وهو الذي يعنيه أبو نواس في قوله (الوافر):

سألت أخي أبا عيسى ... وجبريل له عقْلُ
فقلت الراح تعجبني ... فقال كثيرها قتْلُ
فقلت له فقدر لي ... فقال وقوله فصْلُ
فأربعة لأربعة ... لكل طبيعة رطْلُ

ولجبرئيل بن بختيشوع من الكتب:

١ ــ رسالة الى المأمون في المطعم والمشرب.
٢ ــ كتاب المدخل الى صناعة المنطق.
٣ ــ كتاب الباه.
٤ ــ رسالة مختصرة في الطب.
٥ ــ كتاب في صنعة البخور ألفه لعبد الله المأمون.

ابن ابي أصيبعة جـ ١ ص ١٣٨ ـ ١٤٤

جراف جـ ٢ ص ١١٠ / القفطي، ص ١٠٢ ـ ١٠٤

بختيشوع بن جبرئيل

وصفه ابن النديم في الفهرست على الوجه الآتي (ص ٢٩٦): «معروف مشهور متقدم عند الملوك. خدم الرشيد والأمين والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل. وكسب بالطب ما لم يكسبه قبله. وكان الخلفاء يثقون به على أولادهم». وقد ذكر ابن ابي أصيبعة في كتابه عيون الأنباء فوائد عدة خاصة بما قام به من عجيب المعالجات وقد توفي سنة ٢٥٦ هـ / ٨٦٠ م. وكان قد أبعده المتوكل الى البحرين. ونقل له حنين بن اسحق كتباً من السريانية.

وقد بقي من مؤلفاته الكتب الآتية:

ـ رسالة عملها الى المأمون في تدبير البدن جواباً عن كتابه يسأل ذلك.

٢ ـ نصائح الرهبان في الأدوية المركبة.

٣ ـ مختصر بحسب الأمكان في علم الأزمان والأبدان..

٤ ـ رسالة فيها نكتٌ من مخفيات الرموز في الطب.

٥ ـ نبذة في الطب.

٦ ـ كتاب الحجامة في طريق المسألة والجواب.

ابن ابي أصيبعة جـ ١ ص ١٤٤ ـ ١٤٨

جبرئيل بن عبيد الله بن بختيشوع

كان والده عبيد الله متصرفاً. ولما ولي المقتدر الخلافة استكتبه لحضرته وبقي معه مدة طويلة. ثم توفي وخلف عبيد الله ابنه جبرئيل وأختا.

وجاء جبرئيل الى بغداد فلازم طبيباً معروفاً وقرأ عليه وكان من أطباء المقتدر وخواصه. وقرأ على يوسف الواسطي الطبيب ولازم البيمارستان والعلم والدرس. وانتشر ذكره بفارس وبكرمان وكان ذلك سبب خروجه الى شيراز فلما دخل المدينة رفع خبره الى عضد الدولة وكان أول نبوغه ولايته شيراز واستدعي به فحضر وأحضر معه رسالة في عصب العين تكلم فيها بكلام حسن بحسن موقعه عنده.

ولما دخل عضد الدولة الى بغداد أخذ معه جبرئيل مع خاصته وجدد البيمارستان. وأرسله عضد الدولة الى الصاحب بن عباد الى الريّ، وكان مريضاً. فأقام عنده أسبوعاً فشفاه. واعد له عنده أهل العلم ورتب مناظرة فلم يكن في الحضور الا من أكرمه وعظمه. وسأله ابن عباد أن يعمل له كناشاً يختص بذكر الأمراض التي تعرض من الرأس إلى القدم. ففعل.

وعاد من الري الى بغداد. وكان عضد الدولة قد مات فأقام ببغداد سنتين مشتغلاً بالتصنيف. فأتم كناشه الكبير وسماه بالكافي. ووقف منه نسخة على دار العلم ببغداد وعمل كتاب المطابقة بين قول الأنبياء والفلاسفة «وهو كتاب لم يعمل في الشرع مثله لكثرة احتوائه على الأقاويل وذكر

المواضع التي استخرجت منها وأكثر فيه من أقوال الفلاسفة في كل معنى لغموضها. . .» وفي هذه المدة عمل مقالة «في الرد على اليهود» جمع فيها أشياء منها جواز النسخ من أقوال الأنبياء، ومنها شهادات على صحة مجيء المسيح، وأبطل انتظارهم له، ومنها صحة القربان بالخبز والخمر. سافر الى بيت المقدس ثم عاد الى دمشق ثم الى بغداد والريّ حيث أقام عند ملك الديلم مدة ثلاث سنين. ثم عاد الى بغداد.

وكان العميد لا يفارقه ويلازمه ويبايته في دار الوزارة لأجل المرض الذي كان له وحظي لديه. ثم طلب منه الأمير ممهد الدولة الحضور الى ميافارقين حيث أكرمه كل الاكرام. وأقام في الخدمة ثلاث سنين وتوفي يوم الجمعة ثامن شهر رجب من سنة ٣٩٦هـ وكان عمره ٨٥ سنة. ودفن بالمصلى بظاهر ميافارقين.

ولجبرئيل بن عبيد الله من الكتب:

١ ـ الكناش الكبير الملقب بالكافي خمس مجلدات ألفه للصاحب بن عبّاد على طريق المسألة والجواب.

٢ ـ الكناش الصغير ألفه أيضاً للصاحب بن عباد.

٣ ـ رسالة في عصب العين.

٤ ـ مقالة في ألم الدماغ بمشاركة فم المعدة والحجاب الفاصل بين آلات الغذاء وآلات التنفس المسمى ذيافرغما. ألفها لخسروشاه بن مبادر ملك الديلم.

٥ ـ مقالة في أن أفضل اسطقسات البدن الدم ألفها للصاحب بن عباد.

٦٦ ـ كتاب المطابقة بين قول الأنبياء والفلاسفة.

٧ ـ مقالة في الرد على اليهود.

٨ ـ مقالة في أنه لِمَ جعل من الخمر قربان وأصله محرم.

ابن ابي اصيبعة جـ ١ ص ١٤٨

عبيد الله بن جبرئيل

هو ابو سعيد عبيد الله بن جبرئيل بن عبيد الله بن بختيشوع بن جبرئيل بن بختيشوع بن جورجس بن جبرئيل من جملة المتميزين من الأطباء. ويقول ابن ابي اصيبعة انه كان جيد المعرفة بعلم النصارى ومذاهبهم.

وله تصانيف كثيرة في صناعة الطب. وأقام بميافارقين وكان معاصراً ابن بطلان ويجتمع به ويأنس اليه، وبينهما صحبة. وتوفي عبيد الله بن جبرئيل سنة ٤٥٠ هـ

ولعبيد الله بن جبرئيل من الكتب:

١ ـ مقالة في الاختلاف بين الألبان الفها لبعض اصدقائه في سنة ٤٤٧.

٢ ـ كتاب مناقب الأطباء ذكر فيه شيئاً من احوالهم ومآثرهم وكان تأليفه لذلك في سنة ٤٢٣.

٣ ـ كتاب الروضة الطبية كتب به الى الاستاذ ابي الحسن محمد بن علي.

٤ ـ كتاب التواصل الى حفظ التناسل، الفه في سنة ٤٤١.

٥ ـ رسالة الى الاستاذ ابي طاهر بن عبد الباقي المعروف بابن قطرمين جواباً عن مسألته.

٦ ـ في الطهارة ووجوبها.
٧ ـ رسالة في بيان وجوب حركة النفس.
٨ ـ كتاب نوادر المسائل، مقتضبة من علم الأوائل في الطب.
٩ ـ كتاب تذكرة الحاضر وزاد المسافر.
١٠ ـ كتاب الخاص في علم الخواص.
١١ ـ كتاب طبائع الحيوان وخواصها ومنافع اعضائها الفها للأمير نصير الدولة.

ابن ابي اصيبعة جـ ١ ص ١٤٨

خصيب

يقول ابن ابي اصيبعة: «كان نصرانياً من اهل البصرة ومقامه . وكان فاضلاً في صناعة الطب، جيّد المعالجة. حدث محمد بن سلام الجمحي قال: مرض الحكم بن محمد بن قنبر المازني الشاعر بالبصرة، فأتوه بخصيب الطبيب يعالجه فقال فيه:

ولقد	قلت	لأهلي	اذ	اتوني	بخصيب
ليس	والله	خصيب	للذي	بي	بطبيب
انما	يعرف	دائي	من	به مثل	الذي بي

ابن ابي اصيبعة جـ ٢ ص ١٥٨

يزيد بن زيد بن يوحنا ابي خالد

متطب المأمون. وخدم ايضاً ابراهيم بن المهدي وكان له منه الاحسان الكثير والعناية البالغة.

ابن ابي اصيبعة جـ ١ ص ١٦٠

سهل الكوسج

كان سهل الكوسج ابو سابور سهل صاحب الاقراباذين المشهورة من اهل الأهواز. وكان ألحى وانما لقب بالكوسج على سبيل التضاد. وكان عالماً في الطب الا انه دون ابنه في العلم. وكانت في لسانه لكنة خوزيه. وكان كثير الهزل فغلب هزله جده. وكان متى اجتمع مع يوحنا ماسويه، وجورجس بن بختيشوع، وعيسى بن حكم، وعيسى بن ابي خالد، وزكريا بن الطيفوري، ويعقوب صاحب ابيارستان، والحسن بن قوش، وعيسى المسلم، وسهل بن جبير، وهذه الطبقة من المتطبين،قصر عنها في العبارة ولم يقصر عنها في العلاج.

ابن ابي اصيبعة جـ ١ ص ١٦١

سابور بن سهل

كان ملازماً لبيارستان جنديسابور ومعالجته المرضى به وكان فاضلاً عالماً بقوى الأدوية المفردة وتركيبها. وتقدم عند المتوكل وكذلك عند من تولى بعده من الخلفاء.

وتوفي في ايام المهتدي بالله، سنة ٢٥٥ هـ / ٨٦٩م. ولسابور بن سهل من الكتب:

١ ــ كتاب الأقراباذين الكبير المشهور، جعله سبعة عشر باباً وهو الـذي كان المعمـول عليه في البيمارستان ودكاكين الصيدلة وخصوصاً قبل ظهور الأقراباذين الذي الفـه امـين الدولـة بن التلميذ.

٢ ــ كتاب قوى الأطعمة ومضارها ومنافعها.

٣ ــ كتاب الرد على حنين في كتابه في الفرق بين الغذاء والدواء المسهل.

٤ ــ القول في النوم واليقظة.

٥ ــ كتاب ابدال الأدوية.

ابن ابي اصيبعة، جـ ١ ص ١٦٤ ـ ١٧٠
القفطي، ص ٢٠٧ / ابن العبري، ص ٢٤٣

سلموية بن بنان

متطبب المعتصم. لما استخلف ابو اسحق المعتصم بالله وذلك في سنة ٢١٨ هـ اختار لنفسه سلمويه الطبيب. وأكرمه اكراماً كثيراً وكان يرد الى الدواوين توقيعـات المعتصـم في السجـلات وغيرها بخط سلمويه. ويضيف ابن ابي اصيبعة: «وكان سلمويه بن بنان نصرانياً حسن الاعتقاد في دينه كثير الخير، محمود السيرة وافر العقل جميل الرأي» وكان يقول المعتصم: «سلمويه طبيبي اكبر عندي من قاضي القضـاة لأن هذا يحكم في مالي وهـذا يحـكم في نفسي ونفسي اشرف من مالي وملكي.» (ص ١٦٥).

ولما مرض سلمويه امر المعتصم ولده ان يعوده فعاده. ثم قال: «انا اعلم وأتيقن اني لا أعيش بعده لأنه كان يراعي حياتي ويدبر جسمي». ولم يعش بعده تمام السنة.

ولما مات سلمويه امتنع المعتصم عن أكل الطعام يوم موته وأمر بأن تحضر جنازته الدار ويصلى عليه بالشمع والبخور على زي النصارى الكامل. . وحزن عليه حزناً شديداً وكان لسلمويه طريقة خاصة لعلاج السل (انظر ص ١٦٥).

ابن ابي اصيبعة جـ١ ص١٧١

جبرئيل كحال المأمون

كان المأمون يستخف يد جبرئيل الكحال ويذكر انه ما رأى أبدا على عين أخف من يده. وكان اول من يدخل إليه في كل يوم عند تسليمه من صلاة الغداة فيغسل أجفانه ويكحل عينيه. فاذا انتبه من قائلته فعل مثل ذلك.

ابن أبي اصيبعة جـ ١ ص ١٧١

ماسويه أبو يوحنا

كان يعمل في دق الأدوية في بيمارستان جنديسابور وهو لا يقرأ حرفاً واحداً بلسان من الألسنة إلا أنه عرف الأمراض وعلاجها وصار بصيراً بانتقاد الأدوية. فأخذه جبرئيل بن بختيشوع فاحسن عليه.

جراف جـ ٢٢ ص ١١٣ / فهرست جـ ١ ص ٢٩٥
القفطي ص ١٩٦ و ٢٠٧ و ٣٨٠ - ٣٩١
ابن ابي أصيبعة جـ ١، ص ١٧٥ - ١٣
ابن العبري ٢٢٧ - ٢٢٨ - ٢٣٥ شيخو ص ١٦

أبو زكريا يوحنا بن ماسوية

خصص له ابن أبي اصيبعة صفحات طوال لما كان لهذا الطبيب الماهر من مكانة عنده. ونحن نقتطف هنا شذرات من هذه الترجمة الطويلة.

كان طبيباً ذكياً فاضلاً خبيراً بصناعة الطبّ وله كلام حسن وتصانيف مشهورة وكان مبجلاً حظياً عند الخلفاء والملوك. . . وكان الواثق مشغوفاً ضنيناً به. . قلده الرشيد ترجمة الكتب القديمة مما وجد بأنقرة وعمورية وسائر بلاد الروم حين سباها المسلمون ووضعه أميناً على الترجمة وخدم هارون والأمين والمأمون وبقي على ذلك إلى أيام المتوكل. كان ملوك بني هاشم لا يتناولون شيئاً من أطعمتهم إلا بحضرته. وكان يقف على رؤوسهم ومعه البراني بالجوارشنات الهاضمة المسخنة الطابخة المقوية للحرارة الغريزية في الشتاء، وفي الصيف بالأشربة الباردة والجوارشنات. وقال ابن النديم ان يوحنا بن ماسوية خدم بصناعة الطب المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل.

ويقول يوسف بن ابراهيم: كان مجلس يوحنا بن ماسويه أعمر مجلس كنت أراه بمدينة السلام لمتطبب أو متكلم او متفلسف لأنه كان يجتمع فيه كل صنف من أصناف أهل الأدب. وكان في يوحنا دعابة شديدة يحضر بعض من يحضرون من أجلها.

وكان له تلاميذ يقرأون عليه كتب المنطق وكتب جالينوس وكانت وفاة يوحنا بن ماسوية بسرّ من رأى سنة ٢٤٣ هـ/ في خلافة المتوكل.

مؤلفاته:

١ - كتاب البرهان: ثلاثون باباً.
٢ - كتاب البصيرة.
٣ - كتاب الكمال والتمام.
٤ - كتاب الحميات مشجر.
٥ - كتاب في الأغذية.

٦ ـ كتاب في الأشربة.
٧ ـ كتاب المنجح في الصفات والعلاجات.
٨ ـ كتاب في الفصد والحجامة.
٩ ـ كتاب في الجذام لم يسبقه أحد الى مثله.
١٠ ـ كتاب الجواهر.
١١ ـ كتاب الرجحان.
١٢ ـ كتاب في تركيب الأدوية المسهلة واصلاحها وخاصة كل دواء منها ومنفعته.
١٣ ـ كتاب دفع مضار الأغذية.
١٤ ـ كتاب في غير ما شيء مما عجز عنه غيره.
١٥ ـ كتاب السر الكامل.
١٦ ـ كتاب في دخول الحمام ومنافعها ومضرتها.
١٧ ـ كتاب السموم وعلاجها.
١٨ ـ كتاب الديباج.
١٩ ـ كتاب الأزمنة.
٢٠ ـ كتاب الطبيخ.
٢١ ـ كتاب في الصداع وعلله وأوجاعه وجميع أدويته والعلل المولدة لكل نوع منه وجميع علاجه ألفه لعبد الله بن طاهر.
٢٢ ـ كتاب السدر والدوار.
٢٣ ـ كتاب لِمَ امتنع الأطباء عن علاج الحوامل في بعض شهور حملهن.
٢٤ ـ كتاب محنة الطبيب.
٢٥ ـ كتاب معرفة محنة الكحالين.
٢٦ ـ كتاب دغل العين.
٢٧ ـ كتاب مجسّة العروق.
٢٨ ـ كتاب الصوت والبحة.
٢٩ ـ كتاب ماء الشعير.
٣٠ ـ كتاب المرّة السوداء.

٣١ ـ كتاب علاج النساء اللواتي لا يحبلن حتى يحبلن.
٣٢ ـ كتاب الجنين.
٣٣ ـ كتاب تدبير الأصحاء.
٣٤ ـ كتاب في السواك والسنونات.
٣٥ ـ كتاب المعدة.
٣٦ ـ كتاب القولنج.
٣٧ ـ كتاب النوادر الطبية.

٣٨ ـ كتاب التشريح.
٣٩ ـ كتاب في ترتيب سقي الأدوية المسهلة بحسب الأزمنة وبحسب الأمزجة وكيف ينبغي أن يسقى ولمن ومتى وكيف يعان الدواء اذا احتبس وكيف يمنع الاسهال اذا افرط.
٤٠ ـ كتاب تركيب خلق الانسان وأجزائه وعدد أعضائه ومفاصله وعظامه وعروقه ومعرفة أسباب الأوجاع ألفه للمأمون.
٤١ ـ كتاب الأبدال فصول كتبها لحنين ابن اسحق بعد أن سأله المذكور ذلك.
٤٢ ـ كتاب الماليخوليا وأسبابها وعلاماتها وعلاجها.
٤٣ ـ كتاب جامع الطب مما اجتمع عليه أطباء فارس والروم.
٤٤ ـ كتاب الحيلة للبرء.

وقد نشر الأب سباط كتابين من هذه المؤلفات:

Paul Sbat, Kitab al-azmina. Le Livre des temps D'Ibn Massawaih, médecin chrétien célèbre décédé 875, Le Caire 1933.

Al-Nawadir al-Tibbiyya. Les axiomes de Yohanna ibn Massawaih, Le Caire 1934.

ابن أبي اصيبعة جـ ١ ص ١٨٣

ميخائيل بن ماسويه

متطبب المأمون. وميخائيل هذا هو أخو يوحنا بن ماسويه. كان ميخائيل لا يوافق أحداً من المتطببين على شيء أحدث من مائتي سنة فلم يكن يستعمل الكنجبين والورد المربى إلا بالعسل ولا يستعمل الجلاب المتخذ بماء الورد ولا يتخذه إلا من الورد المسلوق بالماء الحار، ولا يتخذه بالسكر ولا يستعمل شيئاً لم يستعمله الأوائل.

وكان المأمون معجباً به وله على جبرائيل بن بختيشوع مقدماً حتى كان يدعوه بالكنية أكثر مما يدعوه بالاسم. وكان لا يشرب الأدوية إلا مما تولى تركيبه واصلاحه له. وكان جميع المتطببين بمدينة السلام يبجلونه تبْجيلاً لم يكونوا يظهرونه لغيره.

ابن أبي اصيبعة جـ ١ ص ١٨٤

عيسى بن ماسة البصري

من الأطباء الفضلاء من القرن وله طريقة حسنة في علاج المرضى. وله من الكتب:

١ ــ كتاب قوي الأغذية.
٢ ــ كتاب من لا يحضره طبيب.
٣ ــ مسائل في النسل والذرية.

٤ ــ كتاب الرؤيا يخبر فيه السبب الذي امتنع به من معالجة الحوامل وغير ذلك.
٥ ــ كتاب في طلوع الكواكب التي ذكرها بقراط.
٦ ــ كتاب في الفصد والحجامة.
٧ ــ رسالة في استعمال الحمام.

ابن أبي اصيبعة جـ ١ ص ١٨٤ - ٢٠٠.

حنين بن إسحاق (٨٠٩ ـ ٨٧٣م)

يقول المستشرق الشهير الدكتور لوكلير Leclera في كتابه عن الطب العربي: يعد حنين أقوى شخصية أنجبها القرن التاسع بل من أشد رجال التاريخ ذكاءً وأحسنهم خلقاً. فنطاق أبحاثه لشاسع الأطراف واختلاف أنواعها وامتيازها وأهميتها، والمحن التي تحملها بشجاعة ونبل في بدء حياته العلمية وفي اثنائها مما يبعث الاهتمام ويجذب القلوب إليه. وهو وان لم يكن باعث النهضة في لشرق إلا أن أحداً لم يشارك في تلك النهضة مشاركةً فعّالة وراسخة ومثمرة كما فعل حنين (جـ ١ ص ١٣٩). ولذا سنخصّص له مقالة مطوّلة.

ولد أبو زيد حنين بن إسحاق العبادي سنة ١٩٤ هـ ٨٠٨ م. في الحيرة (بالعراق) من أب مسيحي نسطوري كان يشتغل بالصيدلة. وقد تتلمذ حنين في بادىء الأمر ليوحنا بن ماسويه في مدرسة جنديسابور ثم تركه لكي يدرس لعدة سنوات اللغة اليونانية حتى حذقها تماماً. وعندما حقق امنيته قصد إلى البصرة، كعبة اللغة العربية حينذاك. فأتقن فيها لغة الضاد. وبذلك أصبح حنين يجيد أربع لغات هي: السريانية وهي لغته الأصلية ثم الفارسية واليونانية والعربية.

عاد إلى بغداد ودخل في خدمة جبرائيل بن بختيشوع المتوفى سنة ٢١٤ هـ ٨٢٩م. طبيب المأمون الخاص، الذي قرّبه من الخليفة والأوساط العلمية. فتمكن بذلك من الحصول على مخطوطات يونانية عديدة في الطب والفلسفة فترجم قدراً كبيراً منها. ورحل إلى كثير من البلاد في العراق وسوريا وفلسطين ومصر (الاسكندرية). للحصول على نوادر المخطوطات التي تيسر له ان يحسن ضبط الترجمات التي تولاها. ولقد وافانا حنين في رسالته «في ذكر ما ترجم من كتب جالينوس» بنشاطه المدهش في هذا الميدان.

ويؤخذ من قائمة وضعها حنين وأتمها أحد تلاميذه انه ترجم إلى السريانية من كتب جالينوس خمسة وتسعين كتاباً وترجم الى العربية منها تسعة وثلاثين. هذا إلى أنه راجع ترجمة تلاميذه، فاصلح ستة كتب مما نقل الى السريانية ونحواً من سبعين كتاباً الى العربية كما راجع واصلح معظم الخمسين كتاباً التي كان قد ترجمها الى السريانية سرجيس الرأسعيني وأيوب الرهاوي وغيرهما من الأطباء المتقدمين

وكان حنين بن اسحاق حريصاً على تأدية المعنى بدقة، فاهماً تماماً مقتضيات النشر العلمي ووجوب الرجوع الى أحسن المخطوطات. وبجانب ترجمته لكتب جالينوس، نقل حنين الى العربية عدداً من كتب ابقراط وقد ذكرت في الفصل المخصص للترجمات.

ولم يكتف حنين بالترجمة بل كان كذلك طبيباً ماهراً امتاز بمعالجة أمراض العين كما كان مؤلفاً قديراً في مواضيع شتى، وقدأورد ابن أبي أصيبعة أكمل قائمة لمؤلفاته. وهي تحتوي على أكثر من مائة كتاب في مختلف فروع الطب. ونحن نلخص فيما يلي قائمة أهم مؤلفاته في الطب وفي الفلسفة.

مؤلفاته الطبية:

١ ـ كتاب المسائل وهو المدخل إلى صناعة الطب لأنه قد جمع فيه جملاً وجوامع تجري مجرى المبادىء الأوائل لهذا العلم.

٢ ـ كتاب العشر مقالات في العين. يذكر في السنة الأولى منها طبيعة العين وطبيعة الدماغ ومنافعه، والعصب الباصر والروح الباصر، وجملة الاشياء التي لا بد منها لحفظ الصحة واختلافها، وأسباب الأمراض الكائنة في العين. ويعرض في الأربع مقالات الأخيرة قوى جميع الأدوية الموافقة لأمراض العين. وقد نشر هذا الكتاب الفريد الدكتور مايرهوم نشرة علمية وقدم لها مطولاً وترجمة إلى الانجليزية سنة ١٩٢٨.

٣ ـ كتاب المسائل في العين، وهو ثلاث مقالات ومحرر على طريقة السؤال والجواب ألفه لولديه داود وإسحاق وهو مائتان وتسع مسائل وقد نشره الأب سباط والدكتور مايرهوف بالقاهرة سنة ١٩٣٨ وقدما له وترجماه إلى الفرنسية.

٤ ـ تفسير كتاب الصناعة الصغيرة لجالينوس «المدخل» والذي ترجم إلى اللاتينية تحت عنوان Isagoge Jalannotis.

٥ ـ كتاب الترياق مقالتان.

٦ ـ اختصار كتاب جالينوس في الأدوية المفردة: إحدى عشرة مقالة.

٧ ـ مقالة في ذكر ما ترجم من كتب جالينوس وبعض ما لم يترجم، كتبها إلى علي بن يحيى المنجم.

٨ ـ جمل مقالة جالينوس في اصناف الغلط الخارج عن الطبيعة.

٩ ـ أكمل دراسة لمؤلفات حنين بن إسحاق الطبية توجد في مقالة الدكتور زكي اسكندر نشرت في:

Dictionary of scientific Giographics

أما المؤلفات غير الطبية، فقد خصصت لها بحثاً مطولاً نشرت في نفس دائرة المعارف فقسمت هذه المؤلفات على الوجه الآتي:

(أ) مؤلفات خاصة بحياته الشخصية:

١ ـ كتاب أبي علي بن يحيى رداً على دعوته الى اعتناق الاسلام.

٢ ـ رسالة فيما أصابه من المحن والشدائد.

(ب) مؤلفات فلسفية:

وهي إما ترجمات من اليونانية أو مؤلفات شخصية.

١ ـ ترجمة بعض مؤلفات أفلاطون: السياسة، القوانين، طيماوس.

٢ ـ ترجمة لأرسطو: المقولات: العبارة، التحليلات الأولى، التحليلات الثانية، كتاب النفس، أجزاء من ما وراء الطبيعة، كتاب الأخلاق.

٣ ــ كتاب فيما يُقرأ قبل كتب أفلاطون.
٤ ــ جوامع كتاب السماء والعالم.
٥ ــ مسائل مقدمة لكتاب فورفوريوس المعروف بالمدخل.
٦ ــ جوامع تفسير القدماء اليونانيين لكتاب أرسطوطاليس في السماء والعالم.
٧ ــ شرح كتاب الفراسة لأرسطوطاليس.
٨ ــ مسائل استخرجها من كتب المنطق الأربعة.
٩ ــ ترجمة كتاب الرؤيا.

ويضاف الى ذلك ما يقرب عشر نصوص فلسفية ترجمها حنين إلى السريانية أو العربية (أنظر مقالة «والزر» Walzer في دائرة المعارف الاسلامية عن جالينوس).

(جـ) مؤلفات خاصة باللغة العربية والنحو وفقه اللغة:

١ ــ كتاب في أحكام الإعراب على مذهب اليونانيين.
٢ ــ كتاب في النحو.
٣ ــ كتاب النقط.
٤ ــ كتاب في مسائلة العربية.

(د) كتب علمية غير كتب الطب

١ ــ كتاب خواص الأحجار.
٢ ــ كتاب الفلاحة.
٣ ــ مقالة في الألوان.
٤ ــ في الضوء وحقيقته.
٥ ــ كتاب في تولّد النار بين الحجرين.
٦ ــ مقالة في السبب الذي من أجله صارت مياه البحر مالحة.
٧ ــ جوامع لكتاب أرسطو في الآثار العلوية.
٨ ــ مقالة في المدّ والجزر.
٩ ــ مقالة في قوس قزح.

(هـ) مؤلفات دينية.

١ ــ مقالة في خلق الانسان وانه من مصلحته والتفضل عليه ان جعل محتاجاً.
٢ ــ كتاب في ادراك حقيقة الأديان.
٣ ــ مقالة في دلالة القدر على التوحيد.
٤ ــ مقالة في الأجل.

٥ ــ يروي المسعودي في كتاب التنبيه (ص ١١٢) ان حنين قد ترجم الى العربية كتاب العهد القديم وهي من أجود الترجمات المعروفة.

(و) متنوعات

نوادر الفلاسفة، ويوجد منه ترجمة عبرية وترجمة المانية. أحدث الأبحاث التي كرست لدراسة شخصية حنين بن اسحاق ومؤلفاته هي:

١ ـ المقالتان المشار اليهما فيما سبق للدكتور زكي اسكندر والأب قنواتي
٢ ـ شتروماير G. Strohmaier، مقالة في الطبعة الثانية لدائرة المعارف الاسلامية.
٣ ـ عدد خاص لمجلة أربكة Arabica جـ ٢١ (اكتوبر ١٩٧٤) ص ٢٢٩ ـ ٣٣٠ وهي تحوي عشرة بحوث القيت في الندوة المخصصة لحنين بن اسحاق أثناء مؤتمر المستشرقين في باريس (يوليو ١٩٧٣).
٤ ـ الأب يوسف حبّي، حنين بن اسحاق، بغداد ١٩٧٤.
٥ ـ أعمال مهرجان افرام وحنين بن اسحاق، بغداد ٤ ـ ٧ فبراير ١٩٧٤.

ابن ابي اصيبعة جـ ١ ص ٢٠٠

اسحاق بن حنين

كان ابو يعقوب اسحاق بن حنين بن اسحاق العبادي من اشهر اطباء عصره. وكان ايضاً رياضياً. وهو اصغر اولاد حنين. كانت مكانته كبيرة لدى الخلفاء الثلاث: المتوكل والمعتمد والمعتضد وبخاصة لدى وزير المعتضد قاسم بن عبيد الله. توفي في بغداد سنة ٢٩٩ هـ/ ٩١٠.

كعالم عدة لغات وكمترجم، نال شهرة ابيه. وكان من اهم المترجين الذين اشتغلوا تحت إشراف أبيه. نقل بعض كتب ارسطو واقليدس والمجسطي لبطليموس ومنيلاوس وأرخميدس وأتوليكوس وهيبيسكلس، وكتاب النبات المعز وخطأ لأرسطو.

وقد نسب اليه ايضاً ترجمة بعض الكتب الطبية. فيقول والده انه ترجم كتابين لجالينوس الى السريانية وعشرة الى العربية وقال ايضاً ان اسحاق كان يقابل الترجمة العربية بالنص اليوناني. توفي سنة ٩١٠ او ٩١١ في بغداد.

ترجم اسحاق بن حنين من الأصل اليوناني الكتاب ذا النزعة الأفلاطونية المحدثة المسمى «في طبيعة الانسان» الذي اعزي الى غريغوريوس النيسوي Grégorrie de Nysse ولكنه بالفعل لنيميسيوس الحمصي Némusius d'Emese انظر البترولوجيا اليونانية لميني Patrolojie Grecque De MiGne جـ ٤٠، ص ٥٠٤ ــ ٥١٨؛ بردنهاور جـ ٤ ص ٢٧٥ ــ ٢٧٩؛ جراف جـ ٢ ص ١٣٠.

ويظهر ان العالم القبطي ابو اسحاق المؤتمن ابن العسّال (نصف القرن الثالث عشر) استعمل

هذه الترجمة وقد ضمّن أجزاءً منها في كتابه الشامل «مجموع اصول الدين.» ومقتطف من الفصل الثالث «في صلة الجسد بالروح» يوجد في كتاب «سلك الفصول في مختصر الأصول»، المطبوع في مصر سنة ١٩٠٠.

ولاسحاق بن حنين من الكتب:

ـ كتاب الأدوية المفردة، كنّاش لطيف يعرف بكنّاش الخف.

ـ كتاب ذكر فيه ابتداء صناعة الطب وأسماء جماعة من الحكماء والأطباء.

ـ كتاب الأدوية الموجودة في كل مكان.

ـ كتاب اصلاح الأدوية المسهلة

ـ اختصار كتب اقليدس ـ كتاب المقولات ـ كتاب ايساغوجي المدخل الى صناعة المنطق ـ اصلاح جوامع الاسكندرانيين لشرح جالينوس لكتاب الفصول لابقراط ـ كتاب في النبض على جهة التقسيم ـ مقالة في الأشياء التي تفيد الصحة والحفظ وتمنع من النسيان الفها لعبد الله بن شمعون ـ كتاب في الأدوية المفردة مختصر كتاب صنعة العلاج بالحديد ـ كتاب آداب الفلاسفة ونوادرهم مقالة في التوحيد.

المصادر:

ـ ابن النديم الفهرست طبعة فلوجل ص ٢٨٥ و ٢٩٨.

ـ ابن ابي اصيبعة، طبقات الأطباء، جـ ١ ص ٢٠٠.

ـ دائرة المعارف الاسلامية جـ ٢ ص ٥٣٣ (الطبعة الانجليزية الأولى).

ـ جراف، جـ ٢

ـ مايرهوف، في مجلة ايزس Isis جـ ٨ (١٩٢٦) ص ٦٩٠ ـ ٧٠١.

ابن ابي اصيبعة جـ ١ ص ٢٠٢

يوحنا بختيشوع

كان طبيباً متميزاً خبيراً باللغة اليونانية والسريانية ونقل من اليونانية الى السريانية كتباً كثيرة وخدم صناعة الطبّ الخليفة الموفق بالله طلحة بن جعفر المتوكل وكان يعتمد عليه كثيراً ويسميه «مفرج كربي».

ومن كتبه: كتاب فيما يحتاج اليه الطبيب من علم النجوم.

ابن ابي اصيبعة جـ ١ ص ٢٠٢

بختيشوع بن يوحنا

كان عالماً بصناعة الطب حظياً من الخلفاء وغيرهم واختص بخدمة المقتدر بالله. وكان له من

المقتدر الانعام الكثيرة وخدم بعد ذلك الراضي بالله. وتوفي سنة ٣٢٩ هـ/ ببغداد.

ابن ابي اصيبعة جـ ١ ص ٢٠٢

عيسى بن علي

كان طبيباً فاضلاً ومشتغلاً بالحكمة وله تصانيف في ذلك وكان قد قرأ صناعة الطب على حنين بن اسحاق وهو من اجل تلاميذه. وكان عيسى بن علي يخدم احمد بن المتوكل وهو المعتمد على الله وله من الكتب:

ـ كتاب المنافع التي تستفاد من اعضاء الحيوان.

ـ كتاب السموم مقالتان.

جراف جـ ١، ص ١٣٢

ابن ابي اصيبعة جـ ١ . ص ٢٠٣

يوسف الساهر

ويعرف بيوسف العسّ عارف بصناعة الطب وكان متميزاً في ايام المكتفي، وقال عبيد الله بن جبرائيل عنه انه كان به سرطان في مقدم رأسه وكان يمنعه من النوم فلقب بالساهر من اجل مرضه.

قال: وصنف كناشاً يذكر فيه ادوية الأمراض وذكر في كناشه اشياء تدل على انه كان به هذا المرض. وللساهر من الكتب:

كناشه وهو الذي يعرف به وينسب اليه وهو مما استخرجه وجربه في ايام حياته وجعله مقسوماً الى قسمين فالقسم الأول تجري ابوابه على ترتيب الأعضاء من الرأس الى القدمين وأبوابه عشرون باباً والقسم الثاني تجري ابوابه على غير ترتيب الأعضاء وهي ستة ابواب.

جراف جـ ٢، ص ١٣٠ / فهرست ص ٢٩٧ القفطي ص ١٧٧

ابن ابي اصيبعة جـ ١، ص ٢٠٢ / ابن العبري

Meyerhof in Isis 8 (1926) M. 690 — 702 708 Et s

Byzamtion 3 (1926) M. 413 — 442

حبيش بن الحسن الأعسم

ابن اخت حنين بن اسحاق وتلميذه ومنه تعلم صناعة الطب وكان يسلك مسلك حنين في نقله وفي كلامه وأقواله الا انه كان يقصر عنه. وقال حنين بن اسحاق وقد ذكره في بعض المواضع ان حبيشاً ذكي مطبوع على الفهم غير انه ليس له اجتهاد بحسب ذكائه بل فيه تهاون وان كان ذكاؤه مفرطاً وذهنه ثابتاً.

وحبيش هو الذي تمم كتاب مسائل حنين في الطبّ الذي وضعه للمتعلمين وجعله مدخلاً الى هذه الصناعة.

والحبيش من الكتب:

١ ـ كتاب اصلاح الأدوية المسهلة.
٢ـ كتاب الأدوية المفردة.

١ ـ كتاب اصلاح الأدوية المسهلة.
٢ ـ كتاب الأدوية المفردة.
٣ ـ كتاب الأغذية.
٤ ـ كتاب في الاستسقاء.
٥ ـ مقالة في النبض على جهة التقسيم.

ابن أبي اصيبعة جـ ١ ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤

إصطفن بن باسيل

معاصر حنين بن اسحاق وتلميذه. وهو غير اصطفن الاسكندري واصطفن الحرّاني وقد ذكرهما ابن أبي أصيبعة (جـ ١ ص ١٠٣) بين الذين ينتمون إلى الفترة اليونانية لمدرسةالاسكندرية. يقول ابن القفطي ان المتوكل انشأ مدرسة لحنين لترجمة الكتب الطبية اليونانية تحت اشراف حنين وكان من بين تلاميذه اصطفن وموسى بن خالد ويحيى بن هارون. ويزيد ابن أبي أصيبعة ان اصطفن كان أول من ترجم كتاب الحشائش لديسقوردس من اليونانية إلى العربية ولكنه لم يستطع ترجمة كثير من الاسماء اليونانية للأدوية. فاضطر حنين أن يصحح ويكمل جزءاً من هذهالترجمة. وقام علماء الأندلس بترجمة جديدة، بعد سنة ٩٥٠، في بلاط عبد الرحمن الثالث، خليفة قرطبة، وراجعها الطبيب المشهور ابن جلجل سنة ٩٨٢.

يذكر حنين في الرسالة تسع كتب لجالينوس ترجمها اصطفن. وقد أضاف ابن أبي أصيبعة (جـ ١، ص ٢٠٤) ان اصطفن كان مترجماً حسناً ولكن لم يصل أسلوبه الى مستوى اسلوب حنين.

ينسب ابن القفطي (ص ١٣٠ - ١٣٢) الى اصطفن الترجمة الأولى الى العربية لكتب اوريباسيوس Oreibasios السبعين الطبية.

انظر:

Meyerhof, New Light.., in Isis v. VIII pp. 696 et 705 – 706

Graf, Geschichte der chris. t. 2, p. 131

ابن أبي اصيبعة جـ ١ ص ٢٠٣

عيسى بن يحيى بن ابراهيم

كان أيضاً من تلامذة حنين بن اسحاق واشتغل عليه بصناعة الطب.

ابن أبي اصيبعة جـ ١ ص ٢٠٣

الحلاجي

ويعرف بيحيى بن أبي حكيم كان من أطباء المعتضد وله من الكتب:
كتاب تدبير الأبدان النحيفة التي قد علتها الصفراء ألفه للمعتضد.

ابن أبي أصيبعة جـ ١ ص ٢٠٣

ابن صهار بخت

واسمه عيسى من أهل جند يسابور وله من الكتب: كتاب قوى الأدوية المفردة.

ابن أبي أصيبعة جـ ١ ص ٢٠٣

ابن ماهان

وهو يعرف بيعقوب السيراني وله من الكتب كتاب السفر والحضر في الطبّ.

ابن أبي أصيبعة جـ ١ ص ٢٠٦

تادري الأسقف

كان اسقفاً في الكرخ ببغداد وكان حريصاً على طلب الكتب متقرباً الى قلوب نقلتها. فحصل منها شيئاً كثيراً. وصنف له قوم من الأطباء النصارى كتباً لها قدر وجعلوها باسمه.

جراف جـ ٢ ص ١٩٥

ابن أبي اصيبعة جـ ١ ص ٢٣٢ ـ ٢٣٣

صاعد بن بشر بن عبدوس (نسطوري).

ويكنى: أبا منصور. وكان في أول الأمر فاصداً في البيمارستان ببغداد ثم انه بعد ذلك اشتغل في صناعة الطب وتميز حتى صار من الاكابر من أهلها. وهو أول من نقل تدبير أكثر الأمراض التي كانت تعالج قديماً بالأدوية الحارة الى التدبير المبرد كالفالج واللقوة والاسترخاء وغيرها. فأخذ المرضى بالفصد والتبريد والترطيب ومنع المرضى من الغذاء.

ولصاعد بن بشر من الكتب مقالة في مرض المراقيا ومداواته ألفها لبعض إخوانه.

ابن أبي أصيبعة جـ ١ ص ٢٣٤

أبو يحيى المروزي

كان طبيباً مشهوراً بمدينة السلام، متميّزاً في الحكمة، وقرأ عليه أبو بشر متى بن يونان. وكان فاضلاً ولكنه كان سريانياً وجميع ما له من الكتب في المنطق وغيره بالسريانية.

ابن أبي أصيبعة جـ ١ ص ٢٣٤

قويري

واسمه ابراهيم ويكنى ابا اسحاق. فاضل في العلوم الحكمية وهو ممن أخذ عنه علم المنطق. وكان مفسراً وعليه قرأ ابو بشر متى بن يونان. وكتب قويري مطرحة مجوّفة لأن عباراته كانت غفطية غلقة.

ولقويري من الكتب:
كتاب تفسير قاطيغورياس مشجّر.
كتاب باريمينياس مشجّر.
كتاب انالوطيقا الأولى مشجّر.
كتاب انالوطيقا الثانية مشجّر.

ابن أبي أصيبعة جـ ١ ص ٢٣٥

متى بن يونان

كان ابو بشر متى بن يونان من أهل دير قنّى ممن نشأ في أسكول مار ماري. قرأ على قويري وعلى روفيل وبنيامين ويحيى المروزي وعلى أبي أحمد بن كرنيب وله تفسير من السريانية الى العربية وإليه انتهت رئاسة المنطقيين في عصره. وكان نصرانياً. وتوفي ببغداد سنة ٣٢٨هـ .

ولمتى من الكتب: مقالة في مقدمات صدّر بها كتاب أنالوطيقا.

كتاب المقاييس الشرطية.
شرح كتاب ايساغوجي لفرفوريوس.

جراف جـ ٢ ، ص ١٣٢
سباط، فهرس ٢٦٣٦
إبن أبي اصيبعة جـ ١ ص ٢٣٧

عيسى النصراني بن يوسف بن العطار

من الموصل (نسطوري) كان القاهر بالله وهو ابو منصور محمد بن المعتضد يعتمد على طبيبه هذا عيسى ويركن إليه ويفضي إليه بأسراره وتوفي عيسى سنة ٣٥٨ هـ ببغداد. له كناش خاص بالأدوية.

جراف جـ ١ ص ٢٣٨
سباط، فهرست ٢٥١٣
ابن ابي اصيبعة جـ ١ ص ٢٣٨

أبو الحسين بن كَشْكَرايا

«كان طبيباً عالماً مشهوراً بالفضل والاتقان لصناعة الطب وجودة المزاولة لأعمالها. وكان في خدمة الأمير سيف الدولة بن حمدان. ولما بنى عضد الدولة البيمارستان المنسوب إليه ببغداد استخدمه فيه وزاد حاله.

وكان أبو الحسين بن كَشْكَرايا كثير الكلام يحب ان يخجل الأطباء بالمساءلة والتهجم وكان له أخ راهب وله حقنة تنفع من قيام الأغراس والموادّ الحادة. ويعرف بصاحب الحقنة.

وكان أبو الحسين كشكرايا قد اشتغل بصناعة الطب على سنان بن ثابت بن قرّة وكان من أجلّ تلامذته. ولأبي الحسين من الكتب كناسة المعروف بالحاوي، كناش آخر باسم من وضعه إليه».

ابن ابي اصبعة جـ ١ ص ٢٣٨

نظيف القس الرومي

كان خبيراً باللغات وكان ينقل من اليونانية الى العربية. وكان يعد من الفضلاء في صناعة الطب واستخدمه عضو الدولة في البيمارستان الذي انشأه ببغداد. وكان عضد الدولة يتطير منه وكان الناس يولعون به إذا دخل الى المريض.

فهرست ٢٦٦ / قفطي ٣٣٧

ابن ابي اصبعة جـ ١ ص ٢٣٨ / ابن العبري ٣٠٥

غراف جـ ٢ ص ٤٨ ـ ٤٩ / شيخو ٢٢

أبو علي نظيف بن يمْنٰى

هو القس المتطبب من أهل القرن الثاني عشر من طائفة الملكية يقول عنه ابن ابـي اصيبعـة: «نظيف القس الرومي كان خبيراً باللغات وكان ينقـل من اليونـانية إلى العـربية وكان يعـد من الفضلاء في صناعة الطب،واستخدمه عضد الدولة في البيمارستان الذي أنشأه ببغداد. وكان عضد الدولة يتطير منه وكان الناس يولعون به إذا دخل الى مريض.

١ ـ وسالة في التوحيد والتثبيت.

٢ ـ مقالة في ماهيّة اعتقاد النصارى.

شرح فيها الاتحاد على ما تعتقده فرق النصارى الثلاث، قال ان الذي يعتقده النصارى في ماهية الاتحاد، ووقف نبيهم فيه، وذكر الوجه الذي وقع عليه اختلاف الطرق الثلاث في المسيح، كان جرى في المجلس العالي بحضرة عضد الدولة.

ابن أبي اصيبعة جـ١ ص٢٣٩

ابو الفرج يحيى بن سعيد بن يحيى

«كان طبيباً مشهوراً عالماً بصناعة الطب، جيداً في اعمالها. نقلت من خط ابن بطلان في مقالته في علة نقل الأطباء المهرة تدبير أكثر الأمراض التي كانت تعالج قديماً بالأدوية الحارة الى التدبير المبرد كالفالج واللقوة والاسترخاء وغيرها ومخالفتهم في ذلك لسطور القدماء. قال حدثني الشيخ الفاضل ابو الفرج يحيى بن سعيد بن يحيى الطبيب بانطاكية قال وهذا السيد في زماننا علم في العلم مقدّم في الديانة والمروءة وله تصانيف جليلة».

جراف جـ٢ ص١٧٦
ابن أبي أصيبعة جـ١ ص٢٤٠

علي بن عيسى الكحّال

(شرف الدين)

كان تلميذاً لعبد الله بن الطيّب. مارس الطب في بغداد وتوفي سنة ٤٠٠هـ - ١٠١٠م. وكان يعلم العلوم الطبية في بيمارستان السلطان عضد الدولة في بغداد.

وكتابه تذكرة الكحالين نال شهرة عظيمة وأصبح الكتاب العمدة لمدة قرون. ولم يكتب شيء يضاهيه في اوروبا إلا في بداية القرن الثامن عشر. وقد ترجم إلى الالمانية.

Ali Ibn Isa, Erinnerung für Augenärzte, aus arab. Handschriften übersetzt x und erläutert von julius Hirschberg und Julius Lippert, Leipzig 1904 Hamarneh, Bibliography. p.60

C.G. Cumston, Abrief historical summary of the treatment of trachoma, with special reference to the Arabian School and the writings of Ali Ibn – el – Aïssa (Jesu Hali) in: Proc. Royal Soc. Med 14, 1921, Section hist, med, pp. 43 – 41

وأيضاً Annals of medical history, 3, 1921, pp. 244 – 251.

وقد ترجم الكتاب في القرون الوسطى إلى اللاتينية والعبرية. ومن الوجهة الدينية فقد اختلف مع الكاثوليكوس يوحنا النسطوري فترك النساطرة وانتهى إلى الملكيين (انظر جراف جـ ٢ ص ١٧٦).

جراف جـ ٢، ص ١٩١
ابن ابي اصيبعة جـ ١ ص ٢٤١

المختار يوانيس، ابن بطلان

يقول عنه ابي أبي اصيبعة: «هو ابو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون بن سعدون بن بطلان نصراني من أهل بغداد. وكان قد اشتغل على أبي الفرج عبد الله بن الطيب وتتلمذ به وأتقن عليه قراءة كثير من الكتب الحكمية وغيرها. ولازم أيضاً أبا الحسن ثابت بن إبراهيم بن زهرون الحراني الطبيب واشتغل عليه وانتفع به في صناعة الطب وفي مزاولة اعمالها.

وكان ابن بطلان معاصراً لعلي بن رضوان الطبيب المصري. وكانت بين ابن بطلان وابن رضوان المراسلات العجيبة والكتب البديعة الغريبة ولم يكن احد منهم يؤلف كتاباً ولا يبتدع رأياً إلاّ ويردّ الآخر عليه ويسفه رأيه فيه. وقد رأيت شيئاً من المراسلات التي كانت فيما بينهم ووقائع بعضهم في بعض» (ص ٢٤١) وقد خصص العالمان شاخت ومبرهوم بحثاً لدراسة هذه المراسلات:

Joseph Schacht and Max Meyerhof, Une controverse médicophilosophique au Caire en 441 de L'hégire (1050 après j – c) in Bulletin de L'Institut d'Egypte t. 19 (1936 – 37), pp. 29 – 43; The Medicophilosophical Controversy between Ibn Butlan of Baghdad and Ibn Ridwan of Cairo, Cairo 1917.

النص العربي والترجمة.

«وسافر ابن بطلان من بغداد إلى ديار مصر قصداً منه إلى مشاهدة علي بن رضوان والاجتماع به. وكان سفره من بغداد في سنة ٤٣٩/ . ولما وصل في طريقه الى حلب اقام بها مدة وأحسن إليه معزّ الدولة ثمال ابن صالح بها واكرمه اكراماً كثيراً. وكان دخوله الفسطاط في مستهل جمادي الآخرة من سنة ٤٤١. وأقام بها ثلاثة سنين. وذلك في دولة المستنصر بالله من الخلفاء المصريين وجرت بين ابن بطلان وابن رضوان وقائع كثيرة في ذلك الوقت ونوادر ظريفة لا تخلو من فائدة وقد تضمن كثيراً من هذه الأشياء كتاب ألّفه ابن بطلان بعد خروجه من ديار مصر واجتماعه بابن رضوان. ولابن رضوان كتاب في الرد عليه. وكان ابن بطلان أعذب ألفاظاً وأكثر ظرفاً وأميراً في الأدب وما يتعلق به. ومما يدل على ذلك ما ذكره في رسالته التي وسمها بدعوة الأطباء. وكان ابن رضوان أطب وأعلم بالعلوم الحكمية وما يتعلق بها» (ص ٢٤٢).

ولابن بطلان أشعار كثيرة ونوادر طريفة وقد ضمّن منها اشياء في رسالته التي وسمها بدعوة الأطباء. وفي غيرها من كتبه». ويقول ابن العبري: «ورد (ابن بطلان) انطاكية وأقام بها وقد سئم كثرة الأسفار وضاق عطنه عن معاشرة الأغمار فغلب على خاطره الانقطاع فنزل بعض الأديرة بانطاكية وترهب وانقطع إلى العبادة الى ان توفي سنة ٤٤٤ هـ/ » (ص ٣٣١).

مؤلفاته :

ـ كناش الأديرة والرهبان.
ـ كتاب شراء العبيد وتقليب المماليك والجواري.
ـ كتاب تقويم الصحة. طبعت ترجمته الى اللاتينية سنة ١٥٣١ طبعاً متقناً.
ـ مقالة في شرب الدواء المسهل.
ـ مقالة في كيفية دخول الغذاء وهضمه وخروج فضلاته وسقي الأدوية المسهلة وتركيبها.
ـ مقالة إلى علي بن رضوان عند وروده الفسطاط جواباً عما كتبه إليه.
ـ مقالة في علة نقل الأطباء المهرة تدبيراً أكثر الأمراض التي كانت تعالج قديماً بالأدوية الحارة الى التدبير المبرد كالفالج واللقوة والاسترخاء وغيرها ومخالفتهم في ذلك لمسطور القدماء في الكنانيش والاقراباذينات وتدرجهم في ذلك بالعراق وما والاها على استقبال سنة ٣٧٧ والى سنة ٤٥٥. وصنف ابن بطلان هذه المقالة بانطاكية في سنة ٤٥٥. وكان في ذلك الوقت قد أهل لبناء بيمارستان انطاكية.
ـ مقالة في الاعتراض على من قال ان الفرخ أحرّ من الفرّوج بطريق منطقية ألفها بالقاهرة في سنة ٤٤١.
ـ كتاب المدخل الى الطب.
ـ كتاب دعوة الأطباء ألفها للأمير نصير الدولة أبي نصر أحمد بن مروان. ونقلت من خط ابن بطلان وهو يقول في آخرها: «فرغت من نسخها ان مصنفها يوانيس الطبيب العروف بمختار بن الحسن بن عبدون بدير الملك المتيج قسطنطين بظاهر القسطنطينية في آخر ايلول من سنة خمس وستين وثلثمائة وألف». يكون بالتاريخ الاسلامي من سنة ٤٥٠. والكتاب طبع في الاسكندرية (بشارة زلزل ١٩٠١) وفي مجلة الطبيب في بيروت.
ـ كتاب وقعة الأطباء.
ـ كتب دعوة القسوس.
ـ مقالة في مداواة صبي عرضت له حصاة.
ـ رسالة أدبية كتبها إلى هلال بن الحسن الصابي في سنة ٤٤٠ هـ/ ١٠٤٩ م وصف فيها رحلته الى جهات الشام نقل معظمها ياقوت في كتابه معجم البلدان وابن القفطي في تاريخ الحكماء وقد نقلتها الى الانجليزية Goy le Strange وإلى الالمانية Reinhold Röhricht (انظر جراف جـ ٢، ص ١٩٣).
ـ مقالة في القربان المقدس، يوجد مخطوط منها في الفاتيكان وقد نشر جزءاً منها ونقلها إلى الالمانية.
Georg Graf, Die Eucharistielehre des Nestorianers al-Mukhtar ibn Butlan (11. Jahr.) Arabischer Text z. T. herausgegeben und übersetzt... in Orien Christ. v. 35 (1938), pp. 44-70, 175-191.
ـ مقدمة الأنجيل: انظر بولس سباط فهرس رقم ٢٩.

جراف جـ ٢ ص ٢٦٢

ابن أبي اصيبعة جـ ١، ص ٢٤٣

أبو سعد الفضل بن جرير التكريتي

يقول ابن أبي اصيبعة: «كان كثير الاطلاع في العلوم فاضلاً في صناعة الطب، حسن العلاج وخدم بصناعة الطبّ للامير نصير الدولة بن مروان، وللفضل بن جرير التكريتي. من الكتب مقالة في اسماء الأمراض واشتقاقاتها كتبها الى بعض اخوانه وهو يوحنا بن عبد المسيح».

وله أيضاً كتاب عنوانه: «تصحيح الكهنوت».

جراف جـ ٢ ص ٢٥٩

ابن ابي أصيبعة جـ ١ ص ٢٤٣

أبو نصر يحيى بن جرير التكريتي

يقول عنه ابن أبي أصيبعة: «كان كأخيه في العلم والفضل والتميز في صناعة الطب وكان موجوداً في سنة اثنتين وسبعين (١٠٧٩ ـ ١٠٨٠). وذكر له من الكتب:

١ ـ كتاب الاختيارات في علم النجوم.

٢ ـ كتاب في الباه ومنافع الجماع ومضاره.

٣ ـ رسالة كتبها لكافي الكفاة ابي نصر محمد بن محمد بن جهير في منافع الرياضة وجهة استعمالها.

وأهم مؤلفاته الدينية كتاب المرشد وهو يحوي ٥٤ فصلاً ويوجد منه ١٥ عشر مخطوطاً. وفي بعض الفصول نقاش مسائل خاصة بالحوار مع المسلمين. فمثلا الفصل السادس: في صفات الباري تعالى على مذهبهم وتثليثه وتوحيده. وهو يميز بين نوعين من الصفات: صفات التعدّي وصفات الذات. وهو يعطي ثلاثة أمثلة للمجموعة الثلاثية ويطبقها لايضاح الثالوث الاقدس:

١ ـ ثالوث الفلاسفة الأقدمين قبل المسيحية: كامل في نفسه، عاطف على نفسه بالعلم والادراك لها، مفيد الوجود لغيره.

٢ ـ قدرة، حكمة، جود.

٣ ـ عقل، عاقل معقول.

وهو يبينّ ان هذه الثلاثية لا تبطل الوحدانية.

الفصل السابع ـ في الاتحاد ـ يحوي مقدمة وبيان عن المذاهب الثلاث في المسيحية يفسر ما هي الوحدة في المسيح وكيف كل فريق يفهمها مستشهداً بنصوص الكتاب المقدس. وهو يلخص بحثه قائلاً: وإذا حُقق الأمر فيما يقولونه وُجد انهم قائلون بمذهب واحد، وان الاختلاف لفظيّ لا معنوي وان كل واحدة من هذه الفرق تُقِرّ وتؤمن بما تنكره طوعاً أو قهراً.

الفصل التاسع ـ في وجوب التأنس وإحالة امتناعه.

الفصل الخامس عشر ـ في أن شريعة المسيح ناسخة غير منسوخة.

الفصل التاسع عشر ـ في اثبات النبوة وتصحيح المعجزة.

الفصل العشرون ـ في صحة الشريعة المسيحية وذكر الأسباب الداعية الى قبولها والمانعة من اهمال الامم لها. وذكر صحة الانجيل والعلة في قبول الامم المختلفة لما ذكر فيه، والرد على من زعم أنه غيرّ وبدّل فيه أشياء وانه يخالف لما ذكره الحواريون.

الفصل الثاني والعشرون ـ في وجوب صلب المسيح والردّ على ماني القائل بانه لم يصلب لأنه أكرم عند الله وأجلّ منزلة من أن يكون اليهود يفعلون به ذلك (أنظر مجلة المشرق جـ ١٦ (١٩١٣)، ص ٢٤١ ـ ٢٥٠).

الفصل الثالث والعشرون ـ في الأخبار عن حقيقة الحال في القبض على المسيح وصلبه.

الفصل الخامس والعشرون ـ في معنى قول سيدنا «إني لم آت لأنقص السنة بل لأكملها». ينتهي الى القول بان المسيح أثبت أصول الشريعة، وغيرّ فروعها بأن كمّل نقصها ورقّاها من درجة النقص الى درجة الكمال.

جراف جـ ٢، ص ٣٠ ـ ٣٢
ابن ابي أصيبعة جـ ١، ص ٢٤٤
ابن العبري ٢٥٩ / القفطي ٢٦٢ / شيخو ١٧٠
سباط، فهرس ٤٤٧ ـ ٤٨٩ / ابن النديم، ٢٩٥

قسطا بن لوقا

يقول ابن ابي أصيبعة في شأنه:

قال سليمان بن حسّان انه مسيحي النحلة (وهو من الملكيين) طبيب حاذق نبيل، فيلسوف، مترجم عالم بالهندسة والحساب. قال: وكان في أيام المقتدر بالله وقال ابن النديم.. ان قسطا كان بارعاً في علوم كثيرة، منها الطب والفلسفة والهندسة والاعداد والموسيقى لا مطعن عليه. فصيحاً في اللغة اليونانية، جيّد العبارة بالعربية، وتوفي بأرمينيا نحو السنة ٣١١هـ/ ٩٢٣ وكان مولده في بعلبك.

«نقل قسطا كتباً كثيرة من كتب اليونانيين الى اللغة العربية وكان جيد النقل، فصيحاً باللسان اليوناني والسرياني والعربي، وأصلح نقولاً كثيرة. وأصله يوناني... وكان حسن العبارة، جيد القريحة. وقال عبيد الله بن جبرئيل ان قسطا اجتذبه سنحاريب الى أرمينية وأقام بها. وكان بأرمينية أبو الغطريف البطريق من أهل العلم والفضل. فعمل له قسطا كتباً كثيرة جليلة نافعة شريفة المعاني مختصرة الألفاظ في أصناف من العلوم. ومات هناك فدفن وبني عليه قبّة. واكرم قبره كاكرام قبور الملوك ورؤساء الشعائر». (جـ ١، ص ٢٤٤).

مؤلفاته:

١ ـ كتاب في أوجاع النقرس.
٢ ـ كتاب في الروائح وعللها.
٣ ـ رسالة الى أبي محمد الحسن بن مخلد في أحوال الباه وأسبابه على طريق المسألة والجواب.

٤ ـ كتاب في الأعداء الفه للبطريق فتى أمير المؤمنين.
٥ ـ كتاب جامع في الدخول الى علم الطب الى ابي اسحاق ابراهيم بن محمد المعروف بابن المدبّر.
٦ ـ كتاب في النبيذ وشربه في الولائم.
٧ ـ كتاب في الاسطقسات.
٨ ـ كتاب في السهر ألفه لأبي الغطريف البطريق مولى أمير المؤمنين.
٩ ـ كتاب في العطش ألفه أيضاً لأبي الغطريف.
١٠ ـ كتاب في القوة والضعف.
١١ ـ كتاب في الأغذية على طريق القوانين الكلية ألفه لبطريق البطارقة أبي غانم العباس بن سنباط.
١٢ ـ كتاب في النبض ومعرفة الحميات وضروب الجرانات.
١٣ ـ كتاب في علة الموت فجأةً ألفه لأبي الحسن محمد بن أحمد كاتب بطريق البطارقة.
١٤ ـ كتاب في معرفة الحذر وأنواعه وعلله وأسبابه وعلاجه ألفه لقاضي القضاة أبي محمد الحسن بن محمد.
١٥ ـ كتاب في أيام الجران في الأمراض الحادة.
١٦ ـ كتاب في الأخلاط الأربعة وما تشترك فيه مختصر.
١٧ ـ كتاب في الكبد وخلقتها وما يعرض فيها من الأمراض.
١٨ ـ رسالة في المروحة وأسباب الريح.
١٩ ـ كتاب في مراتب قراءة الكتب الطبية كتبه الى ابي الغطريف البطريق.
٢٠ ـ كتاب في تدبير الأبدان في سفر الحج ألفه لأبي محمد الحسن بن مخلد.
٢١ ـ كتاب في دفع ضرر السموم.
٢٢ ـ كتاب في المدخل الى علم الهندسة على طريق المسألة والجواب، ألفه لأبي الحسن علي بن يحيى مولى أمير المؤمنين.
٢٣ ـ كتاب آداب الفلاسفة في الفرق بين الحيوان الناطق وغير الناطق.
٢٤ ـ كتاب في تولد الشعر.
٢٥ ـ كتاب في الفرق بين النفس والروح. نشرها للمرة الأولى الأستاذ غابريلي الأب G. Gabrieli وترجمها الى اللاتينية:

La Rislal di Qusta.b. Luqa "Sulla differenza tra Lo spirito e l'anima" in Rendiconti... vol. XIX (1910), pp. 622 – 665.

ونشرها مرة ثانية الأب شيخو في مجلة المشرق جـ ١٤ (١٩١١)، ص ٩٤ ـ ١٠٩ وفي كتابه:
Traités inédits d'anciens philosophes arabes

بيروت ١٩١١، ص ١١٧ ـ ١٣٣

وقد ترجمت الرسالة الى اللاتينية في القرون الوسطى أنظر جراف جـ ٢، ص ٣١.
٢٦ ـ كتاب في الحيوان الناطق.

٢٧ ـ كتاب في الجزء الذي لا يتجزأ.
٢٨ ـ كتاب في حركة الشريان.
٢٩ ـ كتاب في النوم والرؤيا.
٣٠ ـ كتاب في العضو الرئيس من البدن.
٣١ ـ كتاب في البلغم.
٣٢ ـ كتاب في الدم.
٣٣ ـ كتاب في المرة الصفراء.
٣٤ ـ كتاب في المرة السوداء.
٣٥ ـ كتاب في شكل الكرة والأسطوانة.
٣٦ ـ كتاب في الهيئة وتركيب الأفلاك.
٣٧ ـ كتاب في حساب التلاقي على جهة الجبر والمقابلة.
٣٨ ـ كتاب في ترجمة ديوفنطس في الجبر والمقابلة.
٣٩ ـ كتاب في العمل بالكرة الكبيرة النجومية.
٤٠ ـ كتاب في عمل الآلة التي ترسم عليها الجوامع وتعمل منها النتائج.
٤١ ـ كتاب في المتعة.
٤٢ ـ كتاب في المرايا المحرقة.
٤٣ ـ كتاب في الأوزان والمكاييل.
٤٤ ـ كتاب السياسة ثلاث مقالات.
٤٥ ـ كتاب العلة في اسوداد الخيش وتغيره من الرش.
٤٦ ـ كتاب القرسطون.
٤٧ ـ كتاب في الاستدلال النظري الى أصناف البول.
٤٨ ـ كتاب المدخل الى المنطق.
٤٩ ـ كتاب شرح مذهب اليونانيين.
٥٠ ـ رسالة في الخضاب.
٥١ ـ كتاب في شكوك كتاب اقليدس.
٥٢ ـ كتاب الفصد وهو واحد وتسعون باباً ألفه لأبي اسحاق ابراهيم بن محمد المعروف بابن المدبر.
٥٣ ـ كتاب المدخل الى علم النجوم.
٥٤ ـ كتاب الحمام.
٥٥ ـ كتاب الفردوس في التاريخ.
٥٦ ـ رسالة في استخراج مسائل عدديّات من المقالة الثالثة من اقليدس.
٥٧ ـ تفسير ثلاث مقالات ونصف من كتاب ديوفنطس في المسائل العددية.
٥٨ ـ كتاب في عبارة كتب المنطق وهو المدخل الى كتاب ايساغوجي.
٥٩ ـ كتاب في البخار.

٦٠ ـ رسالة الى ابي علي بن نباث بن الحرث، مولى أمير المؤمنين فيما سأل عنه من علل اختلاف الناس في أخلاقهم وسيرهم وشهواتهم واختياراتهم.
٦١ ـ مسائل في الحدود على رأي الفلاسفة.

Joh. Georeg Wourich, De aucturum graecoium. Leppzig 1842.

G. Gabrieli, Nota biobliografica su Qustà.

ibn Luqa, in Rendiconti della R. accademia dei Lincei, vol XXI (1912), pp. 314 – 382.

Brock Gal I, p. 204.

Ise. II, 222 – 224 Supp. I, p. 305.

Eng. Ise II.

جراف، جـ ٢ ص ١٧٦

ابن ابي اصيبعة، جـ ٤ ص ٢٤٧

علي بن عيسى الكحّال

«علي بن عيسى الكحّال (وقيل عيسى بن علي) كان مشهوراً بالحذق في صناعة الكحل متميزاً فيها بكلامه يقتدي في أمراض العين ومداواتها. وكتابه المشهور بتذكرة الكحالين هو الذي لا بدّ بكل من يعاني صناعة الكحل ان يحفظه وقد اقتصر الناس عليه دون غيره من سائر الكتب التي قد ألفت في هذا الفن. وصار ذلك مستمراًعندهم .وكلام علي بن عيسى في أعمال صناعة الكحل أجود من كلامه فيما يتعلق بالأمور العلمية وكانت وفاته سنة ٤٠٠وأربعمائة ... ولعلي بن عيسى من الكتب كتاب تذكرة الكحالين ثلاث مقالات» ابن ابي اصيبعة جـ ١، ٢٤٧.

وقد نقل هذا الكتاب قديماً إلى اللاتينية والعبرانية وطبع في البندقية وطبعت ترجمته اللاتينية في باريس سنة ١٩٠٢. ونقله الى الالمانية بعض المستشرقين وطبعوه في لبسيك سنة ١٩٠٤.

J. Hirschberg und j. Lippert, Ali Ibn Isa Erinnerungsbuch Für Augenärzte, Leipzig 1904.

ابن ابي اصيبعة، جـ ١ ص ٢٥٣

ابو الحسين عبد الله ابن بختويه

طبيب نسطوري

يقول عنه إبن ابي اصيبعة: كان طبيباً وخطيباً من أهل واسط لديه معرفة وكلامه في صناعة الطب كلامٌ مطلعٍ على تصانيف القدماء وله نظر فيها ودراية لها. وكان أيضاً طبيباً.

ولأبي الحسين بن بختويه من الكتب: كتاب المقدمات ويعرف أيضاً بكنز الأطباء ألفه لولده في سنة ٤٢٠هـ.

كتاب الزهد في الطب.

كتاب القصد إلى معرفة الفصد.

جراف جـ ٢، ص ١٨٩
ابن ابي اصيبعة جـ ١، ص ٢٥٣

أبو سعيد منصور بن عيسى ـ زاهد العلماء

اخو المطران إليا النصيبي المذكور سابقاً. يقول عنه ابن أبي اصيبعة: «خدم زاهد العلماء بصناعة الطب نصير الدولة بن مروان الذي ألف له ابن بطلان دعوة الأطباء. وكان نصير الدولة محترماً لزاهد العلماء، معتمداً عليه في صناعته، محسناً إليه. وزاهد العلماء هو الذي بنى بيمارستان ميافارقين وحدّثني الشيخ سديد الدين بن رفيقة الطبيب ان سبب بناء بيمارستان ميافارقين هو ان نصير الدولة بن مروان لما كان بها مرضت ابنته وكان يرثي لها كثيراً فآلى على نفسه أنها متى برئت ان يتصدق بوزنها دراهم فلما عالجها زاهد العلماء وصلحت أشار على نصير الدولة أن يجعل جملة هذه الدراهم التي يتصدق بها تكون في بناء بيمارستان ينتفع الناس به ويكون له بذلك أجر عظيم وسمعة حسنة. قال: فأمره ببناء البيمارستان وانفق عليه أموالاً كثيرة ووقف له أملاكاً تقوم بكفايته وجعل فيه من الآلات وجميع ما يحتاج إليه شيئاً كثيراً جداً. فجاء لا مزيد عليه في الجودة. ولزاهد العلماء من الكتب:

١ ـ كتاب البيمارستانات
٢ ـ كتاب في الفصول والمسائل والجوابات، وهي جزءان، الأول يتضمن ما اثبته الحسن بن سهل مما وجده في خزانته من رقاع وكراريس وأدراج وغير ذلك من المسائل والجوابات. والجزء الثاني على جهة الفصول والمسائل وجوابات أجاب عنها في مجلس العلم المقرر في البيمارستانات الفارقي.
٣ ـ كتاب في المنامات والرؤيا.
٤ ـ كتاب فيما يجب على المتعلمين لصناعة الطب تقديم علمه.
٥ ـ كتاب في أمراض العين ومداواتها».

جراف جـ ٢ ص
ابن ابي اصيبعة جـ ١ ص ٢٥٣

ابو العلاء صاعد بن الحسن

من الفضلاء في صناعة الطب والمتميزين من اهلها وكان ذكياً بليغاً. ومقامه بمدينة الرحبة وله من الكتب:

كتاب التشويق الطبي صنفه بمدينة الرحبة في رجب سنة ٤٦٤هـ .

ابن أبي اصيبعة جـ ١ ص ٢٥٤

اسحاق بن علي الرهاوي

كان طبيباً متميزاً عالماً بكلام جالينوس وله أعمال جيدة في صناعة الطبّ.

وله من الكتب:

كتاب أدب الطبيب كنّاش جمعه من عشر مقالات جالينوس المعروفة بالميامر في تركيب الأدوية بحسب أمراض الأعضاء من الرأس الى القدم.

جوامع جمعها من أربعة كتب جالينوس التي رتبها الاسكندرانيون في اوائل كتبه وهي كتاب الفرق، وكتاب الصناعة الصغيرة، وكتاب النبض الصغير، وكتابه في اغلوقن. وجعل هذه الجوامع على طريق الفصول، وأوائل فصولها على حروف المعجم.

جراف جـ ٢ ص ١٩٧

ابن أبي أصيبعة جـ ٢٥٤

سعيد بن هبة الله بن اثردي

يقول عنه ابن أبي أصيبعة: هو ابو الحسن سعيد بن هبة الله بن الحسين من الأطباء المتميّزين في صناعة الطب. وكان أيضاً فاضلاً في العلوم الحكمية مشتهراً بها. وكان في أيام المقتدي بأمر الله وخدمه بصناعة الطب وخدم أيضاً ولده المستظهر بالله.

وقال ابو الخطّاب محمد بن محمد بن أبي طالب في كتاب الشامل في الطب: ان الطب انتهى في عصرنا الى أبي الحسن سعيد بن هبة الله بن الحسن. وولد في ليلة السبت الثالث والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٤٣٦ هـ. وقرأ على أبي العلاء بن التلميذ وعلي ابي الفضل كتيفان وعلي عبدان الكاتب. وألف كتباً كثيرة طبية ومنطقية وفلسفية وغير ذلك. ومات ليلة الأحد سادس شهر ربيع الأول سنة ٤٩٥ هـ.

كان يتولى مداواة المرضى في البيمارستان العضدي.

مؤلفاته

- كتاب المغنى في الطب صنفه للمقتدي بأمر الله.
- مقالة في صفات تراكيب الأدوية المحال عليها في كتاب المغني.
- كتاب الاقناع.
- كتاب التلخيص النظامي.
- كتاب خلق الانسان.
- كتاب في اليرقان.
- مقالة في ذكر الحدود والفروق.
- مقالة في تحديد مبادىء الأقاويل الملفوظ بها وتعديدها.
- جوابات طبية سئل عنها.
- كتاب الهداية في المعتقدات والآداب المسيحية.

انظر:

Gérard Troupeau, Recherches sur un médecin - philosophe de Baghdad Ibn Athradi (XIe siècle) dans Mémorial Mgr Khouri - Sarkis (1898 - 1968), Louvain 1969, pp. 259 - 262.

Assad Basile, Abrégé du "Livre de la Direction" d'Ibn Athradi. Edition critique et traduction Française avec introduction, Thèse de 3e cycle, Paris 1973, polycopié 230 pages.

ابن أبي أصيبعة جـ ١ ص ٢٥٤

ابن جزلة

هو يحيى بن عيسى بن علي بن جزلة وكان في أيام المقتدي بأمر الله. وقد جعل باسمه كثيراً من الكتب التي صنفها وكان من المشهورين في علم الطب و... ـه وهو تلميذ ابي الحسن سعيد بن هبة الله.

ولابن جزلة أيضاً نظر في علم الأدب وكان يكتب خطاً جيداً مشوباً. وكان نصرانياً ثم أسلم. وألف رسالة في الردّ على النصارى وكتب بها إلى إليا القس.

ولابن جزلة من الكتب:

١ ـ كتاب تقويم الأبدان وصنفه للمقتدي بأمر الله.
٢ ـ كتاب منهاج البيان فيا يستعمله الانسان وصنفه أيضاً للمقتدي بأمر الله.
٣ ـ كتاب الاشارة في تلخيص العبارة وما يستعمل من القوانين الطبية في تدبير الصحة وحفظ البدن لخصه من كتاب تقويم الابدان.
٤ ـ رسالة في مدح الطب وموافقته للشرع والردّ على من طعن عليه.
٥ ـ رسالة كتب بها لما أسلم إلى إليا القس وذلك في سنة ٤٦٦ هـ.

جراف جـ ٢، ص ١٩٩
ابن أبي اصيبعة جـ ١ ص ٢٥٩ ـ ٢٧٦ / شيخو، ص ٦
ابن العبري، القفطي ٣٤٠ ـ ٣٤٢ القاهرة ٢٢٣ ـ ٢٢٤
المشرق (٩/ ١٩٠٦) ص ٧٥٢ و ١٨١

موفق الملك امين الدولة أبو الحسن هبة الله

بن أبي العلا صاعد بن التلميذ طبيب نسطوري من القرن الثاني عشر. خصص له ابن أبي أصيبعة عدة صفحات وذكر كثيراً من شعره. ونحن نقتضب ترجمته. يقول ابن أبي أصيبعة:

هو الأجل موفق الملك أمين الدولة ابو الحسن هبة الله بن أبي العلا صاعد بن ابراهيم بن التلميذ، أوحد زمانه في صناعة الطب وفي مباشرة أعمالها ويدل على ذلك ما هو مشهور من تصانيفه وحواشيه على الكتب الطبية... وكان ساعور البيمارستان العضدي ببغداد إلى حين وفاته.

وكان في أول أمره قد سافر إلى بلاد العجم وبقي بها وهو في الخدمة سنيناً كثيرة. وكان جيّد الكتابة يكتب خطاً مشوباً... وكان خبيراً باللسان السرياني والفارسي. متبحّر في اللغة العربية وله

شعر مستظرف حسن المعاني. . . وكان أيضاً يترسل، وله ترسّل كثير جداً. كان معاصراً لاوحد الزمان أبي البركات صاحب المعتبر وكانت بينهما عداوة إلا ان ابن التلميذ كان أوفر عقلاً وأخير طباعاً من أبي البركات (ص ٢٦٠).

«كان امين الدولة حسن العشرة، كريم الأخلاق عنده سخاء ومروءة وأعمال في الطب مشهورة، وحدوس صائبة». وذكر ابن أبي اصيبعة عدة حوادث تؤكد مهارته في الطب (ص ٢٦٠ - ٢٦١). كان ابن التلميذ حلو الشمائل كثير النادرة وكان يحب صناعة الموسيقى وله ميل لأهلها. . . وكان من المتميزين في العربية وكان يحضر مجلسه في صناعة الطب خلق كثير يقرأون عليه وكان اثنان من النحاة يلازمان مجلسه ولهما منه الانعام والافتقاد. فكان من يجده من المشتغلين عليه يلحن كثيراً في قراءته أو هو الكن يترك أحد ذينك النحويين يقرأ عنه وهو يسمع ثم يأمر ذلك التلميذ أيضاً بأن يقرر للنحوي شيئاً يعطه إياه عن قراءته عنه.

وكانت وفاة أمين الدولة ببغداد في الثامن والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ٥٦٠ هـ ١١٦٤ وله من العمر أربع وتسعون سنة. وقد ذكر ابن أبي اصيبعة قصائد قيلت في مدحه (ص ٢٦٥ - ٢٧٦) كما انه ذكر نبذ من شعره وحكمه.

ولأمين الدولة بن التلميذ من الكتب:

١ - أقراباذينه العشرون باباً وشهرته وتداول الناس له أكثر من سائر كتبه.
٢ - أقراباذينه الموجز البيمارستاني وهو ثلاثة عشر باباً.
٣ - المقالة الأمينة في الأدوية البيمارستانية.
٤ - اختيار كتاب الحاوي للرازي.
٥ - اختيار كتاب مسكوية في الأشربة.
٦ - اختصار شرح جالينوس لكتاب الفصول لابقراط.
٧ - اختصار شرح جالينوس لكتاب تقدمة المعرفة لابقراط.
٨ - تتمة جوامع الاسكندريين لكتاب حيلة البرء لجالينوس.
٩ - شرح مسائل حنين بن اسحاق على جهة التعليق.
١٠ - شرح أحاديث نبوية تشتمل على طب.
١١ - كناش مختصر.
١٢ - الحواشي على كتاب القانون للرئيس ابن سينا.
١٣ - الحواشي على كتاب المائة للمسيحي.
١٤ - التعاليق على كتاب المنهاج وقيل انها لعلي بن هبة الله اثردي البغدادي.
١٥ - مقالة في الفصد.
١٦ - كتاب يشتمل على توقيعات ومراسلات.
١٧ - تعاليق استخرجها من كتاب المائة للمسيحي.
١٨ - مختار من كتاب أبدال الأدوية لجالينوس.

١٩ ـ كتاب المجربات.
٢٠ ـ كتاب الاقناع.
٢١ ـ رسالة في أثبات عقائد الدين المسيحي، في ٧٧ باباً وقد نشر منه بابا الآب شيخو في كتابه Chrestomathia Arabica بيروت ١٩١١ ص ٢٨٢ ـ ٢٨٣ وعنوان هذا الباب: في وجوب نسخ الشرائع المتقدمة وان شريعة المسيح لا يجوز نسخها.

توفيّ في بغداد سنة ١١٦٤.

ابن ابي اصيبعة جـ ١ ص ٧٦:
شيخو، شعراء، جـ ٢، ص ٣١٠ ـ ٣١٤

أبو الفرج يحيى بن التلميذ

هو الأجل الحكيم، معتمد الملك ابو الفرج يحيى بن صاعد بن يحيى بن التلميذ. كان متعيناً في العلوم الحكيمة، متقناً للصناعة الطبية، متحلياً بالأدب. وكان له تلاميذ عدة.

يقول جمال الدين القفطي: «كان طبيب الدولة العباسية في زمانه ويستشار برأيه وله الفضل الوافر والأدب الغزير والمعرفة الكاملة.. وعاش الى آخر عهد المستظهر بالله في حدود سنة ٥١٢ هـ/ ١١١٨ م.

ابن ابي اصيبعة جـ ١ ص ٢٩٧

ابو الغنائم هبة الله بن علي بن الحسين

اثردي من اهل بغداد متميزاً في الحكمة، فاضل في صناعة الطب، مشهور بالجودة في العلم والعمل وله من الكتب:

تعاليق طبية وفلسفية
مقالة في ان اللذة في النوم في اي وقت توجد منه وألف هذه المقالة لأبي نصر التكريتي طبيب الأمير بن مروان.

ابن ابي اصيبعة جـ ١ ص ٢٩٧

علي بن هبة الله بن اثردي

هو ابو الحسن علي بن هبة الله بن علي بن اثردي من اهل بغداد، طبيب فاضل. مشهور بالتقدم في صناعة الطبّ، وجودة المعرفة، حسن المعالجة، جيّد التصنيف.
وله من الكتب:

شرح كتاب دعوة الأطباء ألفه لأبي العلاء محفوظ بن المسيحي المتطب.

ابن ابي اصيبعة جـ ١ ص ٩٨

ابو علي الحسن بن علي بن اثردي

فاضل في صناعة الطب، جيد الأعمال، حسن المعالجة وكان من المشكورين ببغداد.

ابن ابي اصيبعة جـ ١ ص ٢٩٨

جمال الدين علي بن اثردي

هو جمال الدين ابو الحسن علي بن ابي الغنائم سعيد بن هبة الله بن علي بن اثردي فاضل في صناعة الطب، عالم بها، متميز في علمها وعملها.

جراف جـ ٢، ص ٢٠٠

ابن ابي اصيبعة جـ ١ ص ٣٠١

ابن العبري ص ٤١٦

ابو نصر سعيد بن ابي الخير بن عيسى بن المسيحي

من تلاميذ ابن التلميذ ولد سنة ١١٧٧ وتوفي سنة ١٢٢٥. كان طبيباً للخليفة الناصر لدين الله ويروي ابن ابي اصيبعة باسهاب (ص ٣٠١) كيف نجح في شقائه سنة ٥٩٨ هـ/ عندما كان مريضاً بالرمل وعرض له في المثانة حصاة كبيرة مفرطة في الكبر.

كان اركنيدياقوناً

ومن مؤلفاته:

١ ــ كتاب الاقتضاب على طريق المسألة والجواب لخص فيه مباحث كتاب الكليات من القانون.

٢ ــ انتخاب الاقتضاب مختصر الكتاب السابق.

ابن ابي اصيبعة جـ ١ ص ٣٠٢

ابو الفرج

هو صاعد بن يحيى بن هبة الله بن توما.

نصراني من أصل بغدادي وكان من الأطباء المتميزين والأكابر المتعينين. كان من ذوي المروءات والأمانات تقدم في ايام الناصر الى ان كان بمنزلة الوزراء واستوثقه على حفظ اموال خواصه، وكان يودعها عنده. وقد اغتيل سنة ٦٢٠ هـ.

جراف جـ ٢، ص ٢٠٠

ابن ابي اصيبعة جـ ١، ص ٣٠٣

ابو الحسين صاعد بن هبة الله بن المؤمل

تلميذ ابن التلميذ. يقول عنه ابن ابي اصيبعة: كان نصرانياً وأصله من الحظيرة. ونزل بغداد وكان أسمه ايضاً ماري. وهو من اسماء الكنيسة عند النصارى فانهم يسمون اولادهم عند الولادة بأسماء فاذا عمدوهم سموهم عند المعمودية باسم من اسماء الصالحين منهم.

وكان ابو الحسين هذا طبيباً فاضلاً وخدم بالدار الغزيرة الناصرية الامامية وتقرب قرباً كثيراً. وكسب بخدمته وصحبته الأموال. وكانت له الحرمة الوافرة والجاه العظيم.

وكان قد قرأ الأدب على ابي الحسن علي بن عبد الرحيم العصار وعلى أبي محمد عبد الله بن أحمد بن الخشّاب النحوي وعلى شرف الكتاب ابن حيا وغيرهم. وله معرفة تامة بالمنطق والفلسفة وأنواع الحكمة. وكان فيه كبر وحمق وتيه وعجرفة وينسب الى ظلم مفرط ولم يزل على امره ينسخ بخطه كتب الحكمة ويتصرف فيما هو يصدره من الطب وعلى حالته في القرب الى ان مات في يوم العشرين من ذي الحجة سنة ٥٩١ هـ/ ١١٩٤م ببغداد ودفن ببيعة النصارى بها. وله من المؤلفات:

١ ــ رسالة في التوحيد والتثليث.
٢ ــ مقالة في الرد على اليهود.
٣ ــ كتاب الصفوة في الطب جمع فيه اجزاء الطب.

وألحق في آخر الفصل الأول من الجزء الثاني ثلاثة فصول في الكتانة لكونها منوطة بالأطباء ببغداد وان كان لا يسمع لأحد من المتقدمين ولا المتأخرين فيها قولاً بل فيما يطول القلقة (ابن العبري ص ٤١٦).

جراف جـ ٢ ص ١٥٦ ـ ١٥٧.
ابن أبي اصيبعة جـ ١ ص ٣٢٢ ـ ٣٢٣.
ابن النديم، فهرست، ص ٢٦٥.
القفطي ص ١٦٤.

أبو الخير الحسن بن سوار

بن بابا بن بهنام، المعروف بابن الخمّار. طبيب وفيلسوف نسطوري وبهنام لفظة فارسية مركبة من كلمتين وهي «به» خير، «ونام» اسم أي اسم الخير. وكان هذا أبو الخير نصرانياً عالماً باصول صناعة الطب، وفروعها، خبيراً بغوامضها، كثير الدراية لها، ماهراً في العلوم الحكمية. وله مصنفات جليلة في صناعة الطب وغيرها وكان خبيراً بالنقل، وقد نقل كتباً كثيرة من السريانية إلى العربية وقد أجاد فيها.

وقرأ الحكمة على يحيى بن عدي. وكان في نهاية الذكاء والفطنة. ومولده في شهر ربيع الأول سنة ٣٣١ وتوفي حوالي سنة ١٠١٠ م.

ولابن سوار من الكتب:
مقالة في الهيولي.
كتاب الوفاق بين رأي الفلاسفة والنصارى ثلاث مقالات.
كتاب تفسير ايساغوجي مشروح.
كتاب تفسير ايساغوجي مختصر.

مقالة في الصديق والصداقة.
مقالة في سيرة الفيلسوف.
مقالة في الآثار المخيلة في الجوّ الحادثة عن البخار المائي. وهي الهالة والقوس والضباب على طريق المسألة والجواب.
مقالة في السعادة.
مقالة في الافصاح عن رأي القدماء في الباري تعالى وفي الشرائع ومورديها.
مقالة في امتحان الأطباء، صنفها للأمير خوارزمشاه أبي العباس مأمون بن مأمون.
كتاب في خلق الانسان وتركيب اعضائه أربع مقالات.
كتاب تدبير المشايخ.
كتاب تصفح ما جرى بين أبي زكريا يحيى بن عدي وبين أبي اسحاق ابراهيم بن بكوس في صورة النار وتبينّ فساد ما ذهب إليه ابوسليمان محمد بن طاهر في صور الاسطقسات.
مقالة في المرض المعروف بالكاهني وهو الصرع.
تقاسيم إيساغوجي وقاطيغورياس لاالينوس الاسكندري مما نقله من السريانية الى العربية وسرحه على طريق الحواشي.

المصادر:

مايرهوف، من اسكندرية الى بغداد ص ٣٥

Suter Die Mathematichen und Astronomen dez Arabia Leipzig, 1900 No 172.

سترجين جـ ٣ ص ٣٢٢ - ٣٢٣.

Ulmann: Die Medizin im Islam

Lecleer, Musliman de la entier arabe, Paris1876.

جـ ١ ص ٣٥٤ - ٣٥٦.

جراف جـ ٢ ص ٢٥٧

ابن أبي أصبعة جـ ١ ص ٢٧

شيخو ص ٢١

٧٣ ـــ أبو سهل الجرجاني

ابو سهل عيسى بن يحيى المسيحي الجرجاني

لقد خصص له ابن أبي اصيبعة ترجمة دقيقة ننقلها هنا بالنص: «هو أبوسهل عيسى بن يحيى المسيحي الجرجاني طبيب فاضل بارع في صناعة الطب علمها وعملها، فصيح العبارة، جيِّد التصنيف، وكان حسن الخط للعربية وقد رأيت بخطه كتابة في اظهار حكمة الله تعالى في خلق الانسان وهو في نهاية الصحة والاتقان والاعراب والضبط. وهذا الكتاب هو من أجلّ كتبه وأنفعها. فانه قد أتى فيه بجمل ما ذكره جالينوس غيره في منافع الأعضاء بأفصح عبارة وأوضحها مع زيادة نفسية من قبله تدل على فضل باهر وعلم غزير ولذلك يقول في أول كتابه هذا:

وليس يعرف فضلية ما أوردناه على ما أوردوا إلا من قابل بين كلامنا هذا وكلامهم مع دارية وانصاف منه فإن من لا يدري ما يعتبره لم يصلح للحكم فيه. ومن لا انصاف فيه لم يحكم للأفضل ولا يؤثره. فمن اعتبر من يصلح للاعتبار وهو العالم المنصف بعناية واستقصاء منه ما أوردناه وما أوردوا أي كيف صححنا ما أوردوه، وهذبناه واتممناه وسهلناه ورتبناه ترتيباً أفضل لجملة الكلام ولكل فصل منه واسقطنا من هذا الصنف من العلم ما ليس منه ثم كم زدنا من عندنا معاني دقيقة عجيبة كانت قد خفيت عليهم للطفها، وجلالة رتبتها وكيف جعلنا البيانات من الاشياء المتقدمة على الأشياء المتأخرة بالعكس مما فعلوه ليكون بياناً للشيء بمباديه وأسبابه فيكون برهاناً حقيقياً.

وسمعت من الشيخ الامام الحكيم مهذب الدين عبد الرحيم بن علي رحمة الله وهو يقول: انني لم أجد أحداً من الاطباء النصارى المتقدمين والمتأخرين أفصح عبارة، ولا أجود لفظاً، ولا أحسن معنىً من كلام أبي سهل المسيحي. وقيل ان المسيحي هو معلم الشيخ الرئيس (ابن سينا) صناعة الطب، وان كان الشيخ الرئيس بعد ذلك تميز في صناعة الطب، ومهر فيها وفي العلوم الحكمية حتى صنف كتباً للمسيحي وجعلها باسمه.

وقال عبيد الله بن جبرئيل ان المسيحي كان بخراسان وكان متقدما عند سلطانها وانه مات وله من العمر أربعون سنة. ومن كلام المسيحي قال: نومة بالنهار بعد أكلة خير من شربة دواء نافع.

ولأبي سهل المسيحي من الكتب:

١ ـ كتاب المائة في الطب، وهو من أجود كتبه واشهرها. ولأمين الدولة بن التلميذ حاشية عليه. قال: يجب أن يعتمد على هذا الكتاب فانه كثير التحقيق، قليل التكرار، واضح العبارة، منتخب العلاج.

٢ ـ كتاب إظهار حكمة الله تعالى في خلق الانسان.

٣ ـ كتاب في العلم الطبيعي.

٤ ـ كتاب الطب الكلي مقالتان.

٥ ـ مقالة في الجدري.

٦ ـ اختصار كتاب المجسطي.

٧ ـ كتاب تعبير الرؤيا.

٨ ـ كتاب في الوباء ألّفه للملك العادل خوارزمشاه أبي العباس مأمون ابن مأمون.

وقد ذكر الأب شيخو (ص ٢١) مؤلفاته وموضع وجودها على الوجه الآتي:

١ ـ كتاب ديوان الطب في مجلدين ضخمين ويدعى أيضاً الكتب المائة في الصناعة الطبيّة.

٢ ـ كتاب الطب الكلّي.

٣ ـ كتاب أصول علم النبض.

٤ ـ كتاب حكمة الله تعالى في خلق الانسان.

٥ ـ أصناف العلوم الحكمية وأركان العلوم ومبادىء الموجودات الطبيعية، تلخيص كتاب ارسطو في السماء والعالم.

ابن ابي اصيبعة جـ ٢ ص ٤١

جواد الطبيب النصراني

كان في ايام الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسطوله اللعوق المنسوب الى جواد وله دواء الراهب والأشربة والسفوفات المنسوبة اليه والى حمدين.

ابن ابي اصيبعة جـ ٢ ص ٤١

ابن ملوكة النصراني

كان في ايام الأمير عبيد الله وأول دولة الأمير عبد الرحمن الناصر وكان يصنع بيده ويفصد العروق وكان على باب داره ثلاثون كرسياً لقعود الناس.

جراف جـ ١، ص ١٣١

ابن ابي اصيبعة جـ ٢ ص ٤١

سباط، فهرس ٢٥٥٩

خالد بن يزيد بن رومان النصراني

«كان بارعاً في الطب ناهضاً في زمانه فيه وكان بقرطبة وسكنه عند بيعة سبت اخلج وكانت داره الدار المعروفة بدار ابن الطخري الشاعر وكسب بالطب مبلغاً جليلاً من الأموال والعقار وكان صانعاً بيده عالماً بالأدوية الشجارية وظهرت منه في البلد منافع. وكتب اليه نسطاس بن جريج الطبيب المصري رسالة في البول وأعقب خالد ابناً سماه يزيد ولم يبرع في الطب براعة ابيه» (ابن ابي اصيبعة).

ابن ابي اصيبعة جـ ٢ ص ٤٢

اسحاق الطبيب

والد الوزير ابن اسحاق، مسيحي النحلة وكان مقيماً بقرطبة وكان صانعاً بيده مجرباً يحكى له منافع عظيمة وآثار عجيبة وتحنك فاق به جميع اهل دهره وكان في ايام الأمير عبد الله الأموي.

ابن ابي اصيبعة جـ ٢ ص ٤٣

يحيى بن اسحاق

كان طبيباً ذكياً عالماً. بصيراً بالعلاج، صادقاً بيده وكان في صدر دولة عبد الرحمن الناصر لدين الله واستوزره وولى الولايات والعمالات وكان قائد بطليوس زماناً. وكان له من امير المؤمنين الناصر محل كبير كان ينزله منزل الثقة.. وألف في الطب كتاباً يشتمل على خمسة اسفار، ذهب فيها مذهب الروم. وكان يحيى قد اسلم اما ابوه اسحاق فكان نصرانياً.

وليحيى بن اسحاق كتاب كبير في الطب

ابن ابي اصيبعة جـ ٢ ص ٨٢

بليطيان

كان طبيباً مشهوراً بديار مصر، نصرانياً عالماً بشريعة النصارى الملكية، كان في السنة الرابعة من خلافة المنصور من الخلفاء العباسيين صير بليطيان بطريركاً على الاسكندرية. وكان طبيباً اقام ٤٦ سنة ومات. وكان حاذقاً بالطب فاعله.

واثر نجاح في معالجة مرض صعب، وهب الرشيد لبليطيان البطريرك مالاً كثيراً وكتب له منشوراً في كل كنيسة في يد اليعقوبية مما اخذوها وتغلبوا عليها ان ترد اليه فرجع بليطيان الى مصر واسترد من اليعقوبية كنائس كثيرة..

وتوفي بليطيان سنة ١٨٦ هـ.

ابراهيم بن عيسى

كان طبيباً فاضلاً، معروفاً في زمانه، متميزاً في اوانه، صاحب يوحنا بن ماسويه ببغداد وقرأ عليه، وأخذ عنه. وخدم بصناعة الطب الأمير احمد بن طولون، وتقدم عنده، وسافر معه الى الديار المصرية واستمر في خدمته ولم يزل عيسى مقيماً في فسطاط مصر الى ان توفي سنة ٢٦٠ هـ.

ابن ابي اصيبعة جـ ٢ ص٨٣

سعيد بن توفيل

كان طبيباً نصرانياً متميزاً في صناعة الطب وكان في خدمة ابن طولون من اطباء الخاص يصحبه في السفر والحضر. توفي سنة ٢٦٩ هـ او سنة ٢٧٩ هـ.

ابن ابي اصيبعة جـ ٢ ص ٨٥

نسطاس بن جريج

كان نصرانياً عالماً بصناعة الطب وكان في دولة الاخشيد بن طغج وله من الكتب: كناش ورسالة الى يزيد بن رومان النصراني الأندلسي في البول.

ابن ابي اصيبعة جـ ٢ ص ٨٦

يوسف النصراني

كان طبيباً عارفاً بصناعة الطب، فاضلاً في العلوم. وقال يحيى بن سعيد ابن يحيى في كتاب تاريخ الذيل انه لما كان في السنة الخامسة من خلافة العزيز، صير يوسف الطبيب بطريركاً على بيت المقدس اقام الرئاسة ثلاث سنين وثمانية اشهر ومات بمصر ودفن في كنيسة مارتوادرس مع ابائه.

ابن ابي اصيبعة جـ ٢ ص ٨٦

اسحاق بن ابراهيم بن نسطاس

هو ابو يعقوب نصراني فاضل في صناعة الطب وكان في خدمة الحاكم بأمر الله ويعتمد عليه بالطب. وتوفي بالقاهرة في ايام الحاكم واستطب بعده ابا الحسن علي بن رضوان واستمر في خدمته وجعله رئيساً على سائر الأطباء.

ابن ابي اصيبعة جـ ٢ ص ٨٦

سعيد ابن البطريق (٨٧٧ ـــ ٩٤٠)

طبيب ومؤرخ انظر ترجمته ومؤلفاته في القسم الخاص بالملكيين

ابن ابي اصيبعة جـ ٢ ص ٨٧

عيسى بن البطريق

كان طبيباً نصرانياً عالماً بصناعة الطب علمها وعملها متميزاً في جزئيات المداواة والعلاج مشكوراً فيها. وكان مقامه بمدينة مصر القديمة. وكان اخاً سعيد بن البطريق المقدم ذكره. ولم يزل عيسى بمدينة مصر طبيباً الى ان توفي بها.

ابن أبي اصيبعة جـ ٢ ص ١٩

سهلان

هو أبو الحسن سهلان بن عثمان بن كيسان.

كان طبيباً نصرانيا من أهل مصر ينتحل رأي الفرقة الملكية. وخدم الخلفاء المصريين وارتفع جاهه في الأيام العزيزية ولم يزل مرتفع الذكر، محروس الجانب، مقتنياً للمال الجزيل إلى أن توفي بمصر في أيام العزيز بالله في يوم السبت لخمس بقين من ذي الحجة سنة ٣٨٠هـ واخرج يوم الأحد بعد صلاة الظهر الى كنيسة الروم بقصر الشمع فاخذ بجنازته من داره على النحاسين على الجامع العتيق على المربعة الى حمام الفار وبين يديه خمسون شمعة موقودة وعلى تابوته ثوب مثقل وخلف جنازته المطران اخو السيد، وابو الفتح منصور بن مقشر طبيب الخليفة الخاص مشاة وسائر النصارى تبع لهم. ثم اخرج من الكنيسة بعد ان قسس عليه بقية ليلتهم الى دير القصير. فدفن هناك عند قبر أخيه كيسان بن عثمان بن كيسان ولم يعترض العزيز لتركته ولا ترك احداً يمدّ يده إليها على كثرتها.

وله من بين كتبه: كتاب مختصر في الطب وقد نشره الاب بولس سباط والدكتور أفرينو:

Précis sur les médicaments composés employés dans la plupart des maladies par Sahlan ibn Kaysan, édité et traduit par le R. Paul Sbath et le Prof. Christo D. Avierinos (Publ. de l'Inst. fr. d'arch. or. du Caire T. 10, Le Caire 1953, pp. 7 – 75.

ابن أبي اصيبعة جـ ٢ ص ٨٩

ابو الفتح منصور بن سهلان مقشر

كان طبيباً نصرانياً مشهوراً وله دراية وخبرة بصناعة الطب وكان طبيب الحاكم بأمر الله ومن الخواص عنده وكان العزيز ايضاً يستطبه ويرى له ويحترمه وكان متقدماً في الدولة. وتوفي في أيام الحاكم واستطب الحاكم بعد اسحق ابن ابراهيم بن نسطاس ومات اسحاق بن نسطاس أيضاً في أيام الحاكم بعد ذلك.

ابن أبي أصيبعة جـ ٢ ص ١٢١

أبو سليمان داود بن أبي المنى أبي فانة

كان طبيباً نصرانياً بمصر في زمن الخلفاء وكان حظياً عندهم فاضلاً في الصناعة الطبية خبيراً بعلمها وعملها متميزاً في العلوم. وكان من أهل القدس ثم انتقل الى الديار المصرية، وكانت له معرفة بالغة بأحكام النجوم.

أبن أبي اصيبعة جـ ٢ ص ١٢٢

أبو سعيد بن أبي سليمان

هو الحكم مهذب الدين ابو سعيد بن ابي سليمان بن أبي المنى بن أبي فانة. كان فاضلاً في صناعة الطب، عالماً بها، متميزاً في أعمالها، متقدماً في الدولة، وقرأ علم الطب على أبيه وعلى غيره.

وكان السلطان الملك العادل أبو بكر بن أيوب قد جعله في خدمة ولده الملك المعظم واكرمه غاية الاكرام وامر ان لا يدخل قلعة من قلاعه إلا راكباً مع صحة جسمه فكان يدخل في قلاعه الأربعة كذلك. وهي قلعة الكرك، وقلعة جعبر، وقلعة الرها، وقلعة دمشق.

وخدم ابو سعيد بن أبي سليمان الملك الناصر صلاح الدين والملك العادل أيضاً بالطب وانتقل إلى الديار المصرية وقام بها الى حين وفاته، وتوفي في سنة ٦١٣هـ ودفن بدير الخندق عند القاهرة.

ابن أبي اصيبعة جـ ٢ ص ١٢٢

أبو شاكر بن أبي سليمان

هو الحكيم موفق الدين أبو شاكر بن أبي سليمان داود. وكان متقناً لصناعة الطب متميزاً في علمها وعملها، جيد العلاج، مكيناً في الدولة. وقرأ صناعة الطب على اخيه أبي سعيد بن أبي سليمان وتميز بعد ذلك واشتهر ذكره. وكان السلطان الملك العادل قد جعله في خدمة ولده الملك الكامل فبقي في خدمته وحظي عنده الحظوة العظيمة. وكان أيضاً الملك العادل يعتمد عليه في المداواة ويصفه بحسن العلاج. ويكرمه كل الاكرام.

وتوفي أبو شاكر في سنة ٦١٣هـ. ودفن بدير الخندق عند القاهرة.

أبو نصر بن أبي سليمان

كان طبيباً عارفاً بصناعة الطب حسن المعالجة جيد العلاج توفي بالكرك.

ابن ابي اصيبعة جـ ٢ ص ٢٣

أبو الفضل بن أبي سليمان

كان طبيباً مشكوراً في صناعة الطب وكان اصغر اخوته وعمر من دونهم. كان مولده في سنة ٥٦٠هـ ووفاته في سنة ٦٤٤هـ فمدة حياته أربع وثمانون لم يبلغها احد من إخوته،وكان طبيباً للملك المعظم مقيماً بالكرك ثم خدم الملك الكامل بالديار المصرية وتوفي بها.

جراف جـ ٢، ص ٧٢

ابن ابي أصيبعة جـ ٢، ص ١٢٣ - ١٣٠

رشيد الدين أبو حليقة.

يقول عنه ابن ابي أصيبعة: «هو الحكيم الأجل العالم رشيد الدين أبو الوحش بن الفارس أبي الخير بن ابي سليمان داود بن أبي المنى بن أبي فانة ويعرف بأبي حليقة. كان أوحد زمانه في صناعة الطب والعلوم الحكمية متفنناً في العلوم والآداب حسن المعالجة، لطيف المداواة، رؤوفاً بالمرضى محباً لفعل الخير، مواظباً للأمور الشرعية التي هو عليها، كثير العبادة.

ولقد اجتمعت به مرّات ورأيت من حسن معالجته وعشرته وكمال مروءته ما يفوق الوصف واشتغل بصناعة الطب في أول أمره على عمه مهذب الدين أبي سعيد بدمشق واشتغل بعد ذلك بالديار المصرية. وقرأ أيضاً على شيخنا مهذب الدين عبد الرحيم بن علي رحمهُ الله. ولم يزل دائم الاشتغال، ملازماً للقراءة.

ومولده بقلعة جعبر. وذلك في سنة ٥٩١هـ/ ١١٩٤م. وخرج منها إلى الرها وربي بها مدّة سبع أو ثماني سنين. وكان والده يلبسه لباس الجندية مثل لباسه. وكان ساكناً بدار يقال لها دار ابن الزعفراني عند باب شاع بالرها. ويروي ابن ابي أصيبعة كيف نصح السلطان للوالد أن يعلم ابنه الطب لما وجد فيه من ذكاء. فارسل الصبي الى دمشق فأقام بها مدة سنة كاملة «حفظ فيها كتاب الفصول لابقراط وتقدمة المعرفة» ثم وصل الى القاهرة في سنة ٥٩٩ هـ ولم يزل مقيماً بها وخدم بصناعة الطب الملك الكامل وكان كثير الاحترام له حظياً عنده وله منه الاحسان الكثير والانعام المتصل... ولم يزل في خدمة الملك الكامل الى أن توفي رحمه الله.

ثم خدم بعده ولده الملك الصالح نجم الدين ايوب الى أن توفي الملك الصالح رحمه الله. وخدم ايضاً ولد الملك الصالح بعد ذلك وهو الملك المعظّم ترنشاه. ولما قتل رحمه الله وذلك في يوم الأثنين سابع وعشرين المحرم سنة ٦٤٨ـ وجاءت دولة الترك واستولوا على البلاد واحتووا على الممالك صار في خدمتهم...».

وقد ذكر ابن ابي أصيبعة نوادر كثيرة خاصة بابي حليقة (ص ٢٤) ومعالجات عجيبة. كما ذكر بعض قصائده.

مؤلفاته

١ ـ مقالة في حفظ الصحة.
٢ ـ مقالة في أن الملاذ الروحانية ألذ من الملاذ الجسمانية اذ الروحانية كمالات وادراك الكمالات والجسمانية انما هي دفع آلام خاصة وان زادت أوقعت في آلام أخرى.
٣ ـ كتاب في الأدوية المفردة سماه المختار في الألف عقار.
٤ ـ كتاب في الأمراض وأسبابها وعلاماتها ومداواتها بالأدوية المفردة والمركبة التي قد أظهرت التجربة نجاحها. .
٥ ـ مقالة في ضرورة الموت.

جراف جـ٢ ص ٣٢ ـ ٣٨
ابن ابي أصيبعة جـ٢ ص ٨٦ ـ ٨٧

سعيد بن البطريق

من أهل فسطاط مصر. وكان طبيباً نصرانياً مشهوراً عارفاً بعلم صناعة الطب وعملها، متقدماً في زمانه. وكانت له دراية بعلوم النصارى ومذاهبهم ومولده في يوم الأحد لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ٢٦٣ هـ/ .

ولما كان في أول سنة من خلافة القاهر بالله محمد بن أحمد المعتضد بالله صير سعيد بن البطريق بطريكاً على الاسكندرية وسمّي أوثوشيوس وذلك لثمان خلون من شهر صفر سنة ٣٢١ هـ/ . وكان في أيامه شقاق عظيم بينه وبين شعبه واعتدل سعيد بن البطريق بمصر بالاسهال.

وكان متميزاً في صناعة الطب فحدس انها علة مَوْته فصار الى كرسيه بالاسكندرية. وأقام به أياماً عدّة عليلاً ومات يوم الأثنين سلخ رجب من سنة ٣٢٨ هـ /

وله من الكتب:
١ ـ كتاب في الطب علم وعمل كنّاش.
٢ ـ كتاب الجدل بين المخالف والنصراني
٣ ـ كتاب نَظْم الجوْهر، ثلاث مقالات كتبه الى أخيه عيسى بن البطريق المتطبب في معرفة صوم النصارى وفطرهم وتواريخهم وأعيادهم وتواريخ الملوك المتقدمين وذكر البطاركة وأحوالهم ومدّة حياتهم ومواضعهم وما جرى في ولايتهم.

وقد ذيل هذا الكتاب نسيب لسعيد بن البطريق يقال له يحيى بن سعيد بن يحيى وسمى كتابه كتاب الذيل.

أنظر:

Annules Corpus Scrip chr Or texte serie III 1914, pp. 401 – 423

Revue Buztin, Revue Biblique 1914. pp. 401 – 423.

منسًا يوحنا، كتاب كمال البرهان على حقيقة الايمان القاهرة ١٩٢٨ (أنظر توتل في المشرق (١٩٢٩)، ص ٩١٤ ـ ٩١٩).

٣ ـ كتاب البرهان

نشره بطرس كاكيا Pierre Cackia في:

Corpus Scrip chr Or vol. 192 – 193; 209 – 210.

Scrip arab vol. 20 – 23, Louvain 1960 – 61.

مع ترجمة انجليزية لمونغومري واط Monigomery Watt

ابن ابي اصيبعة جـ ٢ ص ١٤٠

عيسى الرقي

المعروف بالتفليسي. كان طبيباً مشهوراً في أيامه عارفاً بالصناعة الطبية حق معرفتها. وله أعمال فاضلة ومعالجات بديعة. وكان في خدمة سيف الدولة بن حمدان ومن جملة أطبائه. وقال عبيد الله بن جبرئيل حدثني من أثق بقوله ان سيف الدولة كان إذا أكل الطعام حضر على مائدته أربعة وعشرون طبيباً. قال: وكان فيهم من يأخذ رزقين لأجل تعاطيه علمين، ومن يأخذ ثلاثة لتعاطيه ثلاثة علوم وكان من جملتهم عيسى الرقي المعروف بالتفليسي. وكان مليح الطريقة وله كتب في المذهب وغيرها. وكان ينقل من السريانية الى العربية، ويأخذ أربعة أرزاق بسبب الطب ورزقا بسبب النقل، ورزقين بسبب علمين آخرين.

ابن أبي أصيبعة جـ ٢ ص ١٧٥ ـ ١٨١

موفّق الدين بن المطران

هو الحكيم الامام العالم الفاضل موفق الدين أبو نصر أسعد بن أبي الفتح، إلياس بن جرجس المطران. كان سيد الحكماء وأوحد العلماء وافر الآلاء جزيل النعماء، أميز أهل زمانه في علم صناعة الطب وعملها، واكثرهم تحصيلاً لأصولها وجملها جيد المداواة لطيف المداراة، عارفاً بالعلوم الحكمية، متعيناً في الفنون الأدبية.

وقرأ علم النحو واللغة والأدب على الشيخ الامام تاج الدين أبي اليمن زيد بن الحسن الكندي. كان مولده ومنشؤه بدمشق. وكان أبوه أيضاً طبيباً متقدماً جوّالاً في البلاد لطلب الفضيلة. وسافر إلى بلاد الروم لاتقان الأصول التي يعتمد عليها في علم النصارى ومذاهبهم. ثم عدل بعد ذلك إلى العراق واجتمع بأمين الدولة بن التلميذ وقرأ عليه كثيراً من الكتب الطبية. ثم عاد إلى دمشق وبقي طبيباً بها إلى حين وفاته.

وكان ابن المطران حادّ الذهن، فصيح اللسان، كثير الاشتغال. اشتغل بالطب على مذهب الدين بن النقاش وخدم بصناعة الطب الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، وحظي في ايامه. وكان يغلب على ابن المطران الزهو بنفسه والتكبر حتى على الملوك. وأسلم ابن المطران في أيام صلاح الدين فزوجه صلاح الدين إحدى حظايا داره وصار له ذكر سام في الدولة الى ان كاد ان يكون وزيراً.

وكان لموفق الدين ابن المطران أخوان أيضاً قد اشتغلا بصناعة الطب. وتوفي ابن المطران في شهر ربيع الاول سنة ٥٨٧ هـ بدمشق. (١١٩١م).

وله من الكتب:

١ ـ كتاب بستان الاطباء وروضة الألباء غرضه فيه ان يكون جامعاً لكل ما يجده من ملح ونوادر وتعريفات مستحسنة مما طالعه او سمعه من الشيوخ او نسخه من الكتب الطبية. انظر: رضا الشبيبي، مجلد المجمع العلمي جـ ٣ (١٩٢٣) ص ٢ ـ ٨

٢ ـ المقالة الناصرية في حفظ الأمور الصحية.

٣ ـ اختصار كتاب الأدوار للكسدانيين اخراج أبي بكر أحمد بن علي بن وحشية.

٤ ـ كتاب على مذهب دعوة الأطباء.

٥ ـ كتاب الأدوية المفردة.

٦ ـ كتاب آداب طب الملوك.

ابن أبي اصيبعة جـ ٢ ص ١٨٣

أبو منصور النصراني

كان طبيباً مشهوراً عالما حسن المعالجة والمداواة وخدم بصناعة الطب الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي وبقي سنين في خدمته.

ابو النجم النصراني

هو أبو النجم بن أبي غالب بن فهد بن منصور بن وهب بن قيس بن مالك. كان طبيباً مشهوراً في زمانه، جيِّد المعرفة بصناعة الطب، محمود الطريقة فيها، مشكور المعالجة، حسن العشرة، محبّاً للخير، وكان يقرأ عليه علم الطب ويعدّ من جملة الفضلاء المتميزين في وقته.

ويقول ابن أبي أصيبعة: وحدثني أبو الفتح بن مهنا النصراني ان أبا النجم كان أبوه فلاحاً في قرية شفا من أرض حوران. وكان يعرف بالعبار. وكان ابنه أبو النجم هذا صبياً فأخذه بعض الأطباء بدمشق عنده. ولما كبر علمه صناعة الطب وعرفه أعمالها وخدم أبو النجم بصناعة الطب الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وحظي عنده، وكان مكيناً في الدولة، وبقي في خدمته مدّة. وكان يتردد الى دوره ويعالجهم مع جملة الأطباء. وتوفي أبو النجم بدمشق في سنة ٥٩٩ هـ وله ولد طبيب وهو أمين الدولة أبو الفتح ابن أبي النجم. وله من الكتب: كتاب الموجز في الطب وهو يشتمل على علم وعمل.

ابن أبي أصيبعة جـ ٢ ص ٢١٤

موفق الدين يعقوب بن سقلاب

نصراني كان أعلم أهل زمانه بكتب جالينوس ومعرفتها والتحقيق لمعانيها. وكان متقناً اللسان الرومي خبيراً بلغته ونقل معناه إلى العربية. وكان عنده بعض كتب جالينوس مكتوبة بالرومي مثل حيلة البرء والعلل والأعراض وغير ذلك.

كان مولده بالقدس وأقام بها سنين كثيرة ولازم بها رجلاً فاضلاً فيلسوفاً راهباً في دير السيق كان خبيراً بالعلم الطبيعي، متقناً للهندسة وعلم الحساب، قوياً في علم أحكام النجوم والاطلاع عليها.

وكان الحكيم يعقوب أتم الناس عقلاً واسدّهم رأياً وأكثرهم سكينة وخدم الملك المعظم عيسى بن أبي بكر بن أيوب وصار معه في الصحبة. كان حسن الاعتقاد فيه فكان يستصحبه في اسفاره معه في محفة ويفتقده ويكرمه غاية الاكرام. توفي بدمشق في عيد الفصح للنصارى وذلك في شهر ربيع الآخر سنة ٦٢٥ هـ.

ابن أبي أصيبعة جـ ٢ ص ٢١٦

سديد الدين أبو منصور

هو الحكيم الأجل ابو منصور ابن الحكيم موفّق الدين يعقوب بن سقلاب من أفاضل الأطباء. اشتغل على والده وعلى غيره. وقرأ أيضاً بالكرك على الامام شمس الدين الخشروشاهي كثيراً من العلوم الحكمية.

وخدم الملك الناصر صلاح الدين داود ابن الملك المعظم عيسى بن أبي بكر بن أيوب، وأقام في صحبته بالكرك. ثم أتى إلى دمشق وتوفي بها.

جراف جـ ٢، ص ٢١٤
ابن أبي أصيبعة جـ ٢، ص ٢٧٣

أبو الفرج ابن القُفّ

يقول عنه ابن أبي اصيبعة: هو الحكيم الأجل العالم أمين الدولة أبو الفرج ابن الشيخ الأوحد العالم موفق الدين يعقوب بن اسحاق بن القف من نصارى الكرك.

مولده بالكرك في يوم السبت ثالث عشر ذي العقدة سنة ٦٣٠ هـ. كان والده موفق الدين صديقاً لي مستمراً في تأكيد مودته، حافظاً لها طول أيامه ومدّته. . . جيد الحفظ للاشعار، علامة في نقل التواريخ والأخبار، متميزاً في علم العربية فاضل في الفنون الأدبية. . . وله الخط المنسوب. . . كان في ايام الملك الناصر يوسف بن محمد كاتباً بصرخد عاملاً في ديوان البرّ.

وكان ولده هذا ابو الفرج تتبين فيه النجابة من صغره كما تحققت في كبره، حسن السمت كثير

الصمت، وافر الذكاء، محباً لسيرة العلماء. فقصد أبوه تعليمه الطب فسألني ذلك حتى حفظ الكتب الأولية المتداول حفظها في صناعة الطب. . .

ثم انتقل أبوه الى دمشق المحروسة وخدم بها في الديوان السامي وسار ولده معه ولازم جماعة من الفضلاء فقرأ العلوم الحكمية والأجزاء الفلسفية. . .

وخدم ابو الفرج بن القف بصناعة الطب في قلعة عجلون واقام بها عدة سنين. ثم عاد الى دمشق وخدم في قلعتها المحروسة لمعالجة المرضى وهو محمود في افعاله مشكور في سائر احواله.

وله من الكتب:

١ ـ كتاب الشافي في الطب شرح الكليات من كتاب القانون لابن سينا ست مجلدات.
٢ ـ شرح الفصول كتابين.
٣ ـ مقاله في حفظ الصحة.
٤ ـ كتاب العمدة في صناعة الجراح عشرين مقالة علم وعمل يذكر فيه جميع ما يحتاج إليه الجرائحي بحيث لا يحتاج إلى غيره.
٥ ـ كتاب جامع الغرض مجلد واحد.
٦ ـ حواش على ثالث القانون.

توفي سنة ٦٨٥ هـ. وله أيضاً: مقالة في صحة الديانة (سباط، فهرس رقم ٢٥٢٦).

البَاب الثـالث

المسيحـيّون في مصـر

الفصل الأول

الأقباط

جراف جـ ٢ ص ٣٠٠

ساويروس ابن المقفع Severus ibn ae – Moqoffei

هو من أول المؤلفين الأقباط الذين استعملوا اللغة العربية في كتب لها أصالة مرموقة، ولا يعرف إلا القليل عن شخصيته. عندما كان علمانياً كان اسمه أبا بشر وكان كاتب سرّ ثم دخل الرهبانية واصبح فيما بعد مطراناً لأشمونين في الصعيد المصري.

والتواريخ الأكيدة التي نعرفها عنه هي سنة ٩٥٥ حيث كتب فيها كتابه «الكتاب الثاني» الخاص بالمجمعات وسنة ٩٨٧ حيث وقع على الرد الذي كتبه البطريرك فيلوتيوس (٩٧٩ ـ ١٠٠٣) إلى الرسالة العقائدية التي حرّرها اليعقوبي ديونيتريوس ـ وهو بالأحق اتاتيوس الخامس (٩٨٧ ـ ١٠٠٣).

وقد كان حتى قبل سلفه إفرابيم مشهوراً كخطيب مفوّه وكاتب متعدد المواهب. وقد استطاع لاطلاعه على مادة غزيرة من تراث امته أن يتبوأ مكاناً مرموقاً في آدابها.

وقد وصلتنا قائمتان خاصتان بمؤلفاته: الواحدة تشير إلى عشرين مؤلفاً والاخرى الى ٢٦ولكن الجزء الكبير منها قد فُقد.

تاريخ بطاركة الاسكندرية

هو أشهر كتبه. وقد ترجمه العالم الفرنسي رينودو Renaudot إلى اللاتينية. فاصبح المصدر الأساسي لتاريخ الكنيسة القبطية في القرون الوسطى.

وقد مضى سويرس ثمان سنين للبحث عن مصادر تاريخه في الاديرة. وفي مدينة الاسكندرية. ولقد استعان لترجمة المصادر اليونانية بالشماس ميخائيل بن يُدَيْر الدمنهوري.

وأول من واصل عمل سويرس هو ميخائيل، مطران تِنّيس الذي ألف تاريخ البطاركة منذ ٨٨٠ إلى ١٠٤٦. وفي سنة ١٠٨٨، جمع افكار سويرس المشتتة في أماكن مختلفة ونظمها الشماس. موهوب بن منصور بن مفرج، وهو كان في الاسكندرية.

وقد وضع محبوب فيا بعد مقدمة بدل مقدمة سويرس وأدخل حياة مرقس غيرالموجودة. وقد هذب بعض التعابير من وجهة الاسلوب ليعطيها رونقاً وايضاحاً فاصبح هذا النص المهذب النص العمدة لتاريخ بطاركة الاسكندرية. وقد أضاف محبوب فيا بعد ترجمة البطريرك المعاصر خريستودوس (١٠٤٧ ـ ١٠٧٧) ثم أضاف يوحنا بن سعيد بن يحيى بن مينا، الملقب بابن القلزمي ترجمة

لحياة البطريرك كيرلس (١٠٧٨ ـ ١٠٩٢) وخلفَيْه: ميخائيل (١٠٩٢ ـ ١١٠٢) ومكاريوس (١١٠٢ ـ ١١٢٨) ومرقس بن زرعة للثلاث بطاركة التابعين: جبرائيل بن تريك، ميخائيل ويوحنا (١١٤٦ ـ ١١٦٦). ولا يعرف من ترجم للبطاركة التابعين: من مرقس إلى كيرلس بن لقلق (١٢٣٥).

إن تاريخ بطاركة الاسكندرية ليس هو المصدر الأساسي لتاريخ الكنيسة المصرية القبطية فحسب بل لكنيسة الحبشة أيضاً وتاريخ الكنيسة في النوبة وكثير من التفاصيل التي وردت فيه تخص تاريخ مصر السياسي. انظر:

Jean Maspéro, Histoire des patriarches d'Alexandrie, Paris 1923

اول من نشر النص العربي لمحبوب بن منصور هو المستشرق الالماني:

Christian Friedrich Seybold, Severus ibn al – Muqaffaa Alexandrinische patriarchengeschicte von S. Marcus bis Michael I, 61 – 767, nach der ältesten 1266 geschriebenen Hamburger Handschrift im arabischer, Urtext herausgegeben, Hamburg 1912.

(ch, Fr, Seybold) Severus Ben al – Muqaffaa, Historia Patriarcharum in CSCO, Scriptores Arabici, Textus. Ser. III, T. 9, Fasc. I et 2, Beyrouth, Paris 1904 – 1910.

B. Evetts, History of the patriarchs of the Coptic Church of Alexandria. Arabic Text edited, translated and annotated, in Patr, or, t. I, pp. 99 – 214 – 381 – 518; t. V, pp. 1 – 215; t. X. pp. 357 – 551

وقد تولت جمعية الآثار القبطية تكملة نشر هذا التاريخ، وقام بهذا العمل العالمان يسّى عبد المسيح وبورمستر O. H. E. Burmester تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية.

History of the patriarchs of the Egyptian Church, Known as the History of the Holy Church, by Sawirus ibn al – Muqaffaa, vol. II, Part I (KhaëlII, Shenouti I) (A. D. 849 – 880) (ED).

٢ ـ في ميدان المجادلات اللاهوتية ـ ولكن أيضاً على اساس تاريخي ،ألف ساويروس الكتابين التاليين:

(أ) كتاب المجامع، في أربعة فصول، أعطى فيه ساويرس مختصر تاريخ الكنيسة من وجهة نظره ومتعمداً الردّ على الكاتب الملكي سعيد بن البطريق (اوتنجوس) وقد ألفه قبل سنة ٩٥٥م.

وهو يبدأ بوصف عمل الوحي الالهي منذ بدء الخلق حتى صعود السيد المسيح إلى السماء، ثم الكرازة الرسولية المبنية على نصوص الكتاب المقدس وأخيراً تعليم آباء الكنيسة؛ ثم ظروف المجامع

الكنسية الاربعة الأولى وتفاصيل أعمالها وبخاصة تفاصيل مسهبة عن مجمع خلقدونية ومن هنا أُعْطي للكتاب عنوانه. وفي ملحق يعطي ساويروس بعض النصائح للوقوف على تواريخ ولادة المسيح والعماد والموت والقيامة.

وقد نشر هذ الكتاب الاستاذ شبلي:

P. Chébli, Réfutation de Saaid Ibn – Batriq (Eutychius) (Le Livre des Conciles) in Patr. orien. t. III (1905). pp. 121 – 142.

(ب) وقد ألف ساويروس تكملة لهذا الكتاب سماه: «الكتاب الثاني» سنة ٩٥٥. وتشمل التسع فصول الأولى نفس موضوع الكتاب السابق ولكن بشيء من الاسهاب. واما الفصل العاشر فهو شرح وتوضيح قانون ايمان النيقاوي القسطنطيني مع قصد دفاعي ظاهر. ويشتد الجدال ضد النساطرة، بخاصة ضد ايليا علي بن عبيد، مطران دمشق الذي كان هو ايضاً فسرَّ قانون الايمان المذكور، كما أنه ناقش آراء اليهود والمعتزلة من بين المسلمين الذين، حسب قوله، يقولون بتجسم كلمة الله وقد ذكر بالاسم ابراهيم النظام. (المتوفى سنة ٨٤٥).

وقد نستنتج من كتاب ساويروس هذا، أنه اعاد فيه ما قد كان كتبه منذ سنة ٩٥١ وقد فقد هذا الكتاب الأول وفيما بعد يذكر كتاباً له، اسمه «كتاب Sdgnougu» اي جدال مع بعض أشهر متكلمي الاسلام وكان يوجد فيه باب خاص عن صفات الله. وهذا الكتاب لا يوجد أثر له لدينا.

وقد نشر «الكتاب الثاني» العالم لوروا:

L. Leroy, Sévère ibn al – Muqaffaa, Histoire des Conciles (Second Livre) Edition et traduction du texte arabe, in Patr or. t. VI (1900) pp. 465 – 606

وفي بعض المخطوطات يسمى الكتاب «تفسير الأمانة وتأويل ألفاظها».

جراف جـ ٢ ص ٣١٨

الواضح بن الواضح ابن رَجَا

كان مسلماً مولداً وأخذ اسم بولس عند انتمائه الى المسيحية. وهرباً من اضطهاد عائلته وأصدقائه فرّ الى دير وادي حبيب ثم ترهب. وقد ربطته صداقة وثيقة بالمطران ساويروس بن المقفع وعملا سوياً في تأليف بعض الكتب.

بالنسبة لمؤلفاته المتصلة بالعقيدة الاسلامية، كتب ثلاثة كتب لم تكشف الا من عهد قريب.

كان في القرن العاشر الميلادي. ذكر له ابو البركات بن كبر في فهرسه أربعة كتب:

L'enhod do
Sbath Fihrus 44

١ ــ في الاعتراف وسماه الواضح
٢ ــ نوادر المفسرين وتحريف المخالفين
٣ ــ هتك المحجوب

٤ ــ سيرته.

وله أيضاً كتاب بعنوان: كتاب الابانة في تناقض الحديث وقد ورد اسم الكتابين الأولين في كتاب الخريدة للراهب البراموسي (شيخو، المخطوطات العربية، ص ٨، رقم ٢٤).

جراف جـ ٢، ٣١٩

عبد المسيح الاسرائيلي

كان يهودياً واهتدى الى المسيحية، وقد الف في بداية القرن الحادي عشر الميلادي كتابين لاقناع اخوته في الدين السابقين بصحة المسيحية.

ان احد مصادر معرفة نشاطه العلمي هو بداية عنوان كتابه: «كتاب الاستدلال لعبد المسيح الاسرائيلي الرقي، الذي تنصر في القاهرة على يد الشيخ منصور بن سهلان الطبيب».

وهذا الطبيب هو الطبيب المسيحي المشهور ابو الفتح منصور بن سهلانبن مقشر الذي توفي في ايام الخليفة الحاكم (٩٩٦ ـ ١٠٢١).

انظر، Steinschaeider ص ١١٥، فقرة ٩١.

جراف جـ ٢، ص ٣٢٠

ابو صلح يونس بن عبد الله سديد بن بانا.

مؤلف كتاب مختصر القانون الكنسي، اكد في مقدمته على وجوب الإذعان الى اوامر الكنيسة وفند المعاذير التي يتذرع بها الذين يرفضون اوامر الكنيسة.

وهذا الملخص الذي يسميه المؤلف «جملة» مبني على الوثائق القبطية العديدة المعزية الى الرسل وعلى الأخبار الخاصة بالمجامع الكنسية. وهو منقسم الى ٤٨ جزءاً.

ولما كان الراهب مكاريوس يستعمل هذه «الجملة» في كتابه المؤرخ ١٠ اكتوبر ١٢٠٨، فمن الأكيد ان تاريخ الجملة يرتقي الى بداية القرن الحادي عشر على الأقل.

ويوجد هذا الكناش في عدة مخطوطات في مكاتب الفاتيكان، وباريس، والقاهرة.

انظر: باريس عربي Paris arabe، Coc، ص ٦٩١ ــ ٧٠٧.

جراف، جـ ٢، ص ٣٢١

البطريرك خراسطادلو

البطريرك السادس والستون. ادار الكنيسة القبطية من سنة ١٠٤٧ الى ١٠٧٧. في اول سنة من تنصيبه على كرسي البطريركية (اول اغسطس ١٠٤٨) اصدر ٣٢ أنظمة معروفة تحت اسم «قانون البطريرك خراسطادلو» وهو يذكر فيها das canons في الكنيسة بعض العادات الخاصة

بالقداس والمناولة وطقوس الجمعة الحزينة وعيد العنصرة والصوم، وعقد الزواج مع المرأة الروم الكاثوليك والروابط الروحية بينهما.

شذرات من هذا الكتاب في:

O . H . E . Burmester, The Canons Of Christodulos, Patriarch of Alexnndria, in Muséon, T . 45 (1932), pp. 71 — 77.

نبذة من خطاب البطريرك خراسطادلو الى البطريرك اليعقوبي يوحنّس (١٠٤٩ ــ ١٠٥٨) في «عقيدة الآباء» الواردة في كتاب «الخريدة النفسية»، ص ٣٤١ ــ ٣٤٥.

جراف جـ ٢، ص ٣٢١

«اعتراف الآباء»

بالرغم من انه مصدر ناتج من منابع ثانوية بل ثلاثية، الا انه ذو اهمية كبرى بالنسبة للمؤلفات اللاهوتية لليعاقبة سواء في مصر أم في سوريا والحبش. ويرجع تاريخه الى سنة ١٠٧٨.

صاحب هذا الكتاب مؤلف قبطي مجهول الهوية. وقد اختار نصوصاً اما من مقالات كاملة من آباء الكنيسة او من مقتطفات كبيرة او صغيرة الحجم وترجمها الى العربية. كما انه اضاف عليها بعض النصوص التي سبقت ترجمتها (مثل الديسقوليا والوثائق الخاصة بالمجامع الخ) كما انه استعار بعض النصوص من مؤلفين يعاقبة مثل ابي رائطة ويحيى بن عادي. وهذا كله من وجهة نظر اليعاقبة بالنسبة الى سرّ الثالوث الأقدس وسر كيان المسيح.

وترتيب الشواهد المذكورة هو عادة ترتيب زماني: الرسل وتلاميذهم، والمؤلفون الارثوذوكسيون من القرن الثالث والرابع، والدلائل الرئيسة للمونوفيسية بعد الخلافات العقائدية مع كيرلس الاسكندري في القمة، الخطب الحفلية واقرارات العقيدة للبطاركة الأقباط والسريان. والمؤلفون اليعاقبة المذكورون آنفاً وأخيراً مجموعة من اللعنات.

وآخر شاهد هو البطريرك السادس والستون خراسطادلو المتوفى سنة ١٠٧٧.

انظر:

Georg Graf, Unechte Zeugnisse römischer Päpste für den Monophysitismus im arabischens "Bekenntnis der Väter', in Röm. Quartaschr. t. 36 (1929), pp. 197 – 233; Zwei dogmatische Florilegien der Kopten.B., in Orientalia christ. per. t. 3 (1937), pp. 345 – 402.

جراف جـ ٢، ص ٣٢٣

كيرلس الثاني

البطريرك السابع والستون (١٠٧٨ - ١٠٩٢) بشخصية مُؤنسة، ذات نزعة تقشفية قويّة، وافرة التقوى والحماس بالنسبة لتحسين رفع المستوى الروحي للاكليروس والشعب كنتيجة

لمصالحته مع بعض مطارنته، بعد فترة من التوتّر، أصدر في سنة ١٠٨٦، نشرة رعوية، تضمنت ٣٤ «قانوناً» منصبة بالأكثر على الواجبات الرعوية التي يجب ان يتحلى بها المطارنة.

أما النصائح والتعليمات التي وردت فيها، فهي تتصل بإدارة ممتلكات الكنيسة، والخدمة الالهية، والغيرة على مؤسسات الكنيسة. وهو يشدد على واجب المطارنة لزيارة رعاياهم، ويطلب من الاكليروس أن يعيش حياةً أخلاقية لا تشوبها أية شائبة، وينظّم القضاء الكنسي والتراتيب الخاصة بالصيام. وأخيرا يتكلم عن الختان الذي يجب إلا يُجرى قبل التعميد.

والكتاب الرعوي الذي اصدره كيرلس الثاني أولا في مصر العليا أصبح فيما بعد جزءاً من النظام الكنسي العام، أسوة بالنشرات المتشابهة للبطاركة اللاحقين.

أنظر

O. H. E. Burmester, The Canons of Cyril 11, LXVII Patriarch of Alexandria in Muséon, t. 49 (1936), pp. 245 – 258.

(جـ) فلذس عوض، طريق الاصلاح المنشود القاهرة ١٩٢٠، ص ٣٧ - ٥٠.

جراف جـ ٢، ص

جبرائيل بن تريك

من عائلة مرموقة من مُلاّك مصر. كان اسمه عندما كان علمانياً أبا العلاء سعيد وقد مارس مدة طويلة وظيفة في الادارة الحكومية مثل ابيه. ولكن كان في نفس الوقت شماساً في كنيسة أبي سيفين St. Mercuire في مصر العتيقة. وبذل فيها نشاطاً رعوياً ملموساً.

وعندما بلغ سن ٤٧، رفع على كرمي القديس مرقس، وكُرِّس يوم ٣ فبراير ١١٣١. وقد بذل في كنف الادارية الفاطمية الواسعة الصدر جهوداً كبيرة لتجديد الكنيسة وتنظيم الطقوس. وفي ميدان القوانين الكنسية، أصدر البطريرك جبرائيل تعليمات رعوية خاصة بالخدمة الالهية ورفع مستوى سلوك الاكليروس والشعب وساهم في تكوين قانون مسيحي للإرث بجانب دستور ضخم للقوانين لم يصلنا.

O. H. E. Burmester, The Canons of Gabriel ibn Turaik LXX Patriarch of Alexandria (First Series), in Orientalia. Christ per. t. 1 (1935), pp. 5 – 45; Muséon t. 46 (1933), pp 43 – 54; The Laws of Inheritance of Gabriel ibn Turaik, in Orientalia christ. per. t. 1 (1935), pp. 315 – 327.

وقد ذكر أبو البركات مجموعة كبيرة من ٧٤ قانوناً لجبرائيل تريك خاصة بالحقوق الكنسية والمدنية مع ضميمة من «قوانين الملوك». ولكن لم يصلنا إلا فهرس المحتويات ذكرها أبو البركات انظر أيضاً فيما يخص طقوس الجمعة الحزينة:

O. H. E. Burmester, Le Lechionnaire de la Semaine Sainte, Texte copte in Patr. or. XXIV, t. 2 (1933), pp. 171 – 294.

جراف جـ ٢ ص ٣٢٧

مرقس الضرير بن موهوب ابن القنبر

يسميه ميخائيل الدمياطي في رسالته: أبو الفخر بن الشيخ بن البركات موهوب القنبر؛ وحسب أبي صالح اسمه: مرقس فخير بن القنبر.

أطلب أخباره في تاريخ الشيخ أبي صلح الأرمني (ص ١٢ - ٢٢، من طبعة Evelts)

هو سبب أزمة خطيرة مرّت بها الكنيسة القبطية في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي عندما حاول أن يدخل في الكنيسة إصلاحات طقسية ونظامية. فتصدى له أنصار القديم والتقليد ونشأت مجادلات حامية بينهم. ولم يصلنا تفاصيل هذه المجادلات إلا من خلال مقاوميه ولذا ليس من السهل الوقوف على حقيقة شخصيته.

حتى منذ دخوله في الرهبنة والكهنوت في أيام البطريرك يوحنس الخامس (١١٤٦ - ١١٦١) هاجمه أعداؤه مشككين في صحة رسامته. غير أنه قد ابدى منذ البدء حماساً كبيراً، مكللاً بالنجاح في عظاته التي تناول فيها تفسير الكتاب المقدس، وبخاصة الكتب الخمْسة الأولى من العهد القديم، وقد ترجمها إلى اللغة المصرية العاميّة. وكان من أنصار إعادة الاعتراف السري - وكان قد أهمل في الكنيسة القبطية،كما أنه شجّع المناولة المتكررّة حتى خارج القداس. وهناك إصلاحات أخرى مثل إلغاء الختان. والزواج بين أولاد الاخوة ونظام الصوم الخ.

ولما لم يجد بين أفراد طائفته التشجيع المنتظر، تحول نحو طائفة الملكيين وأخذ يعلّم مذهبهم الخاص بالطبيعتين في المسيح. وأخيرا انتمى رسمياً إلى طائفتهم. ولكن نشأت أيضاً خلافات مع رؤساء هذه الطائفة فأبعده البطريرك الى دير القصير بجنوب القاهرة حيث مكث فيه عشرين سنة. وتوفي في ١٨ فبراير سنة ١٢٠٨.

مؤلفاته:

١ - كتاب في الكلندر السنوي وحساب الفصح كتبه سنة ١١٩٣ م.
٢ - كتاب المعلم والتلميذ.
٣ - كتاب المجموع فيما إليه الرجوع.
٤ - تفسير التوراة (أي الخمس اصحاح الأولى من العهد القديم).

أنظر:

Georg Graf, Eine Reforversuch innerhalb der Koptischen Kirche im Zwölften Jahrhundert, Paderborn, 1923.

Charles Beaugé, Un Réformateur copte au XIIe siècle, in Revue des questions histroiques, t. 106 (1927), pp. 5-34.

G. Graf, Ein arabischer Pentateuchkommentar des 12. Jahrhunderts, in Biblica t. 23 (1942), pp. 113-138.

جراف، جـ ٢، ص ٣٣٣

ميخائيل مطران دمياط

في أواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر أول أسقف قبطي حمل لقب «مطران». كان مطراناً في زمن البطريرك مرقس بن زرعة (البطريرك الثالث والسبعون ١١٦٦ ـ ١١٨٩) والبطرك يؤنس بن أبي غالب (البطريرك الرابع والسبعون ١١٨٩ ـ ١٢١٦).

كان له جدال مع أحد كهنته، المصلح مرقس بن قنبر الضرير توفي في أوائل القرن الثالث عشر.

من مؤلفاته:

١ ـ رسالة إلى أحد علماء المسلمين.

٢ ـ مختصر القوانين الكنسية.

٣ ـ رسالة إلى أبي الفخر بن أبي البركات ابن كبر عند نزوعه إلى الملكيين.

٤ ـ ذكر له أبو البركات بن كبر في فهرسه كتاب «سماء البغية لمن طلب لنفسه الخلاص والنجاة يوم القصاص». في خمسة ابواب.

جراف، جـ ٢، ص ٣٣٦ ـ ٣٣٨

سِمْعان بن كليل بن مقارة الراهب من قرية ميكائيل بشو.

روى ترجمته أبو الطيب جرجس بن المكين المعروف بابن العميد في تاريخه قال: «... وكان سمعان كاتباً حاذقاً وتقلبت به الخدم فخدم بديوان الجيش في أيام الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب في سنة ٥٦٩ (١١٧٣) وتميّز عنده وأعطاه إقطاعاً في صجروان واستمر بديوان الجيش ثلاث سنين وترك الخدمة في الدولة العادلية وترهب بدير أبو بجنس القصير ببرية الأسقيط بوادي هبيب وحبس نفسه في صومعةٍ بناها في وسط الدير مدة تزيد عن ٣٠ سنة...» توفي في أوائل القرن الثالث عشر.

من الوجهة الأدبية، تتسم مؤلفاته بأسلوب راقٍ وكثيراً ما يستعمل السجع ولكن بدون تكلّف.

مؤلفاته:

١ ـ له كتاب جليل في السيرة الفاضلة يدعى «روضة الفريد وسلوة الوحيد» في ١٢ باباً: الأول في خلقة الانسان وغايته والثاني في الايمان بالله، والثالث في التقوى. ثم أبواب الصلاة والصوم والصبر والمحبّة والعفّة والتواضع والصفح والقناعة وآخرها الارتياض بالسنن العادلة.

وقد طبع الكتاب في القاهرة سنة ١٦٠٢ للشهداء (١٨٨٤ م) اطلب المشرق جـ ٩ (١٩٠٦) ص ٧١٦.

Samir Khalil, Le "livre des moeurs bienheureuses", retrouvé,
in Orientalia Christiana Per., t. 43 (Rome, 1977), pp. (135 – 160).

٢ ـ مقالة في وحدانية الباري تعالى وتثليث أقانيمه، نشرها الأب سباط في المجموعة، عشرون مقالة.. ص ١٠٣ ـ ١١١ وتنقسم المقالة الى قسمين:

في القسم الأول يقيم البرهان الفلسفي على وجود التثليث. فهو يميز بين الصفات الجوهرية الذاتية والصفات المشتقة أو المضافة. والثلاثة أقانيم هي: موجود، حي وناطق (ص ١٠٣ ـ ١٠٦).

هذه الأقانيم الثلاثة متفقة في الجوهرية، مختلفة في الأقنومية (ص ١٠٦ ـ ١٠٧). ثم يفسر معنى المثل: المثل ليس هو كالمماثل (ص ١٠٦ ـ ١٠٧).

وفي القسم الثاني يبين الاتفاق بين التثليث الفلسفي والتثليث الوارد في الكتاب المقدس: موجود: الأب، الحيّ: الروح القدس، الناطق: الابن.

وفي النهاية يبين ان الولادة في الثالوث هي ولادة لطيفة من غير مباضعة ولا تناسل، ولا تقدم ولا تأخر، بغير زمان ولا انفصال ولا افتراق ولا اعتزال بين الوالد والمولود.

جراف جـ ٢ ص ٣٣٨

أبو صالح (صُلْح) الأرمني

ويقال أبو الصالح الشيخ. كان في القرن الثاني عشر للمسيح وهو صاحب تاريخ يعرف باسمه: «تاريخ الشيخ أبي صلح الأرمني» وصف فيه أخبار نصارى مصر في زمانه مع وصف أديرتهم وبيعهم، وممتلكات الكنيسة القبطية، وحركة الاصلاح التي قام بها مرقس ابن القنبر، وتاريخ مصر القديم وتاريخ القاهرة، وله استطرادات يصف فيها حياة القديسين. ويوجد في القسم الأخير بيانات عن جغرافية النوبة والحبشة، وجزيرة العرب والهند.

طبع الكتاب في أوكسفورد سنة ١٨٩٥ بهمة المستشرق افتس مع ترجمته الى الانجليزية وتعليق حواش وفهارس واسعة.

B. T. A. Evetts, The Churches and Monasteries of Egypt and some Neighbouring Countries attributed to Abu Salih the Armenian, Oxford

النص العربي سنة ١٨٩٤ والترجمة الانجليزية سنة ١٨٩٥.

وقد استخلص منه الأب فيليب غرّا البيانات الخاصة بالملكيين في مصر في القرن الثاني عشر، أنظر: المسرّة، جـ ١٧ (١٩٣١) ص ٢٤ ـ ٣١، ٧٨ ـ ٩٣.

جراف جـ ٢، ص ٣٤٤

أبو ياسر بن أبي سعد بن القسطال

كاهن قبطي توفي في ١٢٠٤/٧/٣١. سيرتـه وردت في تاريخ ابي صالـح الأرمني وتـاريخ البطاركة. مارس نشاطه الرعوي بجانب طرا، من ضواحي القاهرة في القرن الثاني عشر. وقد أراد نوعا من التجديد فطالب بمنع الختان، وبالسماح للخطيب أن يرى خطيبته قبل الزواج. توفي في طرا.

وقـد ترك مقالـة صغيرة للدفاع عن المسيحية رداً على بعض الاعتراضـات من قبـل الفقهـاء المسلمين. ولا يوجد منها إلا مخطوط واحد في باريس.

وهو يجيب أولاً عن سؤ ال من طرف مسيحي سأله: «أيجب أن نقبل الشرائع بالايمان أم بالمعقول أم بكليهما. فيجيب بالايمان فقط.

ثم يحاول الرد على سؤ ال آخر: «أيجب لفقيه شريعة من الشرائع الثلاث الموجودة الآن أن يذكر شريعة ويفضلها على غيرها من غير أن يعلم ما ذكرته الشريعتان اللتان ليستا له؟». فيجيب طبعاً لا. فاذا ادعى فقيه الملّة المالكة لهذه الديار انه يعرف الشرائع الأخرى فيسـأل: من أين استقى معرفته؟ هل من علماء هذه الشرائع؟ هذا غير ممكن لأنهم مشتتون في العالم ويتكلمون لغاتٍ شتّى. فإذاً لا يستقي معرفته الا عما هو مكتوب في شريعته.

ويذكر المؤلف الآيات القرآنية (٥، ٦٤، ١، ٧، ٥، ٧٢، ٣٠، ٤، ١٥٧، ٥، ١١٦) ويحاول اثبات العقيدة المسيحية الخاصة بالتجسد والصلب والتثليث.

جراف، جـ ٢، ص ٣٤٤ ـ ٣٤٨

الرشيد أبو الخير بن الطيب

قس وطبيب من القرن الثالث عشر الميلادي. وكان، على ما يظهر، لمدة ما، في خدمة الوزير تقي الدين عمر، أيام السلطان عثمان صلاح الدين (١١٩٣ ـ ١١٩٨) وهو يذكره في مقدمة أحد كتبه. ويقول اسحاق بن العسال انه كان أحد معاونيه في تأليف كتابه.

مؤلفاته:

١ ـ جلاء العقول في علم الأصول الملقب بكشف الأسرار الخفية في أسباب المسيحية. ويسمى أيضاً ترياق العقول في علم الأصول. قسمه الى جملتين تحتوي الجملة الأولى ٢٤ فصلاً في المعتقدات النصرانية: الثالوث الأقدس، سر التجسد، تعاليم الديانات السابقة للمسيحية فيما يخص الله؛ وثنية الفلاسفة، ثانوية الزردشتية؛ الشرك؛ البعث؛ إكرام الصور، التعميد، القربان المقدس.

والجملة الثانية في خمسة فصول في الفرائض.

انظر:

Michel Khouzam, L'illumination des intelligences dans la science des fondements. Synthèse de l'enseignement de la théologie copte – arabe sur la Révélation chrétienne aux XIIIe et XIV e siècles d'après les écrits d'Abu 'l – Khair ibn at – Tayyib et Abu'l – Barakat Ibn Kabar. Avec Préface de S. E. le Cardinal Tisserant, Rome 1941, pp. 17 – 32.

من مصادر أبو الخير: كتاب «المحصّل» لفخر الدين الرازي، «والرد الجميل» للغزالي. واشعار من يحيى بن عدي برهانه على وجود الله كما انه يذكر كتاب غريب التسمية والمضمون «استمخيس» وهو على ما يظهر كتاب في الهرمسية ولعله هو ما يسميه حاج خليفة «كنز الاسرار». ويذكر أيضاً الفلاحة النبطيّة لابن وحشية، وكتاب في صور درج الفلك... ولعل أبا الخير وجد كثيرا من هذه المعلومات في كتاب ابن ميمون المسمى «دلالة الحائرين». وهذه نبذة من الفصل الأول حيث يقر صفات الله ونسبتها للاقانيم: النصارى يقولون إن الباري تعالى واحدٌ، بسيط روحاني، حيّ، ناطق، مختار، واجب الوجود لذاته، موصوف بصفات الكمال.

وانه يوصف بثلاثة أوصاف شرعية وهي الأب والابن والروح القدس، ويشيرون باسم الباري تقدست اسماؤه إلى موجود هو جوهر حكيم، قادر، أزلي، علة وجود كل موجود.

ويشيرون باسم الواحد إلى انه واحد بذاته في الموضوع لا يتكثر من حيث هو ذلك الواحد. ويقولون إنه بسيط بمعنى الذي لا تركيب في ذاته. وانه روحاني بمعنى القدوس، الطاهر، المجرد من المادة، وانه حي، ناطق بمعاني تناسبه، تعالى لا بالقوى والآلات كما للبشر. وانه واجب الوجود لذاته بمعنى الذي لا يتوقف وجوده على وجود غيره وانه الموجد لجميع ما سواه وانه متعالٍ عن قبول العدم.

وأما وصفه بصفات الكمال فيقولون إنه فوق التام والكمال لقصر العقول البشرية على ان تجد له أوصافاً تناسبه تعالى. ويقولون مستدلين بوجود آثاره انه الخير المطلق، والجواد المطلق، والحكيم المطلق، والقادر المطلق ليس بجسم، ولا جسماني ولا قوة في جسم. لا تصح عليه الثقلة. ولا تمتد نحوه الاشارة.

ليس له شريك في ملكه ولا مشير في فعله تعالى وتعاظم علواً كثيراً.

واما وصفه بالأوصاف الشرعية فامتثالاً لما ورد في الانجيل المجيد من قوله للرسل.. امضوا وتلمذوا الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس.. ويشيرون باسم الآب الى الجوهر الذي سموه الباري موصوفاً بصفة الوجود. وباسم الابن الى الجوهر المذكور باعتبار كونه عالماً. وباسم الروح القدس إلى الجوهر المذكور من حيث كونه قادراً...

.. وأما قولهم انه جوهر فبمعنى القائم بذاته الغني عن المحل لا الذي يشغل الاحياز ويقبل الأعراض كالجواهر الجسمانية.

. . . وأما وصفه بالوحدانية فبأدلة شرعية وعقلية. أما الشرعية فقسمان: ما ورد شريعة موسى وما ورد شريعة المسيح . . . والبرهان العقلي من أن كل الموجودات سواه متحركة. . . وانها في غاية الإحكام والاتقان والمطابقة لما خلقت له (عند رؤية ذلك) حكمت العقول السليمة ان خالقها واحد حكيم قادر لا يمكن ان يكون أكثر من واحد.

٢ ـ خلاصة معتقد الملة المسيحية والرد على طائفتي الاسلام واليهودية من موضوعاتهم وأصل مذاهبهم.

يذكر أبو الخير شهادات الاباء تثبيتاً لأقواله، ويأخذ هذه الشواهد من كتاب «اعتراف الآباء». انظر مقتطفات من كتاب الخلاصة في كتاب الأب خوزام ص ١٣٧ ـ ١٥٣ وقد نقلها إلى الفرنسية.

٣ ـ البيان الأظهر في الردّ على من يقول بالقضاء والقدر وقد نشرها الأب ميخائيل خزام في مجلة الصلاح (القاهرة) سنة ١٩٣٨، ص ٧٦ و ١٣١ و ٣٢٣. ولخصها في كتابه (بالفرنسية ص ١١٥ ـ ١٣٣. وهذه النتيجة التي وصل إليها:

وبالجملة فبديهة العقول تشهد ان الانسان لولا يكون مريداً مختاراً مطلق الفعل بعد الروية والالكان جماداً أو حيواناً غير ناطق وكما انه لا يصح أمر الجماد ولا نهيه وكذلك الحيوان غير الناطق وكذلك الانسان ما لم يكن مريداً مختاراً لا يصح أمره ولا نهيه والا لكان أمره ونهيه هزراً وعبثاً اذ قد ثبت باجماع الشرائع أمره ونهيه ووعده بالجميل على الطاعة وبالعقاب على المعصية لزم ان يكون عاقلاً مريداً مختاراً مقصوراً ولا مجبوراً.

وهذا ما أردنا ان نبينّ ولواهب الفهم الشكر دائماً. ثم نقول أيضاً لا يخلو ما شهدت الأسفار الشرعية وحكمت به القوانين العقلية من عقاب أرباب الرذائل على ما فعلوا، ومن ارتكاب المحارم ان يكون حقاً أو لا يكون. فان كان الأول قلنا ولا يخلو ذلك العقاب ان يكون متوجهاً على الفاعل بالطبع او على الفاعل باختيار. فان كان الثاني قلنا: فالانسان في حال صدور الرذائل عنه ان يكون مختاراً أو لا يكون فان كان مختاراً فقد ثبت صدور ذلك الفعل عنه بذاته «واختياره» ووجب العقاب عليه حقاً وان كان مطبوعاً على فعله فعقابه عليه (ليأ) وجَوْراً..

جراف جـ ٢ ص ٣٥١

بطرس السدمنتي

راهب قبطي من أصل أرمني، عاش في دير مارجرجس في سدمنت في الفيوم معاصر بولس البوشي. احدى مقالاته مؤرخة سنة ١٢٦٠.

ويوجد من مؤلفاته:

١ ـ رسالة في تفسير الانجيل ما هو، وكيف هو وأقسامه، والبراهين الدالة عليه وأيّة ضرورة أدّت إليه.

٢ ـ مقالة في تقسيم تدابير المسيح من حين حُبل به إلى حين صعوده إلى السماء قسمه الى سبعة

أقسام: أ ـ الاقتداري (آيات المسيح) ب ـ الطبيعي (موته) جـ ـ الناموسي (ختانته) د ـ السياسي (نزوله إلى مصر). ثم ٥ ـ ٧ التدبيري والتعليمي والنسخي.

٣ ـ مقالات لاهوتية كتبت سنة ٩٧٦ للشهداء (١٢٦٠ م).
٤ ـ كتاب تصحيح الاعتقاد في آلام سيدنا يسوع المسيح وبيان الحق فيه على الوجه الصحيح.
٥ ـ مقالات في تراجم القديسين والدفاع عن الدين.
٦ ـ مختصر في تهذيب النفس.
٧ ـ أرجوزة في الاعتقاد طبعت في ملحق لكتاب البرهان السديد في التثليث والتوحيد، القاهرة ١٨٨٤، وفي كتاب القوانين، لمرقس جرجس، القاهرة ١٩٢٧.

A. Sidarous, Un exegète copte – arabe du VII–XII siècle,
Butrus al – Sadamanti et son traité sur l'Herméneutique, in
Bibl. Or. t. 35, No 1 – 2 (1978), pp. 21 – 25.

جراف جـ ٢ ص ٣٥٦ ـ ٣٦٠

بطرس البوشي

الأنبا بولس مطران مصر. اشتهر في أواسط القرن الثالث عشر على عهد البطريرك كيرلّس بن لقلق وحضر مجادلته عند الملك الكامل ابن العادل بن أيوب. فقد ورد في نسخة في دير السريان ما يلي:

«وعقدوا له (أي للبطريرك كيرلس بن لقلق) مجلس مع القس بولس البوشي بحضور أنبا نيقولا البطريرك للملكية بين يدي الملك الكامل بالقلعة بحضور جماعة كبيرة من فقهاء المسلمين وعلمائهم. ورجحه السلطان في العلم وشكر تعليله المسائل التي أوردها السلطان والفقهاء وغيرهم عليه».

كان خطيباً بليغاً.

مؤلفاته:

١ ـ سبعة ميامير (عظات) على الأعياد المريمية.
٢ ـ ميامير متفرقة في عيد البشارة في ميلاد المسيح وفي معرفة الاله المتجسد من القياس العقلي وفي معمودية الرب. وفي قيامته، وفي صعوده، وفي حلول الروح القدس.
٣ ـ تفسير كتاب الرؤيا.
٤ ـ كتاب العلوم الروحانية.

أنظر مقالة الأب العلامة مويزر Muyser في كتاب «صورة من تاريخ القبط»، القاهرة ١٩٥٢ ص ٢١١ ـ ٢٦٤.

جراف جـ ٢ ص ٣٧٠

كيرلس بن لَقْلَق (١٢٣٥ ـ ١٢٤٢)

البطريرك الخامس والسبعون، أصله من الفيوم. وعندما رسم كاهناً أخذ اسم «داود بن يحنا». واختير بطريركاً سنة ١٢٣٥. وقد سبب انتخابه مقاومة شديدة من بعض أعدائه واتهموه

بالشرطونية (السيمونية) أي فرض مبلغ من المال للحصول على رتب روحية أو رخص دينية وقد علّل الأستاذ بورمستير والاستاذ خاطر هذه العادة السيئة عند بعض البطاركة في القرون الوسطى على الوجه الاتي:

وأما بالنسبة لبطاركة الكنيسة القبطية في هذه الفترة، فقد كانت لهم بعض الظروف المخففة حينما لجأوا الى مزاولة هذه المذمة وكان من الضروري أن تردّ المبالغ الطائلة التي كانت تدفع عادةً للسلطان للحصول على موافقته لرسامة البطريرك، كما أنه من الضروري أن يوجد مبلغ كبير مخزون لسداد المبالغ الفادحة التي كثيراً ما كانت تطلب من البطريرك أو من المسيحيين لأن الفشل في دفع هذه المبالغ كثيراً ما يستلزم الحبس للبطريرك ويجرّ الاضطهادات على الشعب »(ص ـ من تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية المجلد الرابع، القاهرة، ١٩٧٤)».

مؤلفاته:

١ ـ كتاب الاعتراف وقد سمي أيضاً بكتاب المعلم والتلميذ. وقد قدّم له العالم الأسعد أبو الفرج هبة الله بن العسّال، وهو كان معاصره.
٢ ـ كتاب في الفرائض الكنسية في ٢٠ فصلاً.
٣ ـ كتاب الرؤوس (أنظر التفاصيل عند جراف جـ٢ ص ٣٦٧).
٤ ـ أجوبة عن سؤالات عرضها عليه المسمى خراسطادلو.
٥ ـ كتاب قوانين.
٦ ـ «مجادلة مع جماعة من المسلمين بمجلس الملك الكامل بن العادل بن أيوب حضر فيها القسّ بولس البوشي».

جراف جـ٢ ص٣٦٩

يوساف، مطران فوا: ابن المحّبرْك

كان أولاً راهباً في دير يوحنا في وادي النطرون ثم رئيسا له. وقد عمل مع البطريرك ابن لقلق الذي عينه مطراناً لمدينة فوا. وبعد وفاة البطريرك كتب يوساف سيرته مطولاً مشيرا الى فضائله وأخطائه وكثيرا ما يبدي ملاحظات على المخطوطات والأدب الكنسي وهذا دليل على سعة اطلاعه وعلمه.

من بين أعماله، مراجعة ترجمة مواعظ جريجوريوس اللاهوتي.

جراف جـ ٢ ص ٣٧١

يونس يوحنا السمنّودي (يونس اسقف سمنود)

قبل ترهبه كان اسمه الأسعد بن الدُهَيْري. وسنة ١٢٣٥ رسمه البطرك كيرلس مطراناً. أعظم نشاطه كان منصباً على تسهيل فهم اللغة القبطية. ولقد أشاد بعمله أبو اسحاق بن العسّال في مقدمة قاموسه.

مؤلفاته:

١ ـ مقدمة السلّم يعطي فيه المؤلف مبادىء اللغة القبطية من حيث النحو والصرف.
٢ ـ السلم الكنائسي. يعطي فيه المؤلف الترجمة العربية لأهم مصطلحات الكتاب المقدس. وقد ترجم هذا الكتاب الى اللاتينية والى الايطالية.

Athanasius Kircher, Lingua aegyptiaca restituta,
Opus tripartitum,Romae 1643.
Henri Munier, La Scala 14 de la Bibliothèque Nationale
de Paris, Le Caire, 1930.

٣ ـ اخبار الشهداء الذين قتلوا في مدينة سمنود.

٤ ـ نور المحاسن.

Kano 371
H 223 – 284

جراف، جـ ٢ ص ١٢٧ ــ ١٢٨

يوحنا بن مينا

مؤلف غير معروف ولكن يدل اسم ابيــه على انه قبطي وهو سابق لسنه ٦٤٧/ ١٢٤٩ وهو تاريخ المخطوط الذي كان في حوزة الأب سباط (انظر عشرون مقالة، ص١٨٦ ـ ٢٠٠).

وهو شارح رسالة لحنين بن اسحاق، عنوانها: مقالة في كيفية ادراك حقيقة الديانة. ليس لهذا الشرح عنواناً ولكنه يبدأ كما يلي:

«ثم اضاف اليها (اي الى المقالة) يوحنا بن مينا اضافة جمعها من كتب العلماء بالشريعة المسيحية، قال».

وقد لخص هذه المقالة ابو البركات بن كبر في كتابه مصباح الظلمة في ايضاح الخدمة (طبعة سمير خليل ص ٢٧٦ ــ ٢٨٠). لم يذكر ابو البركات اسم المؤلف بل يكتفي بالقول: مقالة في كيفية صحة الديانة، من كلام حنين بن اسحاق وغيره.

تحوي المقالة مقدمة وأربعة أجزاء وفي المقدمة يشرح ابن مينا لماذا كتب مقالته فهو خشي ان تقع رسالة حنين بين ايدي اناس لا يدركون مدى البراهين. فأراد أن يبين الأسباب الأربعة لتقوم برهاناً على صحة الديانة المسيحية.

السبب الأول: في ان يرى القابل آيات ومعجزات تعجز عنها طاقة الانسان.

السبب الثاني: ان يكون ظاهر ما يدعو اليه الداعي دليلاً شاهداً على حقيقة ما خفي عنه.

السبب الثالث: في البرهان المضطر الى قبوله.

السبب الرابع: في ان يكون آخر الأمر موافقاً لأوّله وأن يكون فيما يحدث بعد صحة ما قد سلف مّما لا يشك فيه.

جراف، جـ ٢، ص ٣٧٥

الوجيه يوحنا القليوبي

يوحنا بن ميخائيل بن صدقة القليوبي من كتبة القرن الثالث عشر. كان وثيق الصلة مع ابي اسحاق بن العسال وكانا يتعاونان في البحث والتأليف. وقد نزل عند رغبة صديقه ابن العسال فألف كتاباً سماه «الكفاية» في النحو والصرف في اللغة القبطية. وسلك في عمله منهجاً علمياً اكثر ترابطاً بأقسامه منه في سابقه يوحنا السمنودي.

مؤلفاته:

١ ـ الكفاية

انظر:

A. Mallon, Catalogue des scalas coptes de la Bibliothèque Nationale, in Mélanges de la Faculté Orientale I (Beyrouth 1906), PP. 126 — 129.

٢ ـ ترجمة جميع رسائل القديس بولس الرسول من القبطية الى العربية. وقد اوضح في المقدمة طريقة عمله وأعطى لكل رسالة الجواب على الثمان الاسئلة الكلاسيكية الخاصة بالرسائل: الاسم، المصدر، المناسبة، القصد، الفائدة، المحتوى، Chranschen اقسامها.

٣ ـ تفسير رسالة بولس الى اهل روميا.

٤ ـ خطب.

٥ ـ كتاب الناموس.

جراف، جـ ٢، ص ٣٧٨

ابن الدهَيْري الشيخ الثقة (ويروى التقا)

مطران دمياط، كان في اواسط القرن الثالث عشر له في العربية كتاب في اصول اللغة القبطيّة وقد اوضح المؤلف نفسه سبب تأليف هذا الكتاب: ان ابا اسحاق بن العسّال، عندما قدم له قاموسه طلب منه صورة من كتاب النحو لوجيه القليوبي بعد تكميله وتنقيح ما يوجد فيه من اخطاء وقد لفت نظره ايضاً الى كتاب النحو لابن كاتب قيصر. وقد لاحظ ابن الدهيري ان كلا سابقيه قد اعتمد على كتاب النحو للسمنودي. فألف ابن الدهيري، منقحاً اخطاء سابقيه ومكملاً اياهما.

جراف جـ ٢ ص ٣٧٩

ابن كاتب قيصر

هو عَلَم الرئاسة ابو اسحاق ابراهيم بن ابي الثناء بن صفي الدولة ابي الفضائل كاتب قيصر. عاش في اواسط القرن الثالث عشر.

مؤلفاته :

١ ـ كتاب النصيرة في اصول اللغة القبطية .

انظر:

A. Mallon, Mélanges de la Faculté Orientale, 1 (1906), PPØ 125 et sq; 11 (1907), pp. 221.

وقد ترجمه الى اللاتينية Athanasius Kircher

٢ ـ شرح كبير لكتاب الرؤيا (انظر جراف جـ ٢ ، ص ٣٨٠ ـ ٣٨٤) وقد نشره لأول مرة فرنسيس ميخائيل ، كتاب شرح الرؤيا لابن كاتب قيصر الشهير، القاهرة ١٨٩٨ ، وقد ذكر الناشر ان البعض يظن ان هذا الشرح لأحد أولاد العسال .

وطبعة اخرى احدث : ارمانيوس حبشي شتا البرماوي ، تفسر رؤيا القديس يوحنا اللاهوتي لابن كاتب قيصر، القاهرة ١٩٣٩ .

٣ ـ شرح كامل لرسائل بولس الرسول ، طبع بعض اجزائه في مصر .

جراف جـ ٢ ص ٣٨٧

شيخو ص ١١ ـ ١٢

أولاد العَسّال

بنو العسّال ثلاثة اخوة : المؤتمن والصفيّ والأسعد اشتهروا كلهم بالآداب والتصنيف في القرن الثالث عشر للميلاد . وكان اصلهم من مدينة سدمنت في الفيّوم من اسرة القس بطرس السدمنتي . انتقلوا الى مصر ودخلوا في دواوين الدولة المصرية على عهد المماليك .

وكان ينتمي الوالد يوحنا بن العسّال الكاتب المصري إلى عائلة من اعيان مصر . وكان لهم اثر طيب في الدولة وفي ادارة الكنيسة . وقد عين البطريرك الصفيّ مستشاره القانون ورئيس المراسيم .

ويرجع اثرهم الكبير الى غزارة علمهم في شتى الميادين وقد كانوا بنشاطهم المتواصل عنصراً فعّالاً في إحداث نهضة علمية وأدبية .

جراف ، جـ ٢ ص ٤٠٣ ـ ٤٠٧

الأسعد أبو الفرج هبة الله ابن العسّال

أكبر أبناء العسّال من الممكن أن يكون قد مكث مع أخيه الصغير المؤتمن مدة في دمشق واغتنم هذه الفرصة ليزيد معارفه ويجمع المعلومات والكتب . وقد اشتهرت مكتبته بين العلماء لما كانت تجمع من كتب عديدة في شتى المواضيع . وفترة نشاطه العلمي تتراوح فيما بين ١٢٣١ و١٢٥٣ . ولعله توفي سنة ١٢٦٠ .

مؤلفاته :

١ - رسالة في النفس، ألفها سنة ١٢٣١. وليست هذه الرسالة مهمة من حيث البيانات العامة الخاصة بعلم النفس، بل لانها تطلعنا على تصورات الاوساط المسيحية القبطية فيما يخص الاخرويات فهي تتناول ماهية النفس، وخلودها وحالتها بعد الموت. ويدحض الأسعد مزاعم منكري الخلود، ويستشهد باقوال اليعقوبي فرح بن جرجس بن أفريم، والملكي عبد الله بن الفضل والنسطوري ابن الطيّب انظر:

G. Graf in Orientalia N. S. t. 9 (1940), pp. 374 – 397

٢ - «مقدمة» وهو كتاب في النحو القبطي، نقح فيه وكمل كتاب يوحنا السمنودي. وقد عالج اللهجة الصعيدية واللهجة البحيرية معاً.

٣ - ارجوزة في نظام الارث في الكنيسة القبطية. وقد نشرها فيلوكلوس عوض ملحقا لنشرة قوانين الصافي ص ٤٥ - ٥٢. مقتطفات منها في شيخو شعراء المسيحية ص ٣٥٩ - ٣٦٢.

٤ - مختصر حساب الأبقطيات. في ١٥ فصلاً يشير المؤلف إلى طريقة تحديد تواريخ الأعياد المسيحية في مختلف الطوائف المسيحية.

٥ - في عمله في تحديد النص العربي للاناجيل انظر جراف جـ ١، ص ١٦٢.

جراف، جـ ٢، ص ٣٩٨ - ٤٠٣

شيخو، ص ١٢

الصفّي أبو الفضائل ابن العسّال

هو الأخ الثاني لاولاد العسّال. ابتدأ عمله العلمي سنة ١٢٣٥ وتوفي سنة ١٢٦٠ وكان عمله الاساسي الدفاع عن العقيدة المسيحية وتوضيحها كما أنه اهتم بجمع وشرح قوانين الكنيسة القبطية. وبجانب هذا كان يعظ عظات باسلوب مسجّع او شعري. وقد ساعد أخاه أبا اسحق المؤتمن بترجمة عدد كبير من المؤلفات اليونانية. وقد قام بتلخيص بعض التعاليم الدينية. وتدل أعماله المختلفة على معرفته العميقة للمصطلحات الفلسفية وقدرته على استعمالها لتوضيح العقيدة المسيحية. واسلوب الصفي أسلوب فصيح وذو طابع علمي مرموق. وفي مؤلفاته اللاهوتية تتجنب اللجوء الى الاسلوب الشعبي.

مؤلفاته :

١ - كتاب الصحائح في الردّ على النصائح، ويروى الصحاح في جواب النصاح، وهو ردّ على أحد المسلمين قد يكون بهاء الدين أبا القاسم المعروف بابن سيّد الكلّ المتوفى سنة ٦٩٧هـ.
يشير في الفصل الاول الى موضوع الكتاب والمصادر التي استند عليها. مؤلفات يحيى بن عادي، بخاصة رده على أبي عيسى الورّاق وابراهيم بن العون، وأبو الفرج عبد الله بن الطيّب. القديس يوحنا فم الذهب، وقد ألف هذا الكتاب تلبية للبطرك كيرلّس بن لقلق.

ولهذا الكتاب ضميمة عنوانها: نهج السبيل في تخجيل محرف الانجيل رداً لأبي البقاء صالح بن الحسين الجعفري. انظر جرجس فيلوطاوس، المجموع الصفوي.

٢ ـ كتاب يرد فيه على «اللمع المضيئة لمنصور بن فهمي الدمياطي. وهو على شكل حوارٍ بين فقيه يثير الاعتراضات ومجيب يجيب عليها (تحليل هذا الكتاب عند جراف جـ ٢ ص ٣٩٤).

٣ ـ فصول مختصرة في التثليث والاتحاد انتهى منه سنة ١٢٤٢ وقد اعطى شذرات منه الأب سباط في كتابه Vingt traités ص ١١١ ـ ١٢٢.

٤ ـ كتاب خطب وعظات مسجّعة، ويراد بها حلول محلّ تراجم البطريرك النسطوري إلياس الثالث أبي حليم الخديثي انظر ميخائيل الشَبَلنجي، كتاب خطب الشيخ الصفي بن العسّال. وحبيب جرجس، الجوهرة النفيسة في خطب الكنيسة، القاهرة ١٩١٤.

٥ ـ الكتاب الاوسط.

وهو دفاع عن ألوهية المسيح رداً على الأنباري الناشيء المتوفى في مصر سنة ٩٠٦م في كتابه المقالات ويبني هذا الدفاع على شهادة المسيح نفسه. ومعجزاته ومعجزات تلاميذه. وهو يوضح لماذا يستعمل اللاهوتيون اصطلاحات فلسفية. وفي قسم جدلي يفسر كيفية الاتحاد وصلته بسر الثالوث الأقدس. وهو يعطي قائمة طويلة للفرق والنحل.

واليك بعض المواضيع التي عرض لها: عدم قدم العالم، وحدة الله والثالوث الأقدس بالنسبة للخلق، صفات الله. فعل الله بالنسبة للعالم وللانسان؛ مشكلة حرية الانسان وخلاصة ومسؤولية الحقيقة في الله وفي الانسان. العلم عند الانسان . موقف الفلسفة من الطب وعلم الهيئة.

٦ ـ صاحب فضائح المفترضة في فضائح الرفضة (ذكره كشف الظنون للحاج خليفة ٦: ٣٤٧) فيه نسخة في مكتبة اليعاقبة في القدس وفي مكتبة بوغوس بك قابس في مصر.

٧ ـ كتاب الايضاح على كتاب الصحاح. وهو تابع الكتاب السابق في المكتبتين عينهما.

٨ ـ كتاب نهج السبيل في الردّ على من قدح في الانجيل لعله اراد كتاب ابن تيمية: تخجيل من حرّف الانجيل. هو في المكتبتين السابق ذكرهما. اطلب المشرق جـ ٩ (١٩٠٦) ص ٧٥٩ ـ ٧٦٠.

٩ ـ كتاب القوانين.

وهي مجموعة القوانين الكنسية للأحكام الشرعية المسيحية. وهو يقول في المقدمة: «هذا الكتاب مجموع من الكتب الالهية والقوانين البيعية. وما فرعه العقل عليها وردّه القياس إليها. . . وانتخبت من موضوعات وضعها مَنْ له في التصنيف خبرةٌ وتحقيق واعتياد». وقد ذكر فيها قوانين المجامع المقدسة والرؤساء القديسين العلماء مثل بوليدس بطريرك رومه وباسيليوس اسقف قيسرية ومن يجري مجراهما من بطاركة الاسكندرية ثم يقول: «اعلم ان هذا الكتاب يشتمل على مقدمة وجملتين (جزئين). والمقدمة تشتمل على فصلين. الأول ما تقدم والثاني ذكر الكتب والقوانين المجموع منها هذا الكتاب اما الكتب الالهية فالانجيل علامته حرف ج والابركسيس والكاثوليكون اسماء واضعي القول ورسائل بولس باسم البلد او الشخص الذي كتبت له الرسالة او بعض الاسم. . .

وأما كتب القوانين فالأول القوانين التي وضعها الرسل . . . والثاني القوانين التي وضعها الرسل أيضاً وارسلوها على يد أكليمندس تلميذ بطرس . . . وأخرجها الى العربية الملكية والنسطورية . والثالث الكتاب المعروف عند القبط بالدسقلية اي التعليم . . . . والرابع رسالة بطرس الى اكليمندس . والخامس قوانين اول مجمع اجتمع بعد الرسل بمدينة انقرا . والسادس قوانين المجمع الثاني بقرطجنة . والسابع قوانين المجمع الثالث بعنجرا (غنغرا) ؛ والثامن قوانين المجمع الرابع بانطاكية . والتاسع . . . مجمع نيقية في سنة ٣٢٥ . . . والعاشر مجمع اللاذقية . . والحادي عشر . . . مجمع سرديقيا من بلاد الروم . . . والثاني عشر قوانين بوليدس بطريرك رومية . . والثالث عشر قوانين القديس باسيليوس اسقف قيسارية . . والرابع عشر . . . قوانين الملوك .

وأما الجزء الأول فيشتمل على ٢٢ باباً للكهنة وفرائض العبادة وهي :

١ ـ في الكنيسة وما يتعلق بها ٢ ـ الكتب : الأصول المقبولة ٣ ـ التعميد والداخلين إلى الايمان ٤ ـ البطاركة ٥ ـ الاساقفة ٦ ـ القسوس ٧ ـ الشمامسة ٨ ـ باقي خدام البيعة ٩ ـ الكهنة جملة ١٠ ـ الرهبان والراهبات والأرامل ١١ ـ آداب ووصايا العلمانيين ١٢ ـ القداس ١٣ ـ القربان ١٤ ـ الصلاة ١٥ ـ الصوم ١٦ ـ الصدقة ١٧ ـ متولي الصدقات ١٨ ـ العشور والبكور والنذور والأوقاف ١٩ ـ الآحاد والأعياد ٢٠ ـ في الشهداء والمعترفين والجاحدين ٢١ ـ المرضى ٢٢ ـ الأموات .

والجملة الثانية في الأمور العالمية والسياسية :

٢٣ ـ في المآكل والملابس والمنازل والصنائع ٢٤ ـ الخطبة والأملاك والزيجة ٢٥ ـ تحريم التسري ٢٦ ـ الهبة ٢٧ ـ القرض والرهن والضمان والكفالة ٢٨ ـ العارية ٢٩ ـ الوديعة ٣٠ ـ الوكالة ٣١ ـ الحرية والعبودية والعتق ٣٢ ـ الحجر ٣٣ ـ المبايعات وما يتبعها ٣٤ ـ في الشركة ٣٥ ـ الاكراه والغصب ٣٦ ـ الاجارات والحكور ٣٧ ـ الأبنية وما يتبعها ٣٨ ـ القراض ٣٩ ـ الاقرار ٤٠ ـ ما يوجد ضائعاً ٤١ ـ الوصية بالمال ٤٢ ـ المواريث ٤٣ ـ الحاكم وما معه ٤٤ ـ في الملوك ٤٥ ـ العتيقة والحديثة ٤٦ ـ عقوبات الكفر ٤٧ ـ القتل ٤٨ ـ قصاص الزنا ٤٩ ـ قصاص السرقة ٥٠ ـ عدة جرائم ٥١ ـ عدة أمور .

وقد نشر الأستاذ مرقس جرجس هذا الكتاب بالقاهرة سنة ١٩٢٧ .

Eusèbe Renaudot in la perpétuité de la Foy de L'Eglise catholique sur les sacrements V (Paris 1713) (Paris (Paris 1713) pp. 445; 660 – 662; p. Dib, Lequel des Ibn al – Assal est L'auteur de Nomocanon' in Revue de L'Or. Chrétien, t. 20 (1915 – 17), pp. 104 – 106; C. A. Nallino, Libri giuridici bizantini in versione arabe cristiane dei secoli XII – XIII, Roma 1925, pp. 144 – 156 reproduit dans Raccolta di scritti editi e inediti Roma 1942, pp. 362 – 373; A. d'Emilia, Influssi di diritto musulmano nel capitolo XVIII, 2 del Nomocanone di Ibn al – Assal in Riv. St. Or. t. 19 (1941 – 2) pp. 1 – 15.

جـ ٢ ص ٤٠٧ ـ ٤١٤
شيخو، ص ١١

المؤتمن ابو اسحاق إبراهيم بن العسّال

الرئيس المؤتمن ابو اسحاق فخر الدولة أبو الفضل (ويروى المفضّل والفضائل) أسعد بن المؤتمن أبي اسحاق ابراهيم بن أبي سهل جرجس بن أبي البشر بن العسّال.

هو أخو الفرج هبة الله وأبي الفضائل الصفي الوارد ذكرهما (أنظر: المجلة الاسيوية Journal Asiatique ١٩٠٥، جـ٦ ص٥٠٩ ـ ٥٢٠).

وقد سافر مرتين الى الشام وأقام فيها (في سنة ١٢٣٧ وسنة ١٢٣٨) كما أشار بنفسه في مقدمته لقاموسه. والذي دفعه إلى رحلتيه هو رغبته في جمع البيانات العلمية الخاصة بأبحاثه. ولكن للأسف قد أتلف حريق مكتبته وثمار نشاطه الأدبي. وماوصلنا من نشاطه العلمي الغزير قد ألف بعد عودته إلى الوطن أي حوالي ١٢٤٠ وما يدل على غزارة علمه تنوع الميادين التي كتب فيها فتناول الدراسات في اللغة، والفلسفة واللاهوت والجدل، وتفسير الكتاب المقدس والوعظ والطقوس الدينية.

مؤلفاته:

١ ـ تفسير رسائل مار بولس الرسول.
٢ ـ تفسير الأبوكاليبس أي رؤ يا مار يوحنا.
٣ ـ التبصرة المختصرة في العقائد النصرانية في ١٦ باباً ألفها سنة ١٢٦٠.
٤ ـ تفسير الأمانة المقدسة.
٥ ـ تفسير ما ورد في الانجيل عن آلام سيدنا يسوع المسيح الى صعوده مع مقدمة واسعة على أصول تفسير الكتاب المقدس.
٦ ـ ايضاح تقسيم تدابير السيد المسيح من حين الحبل به إلى صعوده إلى السماء.
٧ ـ كتاب السُلّم المقفى والذهب المصفى وهو في أصول اللغة القبطية.
٨ ـ مجموع أصول الدين ومسموع محصول اليقين وهو من أهم كتبه وتقديم منهجي للعقائد المسيحية.

وهو يقع في خمسة أجزاء وسبعين بابا.

ميخائيل مطران أثريب ومليج

يعرف بميخائيل الجميل. ـ كان أسقفاً في الصعيد من كتبة القرن الثالث عشر.

انظر

O. H. E. Burmester, On the date and autorship of the Arabic Synaxarium of the Coptic, in the Journal of Theological Studies, t. 38 (1938) pp. 249 – 253

٣ ـ اجوبة عن اثنتي عشرة مسألة عرضها عليه احد علماء المسلمين:

١ ـ المقالة الاولى بين فيها أن اليهود لم يزالوا مستأنفين له عابدين الاصنام مرتكبين الكبائر من الخطايا والمآثم طول زمانهم.

ويشير المؤلف في بداية المقالة: «كما كان في شهر ذي الحجة من سنة ٦٤٣ للهجرة الاسلامية... بأرض مصر حضر عنده بعض فقهاء الاسلام وعلمائهم بثغر الاسكندرية وجرى معه بحث كثير جرى الحديث بينهما الى ان قال الفقيه ان اليهود يزعمون...».

٢ ـ جواب مسألة سأل عنها بعض فقهاء المسلمين. قال ما دليلكم على ان المسيح إلاه وهو قد أكل وشرب ونام ومشى بين الناس وتألم ومات.

٣ ـ مقالة في أصول المذهب المسيحي وما اتفقت عليه كل فرقة.

٤ ـ جواب مسألة في الصور ومعنى السجود لها بعد ان كان محرماً.

٥ ـ جواب مسألة اذا تقرب الخاطىء المداوم الخطيئة المصرّ عليها ينتفع بالقربان أم لا.

٦ ـ مسألة هل تنال النفوس عند خروجها من الجسد ما تستحقه خيراً كان أم شراً ام تهمل الى يوم الدينونة وهل تدرك وتذكر الأشياء التي كانت فيه وتذكر الأهل والأصحاب.

٧ ـ مسألة سأل السائل هل الرزق مقسوم من الله لكل انسان لا يحصل فيه زيادة ولا نقصان أم هو سبب الفضيلة والرذيلة.

٨ ـ مسألة في العمران كان ذلك مقرراً لا زيادة ولا نقصان او كل موت البشر بالاتفاق.

٩ ـ المخلّصين بصليب المسيح.

١٠ ـ جواب مسألة في ان كان يجب أن يسمى جزء المسيح باسم المسيح.

١١ ـ مسألة في مقدار الوقت بين الأكل والشرب وبين القربان.

١٢ ـ مسألة في معنى الشجرة التي أكل منها أبونا آدم.

جراف، جـ٢ ص٤٢٨ ـ ٤٣٣[1]

أبو شاكر بطرس بن أبي الكرم

ابن مهذب الشماس ابن الراهب أزهر في اواخر القرن الثالث عشر.

مؤلفاته:

١ ـ كتاب الشفاء في كشف ما استتر من لاهوت المسيح واختفى وفي صحة طبيعته. وقد قسم موضوعه على شكل شجرة الحياة الفردوسية فاعتبر فيها ثلاثة أصول وعلة ثمار. وفي المقدمة يعرض الى اسم الله عند المسيحيين والمسلمين، والى الصفات، والى الثالوث الأقدس مستعيناً لتقربها الى الذهن بأمثلة هندسية وبراهين فلسفية.

وقد نشر الكتاب الهيجوميتس جرجس (من مطرانية بني سويف) القاهرة (بدون تاريخ).

٢ ـ كتاب البرهان والقوانين المكملة والفرائض المجملة في ٥٢ فصلاً من العقائد والاداب النصرانية.

٣ ـ كتاب التواريخ في ٥١ فصلاً لتعريف الأبقطي والاعياد السيدية في الكنيسة القبطية.

M.Chaîne, Le Chronicon Orientale de Butros Ibn ar – Rahib et L'Histoire de Cirgis el – Makin, in Rav. de L£Or. chrétien, t.28 (1931 – 1942), pp. 390 – 405.

٤ ـ تاريخ ابن الراهب من أول الخليفة إلى زمانه. وقد نشره الاب شيخو في بيروت سنة ١٩٠٣ مع ترجمته اللاتينية لابراهيم الحاقلاني والسمعاني.

٥ ـ كتاب المجامع السبعة منقول عن كتاب التواريخ.

٦ ـ أصول مقدمة سُلّم اللغة القبطية.

جراف، جـ٢ ص٤٣٦ ـ ٧

يوحنا ابن ساويروس

الكاتب المصري، ليس عندنا أخبار عنه سوى انه كان يعيش في الربع الاول من القرن الرابع عشر. كان من القاهرة أو على الأقل أمضى فيها الجزء الأكبر من حياته.

مؤلفاته:

كتاب العلم والعمل في كيفية وجود البقاء وما يجب أن يتناوله أبناء البيعة في العلوم الاصطلاحية والفلسفية والدنيانية وحسن السيرة التي يجب أن يسلكها العلمانيون والنساك حتى يصلوا بالعلم والعمل إلى البقاء في ملكوت الله... مما سأله في شرحه أبو علي الحسين بن موصوب. وهو يشتمل على عشرة أبواب ذكره ابو البركات بن كبر في فهرسه. وقد ذكر ابن العسال في مقدمة كتابه مجموع أصول الدين بين كتبه الاقباط «الشيخ الأجل الرئيس الحكيم الفاضل مصطفى الملك أبو يوسف بن جرجس بن سويرس الكاتب» ولم يذكر له تأليفاً ولعله ابن أخي يوحنا المذكور وقد نشر الكتاب أندراوس الأنطوني في القاهرة سنة ١٩١٣.

جراف جـ٢ ص٤٣٨ ـ ٤٤٥

شمس الرئاسة أبو البركات ابن كَبَر

حسب مصدر موثوق به، نعرف انه كان يسمى أيضاً بَرْصَوْما ولعله لم يسمّ بهذا الإسم إلا بعد رسمه إذ كان كاهناً منتمياً إلى كنيسة المعلقة الشهيرة، وهي في مصر العتيقة. وقد شغل منصب سكرتير لأحد ضباط المماليك ركن الدين بيبرس المنصوري وساعده في تأليف كتابه عن تاريخ الاسلام الذي ينتهي سنة ١٣٢٤ اي سنة قبل وفاته (سنة ١٣٢٥).

وقد ترك له عمله هذا وقتاً طويلاً سمح له أن يهتم بالعلوم الدينية، وبخاصة لتأليف قاموس قبطي، ودراسات لاهوتية عديدة وقد استعان للقيام بأعماله العلميّة هذه بمكتبةٍ توافرت فيها المؤلفات العديدة الثمينة. كثير من خطبة الروحية مؤرخة وهي تتراوح من سنة ١٢٨٩ إلى سنة ١٣٢٠. وقد توفي في العاشر من مايو ١٣٢١.

Eugène Tisserant, Louis Villecourt et Gaston Wiet, Recherches sur la personalité et la vie d'Abu l – Barakat Ibn Kubr, in Revue de l'Orient chrétien t. 22 (1921 – 1922), pp. 373 – 394.

Eugène Tisserant, in Dict. de Thèologie Cathlique, t. 8, col. 2293 – 2296 Georg Graf, Mitteilung zur Chronologie des Abu l – Barakat, in Ori. Chris. t. 28 (1931), pp. 246 – 251; Zum Schrufttum des Abu l – Barakat und des Abu l – Khair, in Or. chris. t. 30 (1933), pp. 133 – 143.

Michel Khouzam, L'illumination des intelligences dans la science des fonde ments. Synthèse de L'enseignement de la Thèologiecopto – arabe d'Abu' L – Khair ibn at – Tayyib et Abu l – Barakat ibn Kabar, Rome 1941.

جرجس فيلوطاؤس، ابن كبر، القاهرة، ١٩٣٠.

لقد ابتدأ نشره المستشرقون:

Louis Villecourt, Eugène Tisserant et Gaston Wiet, Livre de la Lampe des Tènèbres et de L'Esposition (lumineuse) du Service (de l'Eglise) par Abu L – Barakat connu sous le nom d'Ibn Kabar, Paris, 1928, in Partrologie Orientale, t. 20, 4,pp. 575 – 734.

ولم ينشر إلاّ الفصلان الأولان من الكتاب. وقد ترجم إلى لغات أخرى وعلق عليه عدة علماء: انظر في جراف جـ ٢، ص ٤٤٠ - ٤٤١.

١ - أهم مؤلفات أبي البركات هو كتابه «مصباح الظُلْمة وإيضاح الخدمة». وهو في الحقيقة بمثابة دائرة معارف لاهوتية حيث أعطى فيه للكهنة وللشعب المعلومات العلمية الاساسية الخاصة بالعقيدة والكتاب المقدس وقانون الكنيسة والطقوس والعبادة تارة على صورة مقالة وتارة مستعيناً بملخصات.

وقد توخى في كتابه سهولة التقديم مراعاة للتعليم.

وهذا هو محتوى الكتاب:

الباب الأول - في الاعتقاد وأصوله وذكر جملة فصوله.
الباب الثاني - في ذكر الأمانة الارثوذكسية وشرحها.
الباب الثالث - في ذكر أخبار التجسد السيدي وتاريخ سنته.
الباب الرابع - في ذكر اخبار الرسل السليحيين وشيء من سيرهم.
الباب الخامس - في فهرست القوانين المقبولة والمجامع المنقولة.
الباب السادس - في ذكر كتب البيعة المنصوص على قبولها.
الباب السابع - في ذكر فضلاء النصرانية ومصنافتهم.

الباب الثامن - في ذكر بناء البيعة وتكريزها وتكريز المذابح .
الباب التاسع - في ذكر ترتيب طبخ الميرون وتركيبه وتكريزه .
الباب العاشر - في ترتيب تقدمة البطريرك واختياره وتكريزه .
الباب الحادي عشر - في تقدمة الأساقفة وتكريزهم وتجليسهم .
الباب الثاني عشر - في تقدمة القسيسين وتكريزهم وتوصياتهم .
الباب الثالث عشر - في تكريز الشمامسة والابودياقنيين ومن يتلوهم .
الباب الرابع عشر - في أمور الرهبانية وتكريز الرهبان وتوصياتهم .
الباب الخامس عشر - في التعميد وتكريز المعاميد وترتيبه .
الباب السادس عشر - في ترتيب الصلوات النهارية والليلية .
الباب السابع عشر - في ترتيب القداسات على الصعائد السرية .
الباب الثامن عشر - في ترتيب صوم الأربعين المقدسة وجمعة البصخة .
الباب التاسع عشر - في ترتيب أيام الخميس والأعياد السّيدية .
الباب العشرون - في ترتيب الأملاك والاكليل وعقد التزويج .
الباب الحادي والعشرون - في التجانيز وفيه صلاة زيت المرضى .
الباب الثاني والعشرون - في دلال الفصول التي تقرىء في ايام السنة والأعياد .
الباب الثالث والعشرون - في معرفة حساب الابقطي (epacte) ومسير له .
الباب الرابع والعشرون - في عدة فصول ومسير على تاريخ العالم . ومختصر تاريخ البطاركة على الكرسي المرقسي .

جراف ، جـ٢ ، ص ٤٤٨

يوحنا بن أبي زكريا بن سبّاع

صاحب كتاب «الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة» لسنا نعرف عن ابن سباع إلا انه عاش بين القرنين الثالث عشر والرابع عشر للميلاد كما ذكر هو نفسه في الباب السادس والعشرين من كتابه حيث يقول ان «المصدقين» للانجيل مضت عليهم أعوام عددها إلى الآن ينيف على الألف وثلثماية سنة» .

وكتاب «الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة» كتاب شامل يجمع ، في ١١٢ فصلاً ، اصنافاً شتى من المعلومات الدينية الخاصة بالكنيسة القبطية . فمن الذات الالهية وصفاتها والخلق الى أخبار الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد إلى الكنيسة وبنيانها وزينتها وخدامها إلى الفضائل المسيحية والصلوات والقداس والاعياد السنوية والاكليرس والعلمانيين وواجباتهم الخ .

ومن أبرز ما فيه من الناحية اللاهوتية البابان الثالث والثلاثون والرابع والثلاثون في شرح صلاة «أبانا الذي» و «الأمانة الاثوذكسية» أما من الناحية الليتورجية فهناك وصف مسهب لكل ما يتعلق بالقداس الالهي والأعياد السنوية وجمعة الالام مما يجعل من «الجوهرة» مرجعاً من أقدم المراجع العربية للطقوس القبطية وأهمها .

نشر هذا الكتاب لأول مرّة في القاهرة عام ١٩٠٢ ولكن بغير أمانة علمية إذ أدخل الناشر تعديلات بالنص. وفي العشرينات نشره نشرة ثانية كاملة المرحوم مرقس جرجس.

وعام ١٩٢٢ نشر المستشرق الفرنسي جان بيريه Jean Perier الأبواب ١ ـ ٥٦ وترجمها إلى الفرنسية:

La Perle précieuse traitant des sciences ecclésiastiques (Chapitres 1 – LVI) par Jean, Fils d'Abou Zakariya, surnommé Ibn Sab'. Texte arabe publié et traduit in Patrologie Orientale, t. XVI, 4, pp. 591 – 760.

أما الأب منصور مستريح، فقد درس كل ما يعرف «للجوهرة» من مخطوطات فعثر على ثماني عشرة مخطوطة. وقد وصفها كلها وصفاً مفصلاً في المقدمة اللاتينية لنشرته نشرة علمية لكتاب الجوهرة.. وقد اعتمد في النشر مخطوطة دار الكتب المصرية.. لاهوت.. رقم ٢٢١ وأضاف إلى النص الفروق الكاملة لسبع مخطوطات والفروق الجزئية لست مخطوطات أخرى.

جراف جـ ٢، ص ٤٥٠

بروكلمان جـ ١، ص ٣٤٨

بروكلمان، الطبعة الثانية جـ ١، ص ٤٢٦

بروكلمان، ملحق جـ ١ ص ٥٩٠

المفضّل ابن أبي الفضائل

ألف تاريخاً للسلاطين المماليك من عهد الملك الظاهر إلى عهد الملك الناصر بن قلاوون أي من ١٢٦٠ إلى ١٣٤١.

وعنوان الكتاب هو: النَهْج السديد والدُرّ الفريد فيما بعد تأريخ ابن العميد. وانتهى من تأليفه سنة ١٣٥٨. بجانب التاريخ السياسي لمصر وسوريا وكثير من الحوادث المعاصرة في الهند واليمن والتتر يحوي الكتاب تاريخ بطريركية الأقباط ومصير المسيحيين في مصر.

وقد نشر بلوشيه E. Blochet نص الكتاب وترجمه إلى الفرنسية في المجموعة الشرقية.

Patrologie orientale: Moufazzal ibn Abil – Fazail, Histoire des sultans mamlouks, XII (1919, pp. 343 – 350; XIV (1920), pp. 375 – 672) XX (1929), pp. 1 – 270.

على أساس المخطوط رقم ٤٥٢٥ الموجود في باريس، من خط المؤلف وقد نشر الاب قسطنطين الباشا النص الخاص بالاستيلاء على انطاكيا وتدميرها على يد السلطان بَيْبرس سنة ١٢٦٨ مما سبّب انتقال الكرسي البطريركي اليعقوبي من انطاكيا إلى دمشق. وعنوان نشرة الاب باشا هو: صفحة من تأريخ البطريركية، شنطة ١٩٠٩.

جراف جـ ٢ ٢٨٤

مصطفى المُلْك أبو يوسف

لعله من كبار موظفي الدولة في مصر في أوائل القرن الثالث عشر. لا يعرف إلا بما نشر له ابو

اسحاق المؤتمن بن العسال في كتابه مجموع أصول الدين (الفصل التاسع عشر). وقد نشر هذا النص الصغير الأب سمير خليل، في مجلة رسالة الكنيسة الجزء التاسع (١٩٧٧)، ص ٧٣ - ٧٨.

النص الذي ذكره ابن العسال عنوانه «أصول الدين المسيحي» ويتلخص كما يلي:

١ - وحدة الله.

الله جوهر واحد. إن كلمة «الجوهر» تقال على الأجسام أو على اللاجسم. ويعني المسيحيون المعنى الثاني عندما يقولون ان الله جوهر. ولكن ليس معنى «لاجسم» العدم أو السلب بل تشير إلى ذات أشرف: وذلك أن «لا جسم» ليس يدلّ ههنا على عَدَمٍ، بل على ذاتٍ ما، مقابلةٍ للجسم، هي أشرف منه، من قبل أنّها بسيطة روحانية يرتفع عنها الأقطار، التي هي الطول والعرض والعمق والتحيز في المكان وبالجملة الأشياء الخاصة بالجسم.

٢ - الثالوث الأقدس.

الله ثلاثة أقانيم لأن له ثلاث خواص أو صفات، لا أكثر ولا أقل: هو عالم وذات العلم ومعلوم. ويضيف المؤلف ان البعض يذهب إلى القول بأن الثالوث: علم وعالم ومعلوم هو نفس الثالوث: عقل وعاقل ومعقول.

Cl. Huart, Littérature arabe, Paris 1902, p. 208.

بروكلمان، جـ ١، ص ٣٤٨، الطبعة الثانية جـ ١ ص ٤٢٥.
ملحق جـ ١ ص ٥٩٠.

المشرق جـ ١٢ (١٩٠٩) ص ٤٩٠.

سركيس ص ١٩١ - ١٩٣.

فيما يخص استعمال المكين من قبل المقريزي والقلقشندي، انظر:

E. Tisserant et G. Wiet, La liste des patriarches d'Alexandrie dans Qalqashandi, in Rev. de l'Or. chrétien, t. 23 (1922–23), pp. 123 – 143; F. Nau, Sur al – Makin et Ibn abi l – Fazail, ibid. t. 26 (1927–8), pp. 208 – 211.

وقد ترجم الجزء الثاني العالم توماس اربينيوس Thomas Erpenius

ونقل منها صموئيل بورشاس Samuel pûrchas بعض الأجزاء إلى الانجليزية:

The Saracenical Histoire.. written in Arabike by George Elmacin Purchas his Pilgrimage) or, Relations of the World and the Religions, London, 1626, pp. 1009 – 1047.

وترجمة فرنسية:

Pierre Vattier, L'Histoire mahométane ou les quarante neuf Chalifes du Machine, Paris, 1657.

جراف جـ ٢ ص ٤٥٠

جـ ٢ ص ٣٤٨

المكين جرجس ابن العميد

ابن أبي الياس بن أبي المكارم بن أبي الطيّب الملقّب ابن العميد

ولد في القاهرة سنة ١٢٥٠. كان مثل أبيه موظفاً في الجيش وبعد ان فقد وظيفته في الشام، عاش في دمشق حتى وفاته سنة ١٢٧٣.

فيما بين ١٢٦٢ و ١٢٨٦ ألّف المكين تاريخاً عاماً للعالم سماه «المجموع المبارك» ويمتد الجزء الأول منه، وهو ينقسم إلى ١٦٦ فترة، من زمان آدم إلى السنة الحادية عشرة من حكم الامبراطور هراكليوس. واما الجزء الثاني، فيشمل تاريخ المسلمين منذ محمد لغاية سنة ١٢٦٠. ويعترف المكين انه اعتمد في تاريخه على كتاب المؤرخ الفارسي الطبري (٨٣٨ - ٩٢٣) ولكنه استفاد أيضاً من مؤلفات أخرى مثل أوتيخا.

وقد كان تاريخ المكين المصدر الأساسي لكتاب الخطط والآثار للمقريزي في الأجزاء الخاصة بالمسيحيين وقد واصل عمله المفضّل بن الفضائل في القرن الرابع عشر.

وتختلف هذه الأقانيم الثلاث في الله لاختلاف النسب. . . ولا غيرية في هذه الثلاث إلاّ بهذه النسب، ولكن الذات واحدة وهي الجوهر.

الفصل الثاني

النساطرة

جراف جـ ٢ ، ١١٢
القفطي ، ص ١٢٦
ابن أبي أصيبعة جـ ١ ص ٧٢

الراهب النسطوري هارون بن عزّور

كتاب التاريخ
يقول ابن أبي أصيبعة (جـ ١ ، ص ٧٢) : ووجدت تاريخاً مختصراً لها رون بن عزّور الراهب ذكر فيه انه اعتبر التواريخ وعوّل على صحتها ورأيته قد كشف بعض اختلافها وعلّل ذلك بعلل مقنعة .

جراف جـ ٢ ، ١١٢
ابن أبي أصيبعة جـ ١ ، ص ٢٠٥
ابن العبري، ص ٢٣٩

أبو زكريا يحيى بن البطريق

يقول القفطي عنه. يوحنا بن البطريق الترجمان مولى المأمون كان أميناً على الترجمة ، حسن التأدية للمعاني، ألكن اللسان في العربية وكانت الفلسفة أغلب عليه من الطب وهو تولى كتب ارسطو طاليس خاصة وترجم من كتب بقراط مثل حنين وغيره. (ص ٢٤٨) .

وقد نقل الى العربية كتاباً عزي خطأ إلى ارسطو وهو «كتاب السياسة في تدبير الرياسة المعروف بسرّ الأسرار» أو «سياسة ارسطو» وكان له شأن كبير في القرون الوسطى. كما انه ترجم أيضاً كتاباً معزوّاً خطأ إلى أرسطو. في عشر مقالات، وهو عبارة عن ارشادات موجهة الى اسكندر ذي القرنين .

جراف جـ ٢، ص ١١٣
المشرق جـ ١٢ (١٩٠٩) ص ٤٨٢

يوسف بن ابراهيم الحابس بن داية

في ايام المأمون (٨١٣ - ٨٣٣)
وقد استفاد ابن أصيبعة من كتابين لهذا المؤلف:

«تاريخ الأطباء» وتاريخ العد Geschichli der Ashonom

وقد اعتنق ابنه الاسلام فيما بعد وأخذ اسم أحمد بن دايه

شيخو ١٤٠

جراف جـ ٢، ص ١١٤ - ١١٨

طيموثاوس الجاثليق النسطوري المعروف بالكبير (٧٨٠ – ٨٢٣)

نسطوري. كان جاثليقاً من سنة ٧٨٠ الى ٨٢٣م صاحب: المحاورة بين الخليفة المهدي وطيموثاوس الجاثليق نشر الأصل السرياني وترجمة إلى الإنجليزية الأستاذ مينجانا

A. Mingana, Timothy's Apology for Christianity, Woodbrooke Studies II, Cambridge 1928, 1–162

نشر النص العربي الأب شيخو في مجلة المشرق ١٩ (١٩٢١) ص ٣٥٩ - ٣٧٤؛ و ٤٠٨ - ٤١٩. وقد أعاد طبعة في كتابه Trois traités بيروت ١٩٢٣، ص ١٢ - ٢٣.

ويوجد نص سرياني آخر، قد نسب إلى إليّا نشرة ونقله إلى اللاتينية فان روي:

A. van Roey, Une apologie syriaque attribuée a Elie de Nisibe, in Muséon t. 59 (1946), pp. 381–397

وهو ملخص لجزء من المناقشة.

انظر جراف جـ ٢، ص ١١٤ - ١١٨.

Hans Putman, L'Eglise nestorienne sous le patriarcat du catholicos Timothée I (780 – 823)

رسالة نوقشت في ليون سنة ١٩٧٠ ونشرت في بيروت (دار المشرق).

ولطيموثاوس الجاثليق في مكتبة الكلدان في ماردين مجموع السينودسات القديمة وقوانينها وقصصها مع رسالات البطاركة الفصيحة من الجيل الرابع حتى القرن التاسع.

جراف جـ ٢ ص ١١٨

شيخو، ص ٢٤

ابو نوح

عبد المسيح الأنباري

كان كاتباً للجاثليق النسطوري طيموثاوس الكبير وكاتب سرّ والي الموصل في القرن التاسع. له في قائمة أبي بركات مسائل واجوبة في معنى الاعتقاد.

له من المؤلفات:

١ ـ تفنيد القرآن.

٢ ـ مقالة في التوحيد.
٣ ـ مقالة في التثليث.

جراف جـ ٢، ص ١١٩
فهرست جـ ١ ٢٤٤
ابن أبي أصيبعة ١، ٢٠٥

حبيب عبد يشوع بن بهريز

مطران الموصل كان صديقاً في القسم الأول من القرن التاسع في أيام المأمون (٨١٣ ـ ٨٣٣) لجبرئيل بن بختيشوع وناقلاً له.
من مؤلفاته:
مقالة في التوحيد والتثليث.

جراف جـ ٢، ص ١٣٢
سباط فهرس، ٢٤٨

إلياس الجوهري والياس الدمشقي

تحت اسم إلياس الجوهري، مطران أورشليم، يوجد كتيّب عنوانه «اجتماع الامانة» يحاول فيه مؤلفه أن يبينّ أن الطوائف المسيحية الثلاث، اليعاقبة، والنساطرة، والملكيين تعتقد بنفس العقائد الاساسية ولذا يجب عليها أن تتحد بدلاً من أن تحاول كل طائفة التفوق على الأخرى.

وهناك كتاب آخر عنوانه «كتاب الناموس»، اسم مؤلفه إلياس مطران دمشق. وقد اعتبر العلامة السمعاني في «المكتبة الشرقية» (جـ ١، ص ٥١٣) أن المؤلفين هما، بالحقيقة واحد وهو «إلياس بن عبيد، مطران اورشليم».

أما كتاب الناموس، فهو مجموعة من قوانين الآباء اختيرت من مجموعة سريانية قديمة وقد عُرّبت لتسد حاجات المسيحيين النساطرة الساكنين في الغرب والذين سبقوا مسيحيي الشرق باتخاذ اللغة العربية كلغة معاملاتهم. ويحوي الكتاب مقدمة تصف حياة الرسل وتلامذتهم ووصف القوانين الرسولية ثم قوانين المجامع الكنسية الغربية، وقائمة للبدع منذ قسطنطين، وقوانين المجمعين العامين الأولين. وفي قسم ثالث يعطي الكتاب «قوانين الآباء الشرقيين» يعني أعمال مجامع البطريرك اسحاق (٣٩٩ ـ ٤١٠) إلى البطريرك جيورجس (٦٦١ ـ ٦٧٨)

جراف جـ ٢، ص ١٤٥

اسطورة بحيرة

اسطورة مسيحية نشأت في حضن جماعة فارسية وقد كتبت بالسريانية ثم نقلت الى العربية وكان لها انتشار واسع في الأوساط المسيحية في القرون الوسطى.

والكتاب ينقسم الى ثلاثة اقسام يتكلم المؤلف في الجزء الأول عن لقاء بحيرة وهو راهب

نسطوري بالربان ايشو عياب الذي يقرأ له الكتاب. وفيه القصص التي تتحدث عن القبائل العربية التي شاهدها سرجيوس في جبل سيناء.

ويظهر ان هذا الجزء الأول وضع في نهاية القرن الحادي عشر او في مستهل القرن الثاني عشر.

اما الجزء الثاني فيتطرق الى المحادثات التي جرت بين محمد وبحيرا الذي يزوده بمعلومات عن الدين المسيحي. وهذا الجزء الذي يكوّن اسطورة بحيرة الحقيقية يرقى الى عهد اسبق. وقد ورد في هذا القسم كيف لقن سرجيوس محمداً عقيدته وشرائعه وأجزاء من القرآن وذلك بقصد ان يجعل العرب يعترفون باله واحد.

اما الجزء الثالث فهو سلسلة رؤى عن الأزمنة المقبلة من حكم العرب الى مجيء المسيح الثاني وهو من عهد الجزء الأول تقريباً او متأخر عنه قليلاً.

وقد نشر كوتايل Gottheil النص السرياني والترجمة العربية لهذه الأسطورة مع ترجمة انجليزية وتعليقات:

Richard Gottheil, A Christian Bahira Legend, in Zeit. F. Assyriologie und verwandte Gebiete, t. 13 (1898), pp. 189 – 201

مقدمة

النص السرياني: ص ٢٠٢ ـ ٢٤٢

الترجمة الانجليزية ص٢٠٣ - ٢٥٢: T-14 (1900).

الترجمة العربية ص ٥٦ ـ ٢٠٢ (T – 15 (19001

Armand Abel, L'Apocalypse de Bahira et la notion islamique de Mahdi In Annuaire de L'Institut de Philologie et d'histoire orientale 3 (BRUxelles 1935), pp. L – 12; Encycl. de L'IS 2 Bahira j. Bignami – Odier et G. Levi Della Vida, Une version latine de L'Apocalypse Syro – arabe de Serge – Bahira, in Mélanges d'archéologie et d'histoire (Ecole fr. de Rome), 1950, PP. 125 et SQ. ;ABEL, Studia Islamica, T. 2 (1954), PP. 29 et SQ.

جراف جـ ٢، ص ١٤٩
سباط، فهرس، ٥ ـ ٨

يوحنا ابن ابي الصلت

راهب نسطوري من القرن العاشر.

من مؤلفاته:

١ ــ كتاب الهدى.
٢ ــ كتاب الاقناع.
٣ ــ كتاب البرهان.
٤ ــ كتاب دليل الحائر.

وله ايضاً ثلاث رسائل استخرجها من كلام مار اسحق النينوي (من القرن السابع) في الزهد والرهبنة وقد نشرها الأب سباط ونقلها الى اللغة الفرنسية. وأصل الرسائل بالسريانية.

وقد ذكر في اول الرسائل بعض المسائل التي اجاب عنها اسحق النينوي وهي:

المسألة الأولى: هل خلق الله جل وعز آدم في وقت خلقه للحياة ام للموت؟

المسألة الثانية: هو يجوز ان يغضب الله جل وعز عند معصية المخلوقين ام لا؟

المسألة الثالثة: هل يجوز في عدل الله عز وجلّ ان يخطيء الانسان مدة يسيرة من الزمان فيعاقبه عقوبة دائمة الى الأبد؟

المسألة الرابعة: هل تعم رحمة الله جل وعزّ في الآخرة الأخيار والأشرار؟

المسألة الخامسة: هل ارزاق الناس وحظوطهم في الدنيا مقدرة يؤتى كل انسان منها حظّه او على قدر سعيهم واضطرابهم وأعمالهم واستحقاقاتهم؟

المسألة السادسة: هل تسلب النفس عند مفارقتها للجسد العلم أم تبقى على حالها من الحياة والعلم؟

والرسائل عبارة عن مجموعة من حكم خاصة في الزهد وهي مصنوعة بأسلوب عربي عالٍ بليغ.

وهذا عنوان الكتاب بالكامل:

Paul Sbath, Traités religieux, Philosophiques et moraus extraits des oeuvres d'isaac de Linive (VIIe Siésle) par Ibn AS – Salt (IXe Siécle).
Teste arabe Publié pour la première fols avec corrections et annonations et suivi d'une traduction fraçaise d'une table des matières 128 Pages
Le Caire 1934 (Chez l'auteur).

جراف جـ ٢، ١٥١

يوحنا بن عيسى الجاثليق: يوحنا الخامس

ابن الأعرج من بغداد. كان فيما بين سنة ٨٨١ و ٨٩١ مطراناً في مدينة الزوابي ثم بطريركاً من سنة ٩٠٠ الى سنة وفاته (سنة ٩٠٥).

ومن كتبه الخاصة بالقوانين الكنسية يوجد، باللغة العربية، ثلاثة كتب مترجمة من السريانية وكتابان الفهما بالعربية مباشرة.

١ ـــ ترجمة القوانين الثامن والعشرين الخاصة بالكهنوت توجد في مجموعة القوانين لأبي فرج ابن الطيّب.

٢ ـــ في نفس مجموعة ابن الطيب توجد من يوحنا عيسى ملخص في خدمة القداس.

٣ ـــ جوامع المواريث.

٤ ـــ رسالة عن ايضاح صومين لدى النساطرة: صوم الذيناوين وصوم العذراء وهي جواب

لسؤال وجهه اليه ابو العباس الفضل بن سليان. وكتبت سنة ٩٠٣
٥ ــ اجوبة عن ٣٧ مسألة دينية. .
فيا يخص حياته انظر:

J. B. Chabot, Chronique de Michel le Syrien III, Paris 1905, p. 121, 463 et Sq Baumstark, P. 235

جراف جـ٢ ص١٥٣ ـ ١٥٤
سارتون جـ١ ص٦٢٩
ابن أبي أصيبعة جـ١ ص٣٥
القفطي، ص٣٢٣

أبو بشر متّى بن يونس المنطقي (أو ابن يونان)

طبيب وفيلسوف ومترجم من اليونانية إلى السريانية والعربية. تلميذ أبي يحيى المروزي نشأ في مدرسة مار ماري في دير قُنّا في سوريا ومن هنا لقبه القُنّائي. وكان عمله الأساسي في بغداد حيث توفي سنة ٣٢٨ هـ/ ٩٤٠م. كان أستاذا للفارابي نقل شرح ثماثطيوس على السماء والعالم لأرسطو. وقد نقّح أبو زكريا يحيى بن عديّ هذه الترجمة التي كانت صعبة الفهم لحرفيتها.

تلقى في بغداد ثقافته الفلسفية من ثلاثة علماء مسلمين ممتازين ومن راهبين نسطوريين وأصبح هو بدوره استاذاً للفيلسوف الشهير اليعقوبي يحيى بن عديّ.

تلقى في بغداد ثقافته الفلسفية من ثلاثة علماء مسلمين ممتازين ومن راهبين نسطوريين وأصبح هو بدوره استاذاً للفيلسوف الشهير اليعقوبي يحيى بن عديّ.

Meyerhof, Von Alexandrien nach Bagdad, p. 29
Suter, Mathematiker.., p. 50.
Isidor Pollak Die Hermeneutik des Aristoteles in der arabischen Uebersetzung des Ishaq ibn Honain, Leipzig, 1913, p. XVII et sq.

جراف جـ٢، ص١٥٥

جبرائيل بن نوح

صاحب رسالة سنجد فيها مذهب المانويه خاصة يزدنبخت وكان هذا الشخص قد هاجم العقيدة المسيحية. ولا يعرف جبرائيل بن نوح إلا كمصدرٍ للبيروني في كتابته عن ماني.

ومن الأرجح ان نشاط جبرائيل بن نوح الفكري يرجع إلى حوالي سنة ١٠٠٠، وهي سنة وفاة البيروني.

انظر:

Ed. Sachau, Chronologischer orientalischer Völker von Albiruni, Leipzig 1876, p. 208; K. Kessler, Mani. Forschungen über manichäische Religion (Berlin 1889, pp. 321 et sq.)

جراف جـ٢، ص١٥٧ و٢٥٩

محيي الدين العجمي الاصفهاني.

هناك خلاف عما إذا كان نسطورياً ام يعقوبياً ولا يعرف عن حياته شيء إلا الذي يستخلص من مؤلفاته. وهو بالأرجح من القرن الثالث عشر.

ويعرف من مؤلفاته الرسائل الآتية:

١ ـ رسالة إلى أحد فقهاء المسلمين.

٢ ـ كلام... في العقل والمعقول.

٣ ـ اشرف الحديث في شرفي التوحيد والتثليث.

وهذه الرسالة في ستة ابواب:

الباب الأول. في ايراد ما أورده في الأقانيم.

الباب الثاني. في الكلام على كلامهم بالردّ والقبول.

الباب الثالث. في تحقيق الحق بالبرهان وفيه أربعة فصول:

١ ـ في اثبات الأقانيم بالبرهان.

٢ ـ في تفهم الأقانيم وتقربها من الأذهان.

٣ ـ في تقرير البحث في التوحيد والتثليث.

٤ ـ في بيان الطريق الذي سلكناه في البحث الذي قررناه ليس على الطريق الفلسفي ولا على المنهاج الكلامي ولكنه ثالث مغاير لها.

البابع الرابع ـ في الاتحاد وما قيل فيه.

الباب الخامس ـ في الكلام عليه بالردّ والقبول.

الباب السادس ـ في تحقيق الحق بالبرهان.

وقد نشر المستشرقان آلاروتروبو ثلاثة نصوص لمحي الدين الاصفهاني:

١ ـ رسالة اشرف الحديث في شرفي التوحيد والتثليث.

٢ ـ في العقل والعاقل والمعقول.

٣ ـ شذرات من قوله في النفس. وترجما هذه النصوص الى الفرنسية وقدما لها بمقدمة حللت مضمونها:

Muhyial — Din al – Isfahani, Epître sur L'unité. Traité sur L'Intellect.
Fragment sur L'ame. Texte arabe édité, traduit et annoté par M. Allard, s. j. et
G. Troupeau., Beyrouth, Impr. Catholique, 1960, 86 pages.

جراف جـ٢ ص١٥٩

سبر يشوع بن السرّي

راهب نسطوري. ترجم الى العربية وفسر الاناجيل وكتب أيضاً مقدمة لكتاب دانيال. وقد ذكره ابو الفرج هبة الله ابن العسال في دراسته في الاناجيل. وقد استفاد من هذا التفسير بعض الكتاب المعاصرين مثل فرنسيس ميخائيل، كتاب شرح الرؤيا، القاهرة ١٨٩٨ واسحاق خليل: تفسير الايات في تفسير النبوات، القاهرة ١٩٠٥.

انظر أيضاً:

Oscar Lofgren, Studien zu den arabischen Danielübersetzungen mit besonderer Berücksichtigung der christlichen Texte, Uppsala 1936, pp. 92 ~ 96.

جراف جـ ٢، ص ١٥٩ - ١٦٠

إليا الأول

بطريرك النساطرة من ١٦ يونيو ١٠٢٨ لغاية موته في ٦ مايو ١٠٤٩ كان مطراناً لمدينة ترهان. وقد ألف للخدمة الكنيسة؛ باللغة السريانية عدة كتب، وكتاب نحو للغة السريانية.

وأهم مؤلفاته: كتاب أصول الدين وهو يحوي ٢٢ باباً وقد تناول المستشرق الأب جان مريا جيانزا هذا الكتاب كموضوع لرسالته وهو سينشر النص العربي، وينقله إلى الفرنسية ويعلق عليه.

جراف جـ ٢، ص ١٦٠ - ١٧٦
ابن أبي أصيبعة ٢٣٩ - ٢٤١
ابن العبري ٣٣٠
القفطي ٢٢٣ (القاهرة ١٥٠)
سباط، فهرس ١٥٣ - ١٦١
الدبس، تاريخ سوريا جـ ٥، ٥١٥ - ٥٢١

أبو الفرج عبد الله بن الطيّب

يقول عنه ابن أبي أصيبعة: «هو الفيلسوف الامام العالم أبو الفرج عبد الله بن الطيب وكان كاتب الجاثليق ومتميزاً في النصارى ببغداد، ويقرىء صناعة الطب في البيمارستان العضدي، ويعالج المرضى فيه.

ووجدت شرحه لكتاب جالينوس إلى اغلوتن وقد قرىء عليه وعليه الخط بالقراءة في البيمارستان العضدي في يوم الخميس الحادي عشر من شهر رمضان سنة ٤٠٦هـ.

وهو من الأطباء المشهورين في صناعة الطب. وكان عظيم الشأن جليل المقدار، واسع العلم كثير التصنيف خبير بالفلسفة كثير الاشتغال فيها. وقد شرح كتباً كثيرة من كتب أرسطوطاليس في الحكمة وشرح أيضاً كتباً كثيرة من كتب ابقراط وجالينوس في صناعة الطب وكانت له مقدرة قوية في التصنيف وأكثر ما يوجد من تصانيفه كانت تنقل عنه املاءً من لفظه.

وكان معاصراً الرئيس ابن سينا. وكان الشيخ الرئيس يحمد كلامه في الطب وأما في الحكمة فكان يذمه. ومن ذلك قال في مقالته في الرد عليه ما هذا نصه: «إنه كان يقع إلينا كتب يعملها الشيخ أبو الفرج بن الطيب في الطب ونجدها صحيحة مرضية، خلاف تصانيفه في المنطق والطبيعيات وما يجري معها». (ص٢٣٩).

وقال أبو الخطاب محمد بن محمد أبي طالب في كتاب «الشامل في الطب» إن أبا الفرج بن الطيّب أخذ عن ابن الخمّار وخلف من التلاميذ أبا الحسن بن بطلان، وابن بدرج، والهروي، وبني حيون وأبا الفضل كتيفات، وابن أثردي وعبدان، وابن مصوصا وابن العليق.

قال وكان في عصر أبي الفرج من الأطباء: صاعد بن عبدوس، وابن تفاح، وحسن الطيب، وبنو سنان، والناتلي وعنه أخذ ابن سينا، وأبو سعيد الفضل بن عيسى اليمامي وذكر لي انه من تلامذته ابن سينا وعيسى بن علي بن ابراهيم بن هلال الكاتب وأظنه يكنى بكستا، وعلي بن عيسى الكحّال. وأبو الحسين البصري، ورجاء الطبيب من أهل خراسان وزهرون والجاثليق المذكور سابقاً هو طيماثاوس يوحنا بن نازوك (١٠١٢ - ١٠٢٢) وتوفي في سنة ١٠٤٣م.

ويقول القفطي (ص ١٥٠، ط القاهرة). «وبسط القول في الكتب التي تولىّ شرحها بسطاً شافياً قصد به التعليم والتفهيم حتى لقد رأيت من ينتحل هذه الصناعة يذمه بالتطويل. وكان هذا العائب يهودياً ضيف القفطي قد وقف على عبارة ابن سينا. فأما أنا وكل منصف فلا نقول إلا أن أبا الفرج بن الطيب قد أحيا من هذه العلوم ما دثر وأبان منها ما خفي... وقال ابن بطلان وشيخنا أبو الفرج عبد الله بن الطيب بقي عشرين سنة في تفسير ما بعد الطبيعة ومرض من الفكر فيه مرضةً كاد يلفظ نفسه فيها. وهذا يدلك على حرصه واجتهاده وطلب العلم لعينه»، (طبعة القاهرة ص ١٥٠ - ١٥١).

مؤلفاته:

١ - تفسير كتاب قاطيغورياس لأرسطوطاليس
٢ - تفسير كتاب بارارمنياس لأرسطوطاليس
٣ - تفسير كتاب أنالوطيقا لأرسطوطاليس
٤ - تفسير كتاب أنالوطيقا الثانية لأرسطوطاليس
٥ - تفسير كتاب طوبيقا لأرسطوطاليس
٦ - تفسير كتاب سوفسطيقا لأرسطوطاليس
٧ - تفسير كتاب الخطابة لأرسطوطاليس
٨ - تفسير كتاب الشعر لأرسطوطاليس
٩ - تفسير كتاب الحيوان لأرسطوطاليس
١٠ - تفسير كتاب ابيديميا لأبقراط
١١ - تفسير كتاب الفصول لأبقراط
١٢ - تفسير كتاب طبيعة الإنسان لأبقراط
١٣ - تفسير كتاب الأخلاق لأبقراط
١٤ - تفيسر كتاب الفرق لجالينوس
١٥ - تفسير كتاب الصناعة الصغيرة لجالينوس
١٦ - تفسير كتاب النبض الصغير لجالينوس
١٧ - تفسير كتاب اغلوتن لجالينوس
١٨ - تفسير كتاب الاسطقسات لجالينوس
١٩ - تفسير كتاب المزاج لجالينوس

٢٠ ـ تفسير كتاب القوى الطبيعية لجالينوس
٢١ ـ تفسير كتاب التشريح الصغير لجالينوس
٢٢ ـ تفسير كتاب العلل والاعراض لجالينوس
٢٣ ـ تفسير كتاب تعرف علل الأعضاء الباطنة لجالينوس
٢٤ ـ تفسير كتاب النبض الكبير لجالينوس
٢٥ ـ تفسير كتاب الحميات لجالينوس
٢٦ ـ تفسير كتاب الجران لجالينوس
٢٧ ـ تفسير كتاب أيام الجران لجالينوس
٢٨ ـ تفسير كتاب حيلة البرء لجالينوس
٢٩ ـ تفسير كتاب تدبير الاصحاء لجالينوس
٣٠ ـ تفسير كتاب ثمار الستة عشر كتاباً لجالينوس وهو اختصار الجوامع
٣١ ـ شرح ثمار مسائل حنين بن اسحق املاه سنة ٥٠٤
٣٢ ـ كتاب النكت والثمار الطبية والفلسفية.

مؤلفاته الدينية:

١ ـ فردوس النصرانية
تفسير الكتاب المقدس برمته. وهو أضخم تفسير للكتاب المقدس باللغة العربية وقد نشر يان ساندرس Jan Sanders تفسير كتاب التكوين.

٢ ـ مدخل إلى تفسير المزامير وقد نشره يوسف منقوريوس وحبيب جرجس القاهرة ١٩٠٢، تحت عنوان كتاب الروض في تفسير المزامير.

٣ ـ تفسير المزامير
في تفسيره للمزمور رقم ١٨/٨. «شريعة الله الكاملة» يميّز ابن الطيب بين ثلاث أنواع من الشريعة: ناموس طبيعي كتابي وناموس افضالي.
وبعض الأجزاء من هذا التفسير قد نشر

Raimund Köbert, Ibn at – Tayyib's Erklärung von Psalm 44,
in Biblica, t. 43 (Rome 1962), pp. 338 – 348

مقدمة وترجمة بالألمانية للمزامير رقم ٤٢ ـ ٥١ أنظر:

Bernhard Ebermann, Aus dem Psalmenkommentar des Abu L – Faraj
Addallah ibn at – Tayyib (Ein Beitrag zur Geschichte der Exegese)

وهي رسالة قدمت في المعهد الكتابي في روما سنة ١٩٦٤ وهي تحوي مقدمة والنص العربي وترجمة إلى الألمانية.

٤ ـ تفسير الأناجيل

نشر الأب سمير خليل هذه الرسالة جزئياً في «رسالة الكنيسة» جـ ٤ (١٩٧٢) وفي Parole de l'Orient جـ ٣ (١٩٧٢) و جـ ٥ (١٩٧٤).

٥ ــ مقالة في أصول الديانة

٦ ـ كتاب في التوحيد

٧ ـ مقالة في التثليث

لقد وصفه الأستاذ بيستون، من جامعة اكسفورد

A.F.L. Beeston, An Importanr Christian Arabic Manuscript in Oxford in Orientalia Christiana Periodica, 19 (Rome 1953). pp. 197 – 205

وقد نشرها للمرة الأولى الأستاذ تروبو:

Gérard Troupeau, Le traité sur l'unité et la trinité de Abd Allah Ibn al – Tayyib, in Parole de l'Orient, 2 (Kaslik 1971), pp. 71 – 89.

ونشرها للمرة الثانية الأب سمير خليل:

مقالة في التثليث لأبي الفرج عبد الله بن الطيب المتوفي سنة ١٠٤٣م، في سلسلة من المقالات في «التراث العربي السرياني» في «بين النهرين».

جـ ٤، رقم ١٦ (الموصل ١٩٧٦).

٨ ـ مقالة في التثليث والتوحيد.

نشرها وترجمها إلى الفرنسية الأستاذ تروبو:

Gérard Troupeau, Le traité sur la Trinité et l'Unité de Abd Allah Ibn al–Tayyib in Bulletin d'Etudes Orientales, tome 25 (1972), Damas 1973, pp. 105 – 123.

٩ ــ مقالة مختصرة في الأقانيم والجوهر وان الفعل للجوهر

وقد نشرها الأب سمير خليل في «صديق الكاهن». جـ ١٤، رقم ٢ (المعادي يونيو ١٩٧٤، ص١٣٣ ـ ١٤٣) ونشرها أيضاً الاستاذ تروبو ونقلها الى الفرنسية

Gérad Troupeau, Le traité sur les hypostases et la substance de Abd Allah Ibn al – Tayyib, in Orientalia Hispanica (Mélanges Pareja), Vol. 1. Leyde 1974, pp. 640 – 644

١٠ ـ الكلام في الاتحاد .

١١ ـ تعديد آراء الناس في الاتحاد وحججهم ورد شذرات من هذا الكتاب في «مجموع أصول الدين» للمؤتمن ابن العسّال.

١٢ ـ مقالة في التوبة.

يحوي ١٤ فصلاً. يوجد منه مخطوط في مكتبة باريس وشذرات (الفصول ٣ إلى ٦) في «مجموع أصول الدين» للمؤتمن ابن العسّال.

١٣ ـ مقالة عددها أربعة عشر باباً.

نشرها الأب سمير خليل في مجلة بين النهرين... جـ ١٥ (١٩٧٧) ص ٢٤٧ ـ ٢٦٢، ٣١٩ ـ ٣٢١: صفحات من مقالة مفقودة لابن الطيب من مجموع أصول الدين لابن العسّال. وترجمها إلى الفرنسية الأستاذ تروبو:

Gérard Troupeau, Traité sur la science et le miracle et fragments du Traité sur les fondements de la religion de 'Abd Allah ibn al – Tayyib, in Edudes de civilisation Médiévale (IX – XIIe s.) (– Mélanges E.R.Labande), pp. 675 – 679

١٤ ـ مقالة في القيامة.

ذكر ابن العسّال منه شذرات في كتابه «مجموع اصول الدين» في الفصلين ٦٣ و ٦٨

جراف جـ ٢، ص. دظ القفطي ٢٤٤ (القاهرة)

عيسى بن علي

تلميذ يحيى بن عادي في المنطق، توفي سنة ١٠٠١ معروف كمؤلف قاموس سرياني عربي.
وقد ورد عند القفطي ما يلي:

«عيسى بن علي بن عيسى بن داود بن الجراح أبو القاسم ولد الوزير، إمام في فنون متعددة. سمع الحديث الكثير ورواه وحضر مجلس روايته اجلاء الناس. وكان قيّماً بعلم الأوائل قرأ المنطق على يحيى بن عادي وأكثر الأخذ عنه وتحقق به وأفاد جماعة من الطلبة، وناظر وحقق وسئل فيه فأجاب أجوبة سادة لم يخرج فيها عن طريق القوم.

ورأيت نسخة من السماع الطبيعي التي قرأها على يحيى بن عدي شرح يحيى النحوي وهي في غاية الجودة والحسن والتحقيق.

وكانت له عليها حواشٍ حصلت بالمناظرة حالة القراءة وهي بخطه وكان أشبه شيء بخط علي بن مقلة في القوة والجريان والطريقة. وكانت هذه النسخة في عشرة مجلدات كبار. وقد حشاها بعد ذلك جورجيس اليبرودي بشرح ثامسطيوس للكتاب وقد كان عيسى بن علي هذا تقدم في الدولة وخدم بعض الخلفاء كتابة.

وتوفي في بغداد في سحرة يوم الجمعة لليلة بقيت من شهر ربيع الاخر سنة ٣٩١هـ/١٠٠١» (القفطي، طبعة القاهرة ص ١٦٣).

جراف جـ ٢، ص ١٧٧

ابن أبي أصيبعة جـ ١، ص ٢٤٠

القفطي ص ٤٠٣ (القاهرة)

أبو الحسين البصري

توفي سنة ١٠٣٨

فيلسوف وطبيب كحّال نسطوري، تلميذ عبد الله بن الطيّب وقد وردت مقتطفات من كتابه في الجدل مع المسلمين في «كتاب البرهان» لأبي شاكر بن الراهب (القرن الثالث عشر) انظر:

Adel Y. Sidarous, Ibn ar – Rahibs Leben und Werk. Ein Koptisch - arabischen Enzyklopädist des 7 13 Jahrhunderts, Friburg, 1975, pp. 97 – 182

ففي الفصل الثلاثين يخالف أبو الحسين رأي المشايخ والمعتزلة الذين يذهبون إلى أن «العلم بأنّ الشيء سيوجد هو نفس العلم بوجوده حال ما يصير موجوداً» ويقدم خمس حجج ضدهم. هذا الفصل في كتاب ابن الراهب يحمل العنوان الآتي: في أن الله تعالى عالم لما يريد علمه. وفي فصل ابن الراهب المعنون: في كونه تعالى حي، يثبت أبو الحسين أن صفة «الحي» في الله هي صفة حقيقية قائمة بذاته.

وكتاب الأنياس بعلم الأنساب، وكتاب في السياسة وكتاب المنخل مختصر «اصلاح المنطق» لابن السكيت إلخ.

وفي السنة الأخيرة من حياته (١٠٢٦م) جاء لوزير أبو القاسم إلى نصيبين ثلاث مرات واجتمع مع ايليا المطران. أما موضوع المناقشات فهو غالباً ديني ويتناول التثليث والتوحيد، وتجسد الكلمة وصحة الديانة المسيحية ورأي القرآن في المسيحية وتفسير إيمان النصارى إلخ. وهناك أمور أخرى كالموازنة بين اللغة العربية واللغة السريانية ورأي النصارى في الفلسفة وعلم الكلام والنفس ورأيهم في أحكام النجوم وفي اعتقاد المسلمين إلخ.

وقد نشر هذه المجالس الأب شيخو في مجلة المشرق جـ ٢ (١٩٢٢) ص ٣٣ ـ ٣٤، ١١٢ ـ ١٢٢، ٢٦٧ ـ ٢٧٢، ٣٦٦ ـ ٣٧٧، ومرة ثانية في كتيب عنوانه..

ص ٢٦ ـ ٧٣.

٢ ـ مراسلة بين اليا النصيبي والحسين بن علي المغربي.
انظر فهرس مكتبة الأب سباط الجزء الثالث ص ١٠ ـ ١٩.

٣ ـ رسالة في وحدانية الخالق وتثليث أقانيمه.
نشرها الأب لويس معلوف في مجلة المشرق جـ ٦ (١٩٠٣) ص ١١١ ـ ١١٦ ونقلها عن جديد الأب شيخو في كتابيه Seize traités ص ١٠٤ ـ ١٠٩ و Vingt traités ص ١٢٤ ـ ١٢٩ وترجمها إلى الإيطالية Guiseppe Gabrieli في Essarione جـ ٧ (١٩٠٣) وإلى الفرنسية الأب دللي ص ٨٨ ـ ٩٣.

٤ ـ رسالة في الخالق.

٥ ـ رسالة في حدوث العالم ووحدانية الخالق تقدس اسمه وتثليث الاقانيم انظر مكتبة مخطوطات سباط جـ ٢ ص ١٣٩ رسالة عن معنى كلمة «كيان» وكلمة «إله».

٦ ـ كتاب البرهان على صحيح الإيمان. ترجمة إلى الألمانية

L.Horst, Des Metropoliten Elias von Nisibis Buch vom Beweis der Wahrheit des Claubens (Colmar 1886)

٧ ـ مقالة في نعيم الآخرة.
نشرها الأب سمير خليل في مجلة «بين النهرين» جـ ٥.

٨ ـ خمسة شكوك وأجوبتها.

٩ ـ رسالة في فضيلة العفاف.
نشرها جورج رحمه الله في مجلة المشرق جـ ٦٢ (١٩٦٨) ص ٣ ـ ٧٤.

١٠ ـ كتاب دفع الهم.
نشرها قسطنطين الباشا، القاهرة ونشر المقدمة مصحوبة بتعليقات، الأب سمير خليل في «رسالة الكنيسة» (١٩٧٤) ص ٢٠١ ـ ٢٠٧؛ ٢٥٢ ـ ٢٥٦؛ ٣٠٦ ـ ٣١١.

١١ ـ الحكم النافعة للنفس والبدن.
نشرها وترجمها إلى الايطالية الأب بولس سباط.

Lassime di Elia metropolitano di Nisibi (975 - 1056), Le Caire 1936

١٩ ـ تسبيحات مار اليا.
السبح لك يا الله، السبح لك يا الله
سبحانك يا أبا الحق
سبحانك يا فاحص الخفيّات
تتلو أربعين «سبحانك»، سلسلة من الطلبات: «يسبحونك عوض الملائكة..».

٢٠ ـ تفسير الأمانة الكبير.
نشر جزءاً منه الأب عمانوئيل كريم دلّي في مجلة النجم (بالموصل ١٩٥٤).

٢١ ـ كتاب الأزمنة قد نشر في أوروبا:

F. W. Brooks et J. B. Chabot, Eliae Metropolitae Nisibeni opus Chronologicum: csco scriptores Syri, Série 111 7 - 8
L. J. Delaporte, La Chronographie D'Elie Bar – Shinaya, Métropolitain de Nisibe Paris 1910.

وقد خصص الأب سمير خليل مقالة مطولة وصف بدقة واسهاب جميع مؤلفات المطران إليا النصيبي انظر

Islamochristiana pp. 257, 286

جراف جـ ٢، ص ١٨٤ (رقم ١٠٠٢)

يوجد في مكتبة الاب بولس سباط مخطوط يحوي ٥٤٦ صفحة لمؤلف مجهول وهو مكوّن من كتابين يظهر أنهما لمؤلف واحد نسطوري من القرن الثاني عشر.

أما الأول فهو جواب لمراسل مسلم كتب له مستفسراً عما يستطيع أن يعطيه بخصوص المسيح. يقول هذا المراسل أنه يجد في كتب النصارى تناقضاً واختلافاً فيما يعتقدونه ويعبدونه وانهم تارةً يصفون السيد المسيح له المجد بأوصاف إلهية وتارة يصفونه بالأوصاف الإنسانية.

فيجيب المؤلف: سألتني أن أذكر لك ما اطلعت عليه من أسرار مذاهبهم وما تحققته من بواطن معتقداتهم وأن يكون ذلك في غاية الاختصار والايجاز. . . فلأجل سؤالك ولقصد إزالة هذه الشكوك من بالك جمعت من كلام المتقدمين والمتأخرين في علم أصول الدين كلاماً مختصراً ألفته وأوضحته وبينته ليصل إلى فهمك ويثلج مفهومه صدرك وقسمته إلى جملتين وخاتمة. الجملة الأولى فيما يعتقدونه في البارىء تعالى واثبات وجوده ووحدانيته والاقرار بإلهيته ووصفه بصفاته الذاتية والأدلة على ذلك. والجملة الثانية في الكلام على السيد يسوع المسيح له المجد. وفي خاتمة الكتاب حل الشكوك الواردة.

أما الكتاب الثاني فهو خاص بحياة السيد المسيح. وهو يحوي خمسين فصلاً وفي خاتمة الكتاب كلام في الاتحاد والاتصال.

ابن أبي أصيبعة جـ ١ ص ٢٠٥ و٢٣٤
الفهرست، ط. فلوجل ٢٩٥، ٢٩٨

أبو عثمان الدمشقي

أبو عثمان سعيد بن يعقوب الدمشقي، رياضي وطبيب عاش في بغداد أيام المقتدر (٩٠٨ إلى ٩٣٢). وكان منقطعاً إلى علي بن عيسى. نقل إلى العربية بعض كتب أرسطو وأقليدس وجالينوس (في الأمزجة والنبض) وفورفيريوس. من أهم ترجماته الكتاب العاشر لأقليدس مع شرح بابوس Pappos الذي لا يوجد إلاّ في ترجمته العربية. وقد كلّفه الوزير علي بن عيسى بالاشراف على بيمارستانات بغداد ومكة والمدينة سنة ٩١٥.

Heinrich Suter, Der Kommentar des Papus zum X. Buche des Euklides (Abhandlungen zur Geschichte der Naturwissenschaften, Heft. 4, 9 – 78,
Erlangen, 1922. German translation, Isis, V. 1942).
Cf Suter, Mathematiker, p. 49, et notes p. 211.
Meyerhof, New lights on Humain Isis, t. qviii, p. 710, 1926.
جراف جـ ٢، ص ١٩٥

التاريخ السَّعِرْدي

لمؤلف نسطوري مجهول استعمل مصادر سريانية قديمة وخاصة تاريخ الكنيسة لدنيال بار مريم (القرن السابع م) والأرجح يرجع تاريخ تأليفه إلى حوالي سنة ١٠٣٦م وكان في الاصل تاريخاً عاماً للعالم. ولم يبق منه إلا أجزاء وهي تصف تاريخ الامبراطورية الرومانية من سنة ٢٥١ إلى ٤٢٢ ومن ٤٨٤ إلى ٦٥٠ وقد استعمل هذا التاريخ كمصدر أساسي للجزء التاريخي من مجموعه ماري

ابن سليمان اللاهوتية المسماة Turnbuch (القرن الثاني عشر) وفيما بعد للتاريخ الكبير لعمر بن متى (القرن السابع عشر).

وقد نشر النص العربي المطران أدّاي شير وترجمه إلى الفرنسية الأستاذ بيرييه

Addaï Scher, Histoire Nestorienne (Chronique de Séert), in Patr. orientale IV, 3.

جراف جـ ٢ ص ١٩٦

مكّخيا بن سليمان

نسطوري ولد في بغداد وكان بطريركاً من سنة ١٠٩٢ إلى سنة ١١٠٩ وكان حريصاً على أن يفهم شعبه ما يقرأ لهم من الكتاب المقدس فترجم لهم القراءات إلى العربية.

مؤلفاته

١ - كتاب في حقيقة دين النصرانية ألّفه لاحد علماء المسلمين.
٢ - كتاب في حقيقة الدين المسيحي.
٣ - قول مختصر في الأبوّة والنبوّة على مذهب النصرانية ورأي عقيدة السريان المسيحيين الساكنين في الجهة المشرقية.

جراف جـ ٢ ص ٢٠٢ شيخو ص ١٨٥

ماري بن سليمان

أحد كتبة النساطرة في القرن الثاني عشر. صاحب كتاب «المجْدل للاستبصار والجدل» وهو أول كتاب شامل منهجي في علم اللاهوت عند النساطرة جمع فيه جميع العلوم الخاصة بالدين من عقائد وأخلاق وطقوس وتفسير ونظام كنسي.

وقد نشر الجزء الأول منه في روما سنة ١٨٩٩. انظر

Henri Gismondi, Maris Amri et Slibae De patriarchis Nestorianorum Commentaria Pars prior. Maris textus arabicus.

وقد ترجم إلى اللاتينية.

جراف جـ ٢، ص ٢٠٢ - ٢٠٥

أبو حاتم إليا بن الحديثي

ولد في ميافارقين. مطران نصيبين ثم بطريرك سنة ١١٧٦ تحت اسم الياس الثالث. توفي سنة ١١٩٠.

له:

١ ـ كتاب جليل بليغ الانشاء يدعى «كتاب تراجم الأعياد يحتوي على خطب مسجّعة. طبع في الموصل ونشر في مجلة المشرق عدة خطب منه لم تطبع بعقوب.

Yacoub, prêtre chaldéen de Mossoul, Discours religieux pour les principales fêtes de l'année par Elie III.

كتاب التراجم السَّنية للأعياد المارانية، الموصل ١٨٧٣ وقد أعيد بعض هذه الخطب في «كتاب الخطب» القاهرة ١٩٠٤، وجزءٌ منها طبع في كتاب الجوهرة النفيسة في خطب الكنيسة، القاهرة ١٩٠٤.

٢ ـ كتاب تعزيات تقال على الموتى وهو أيضاً عبارة عن خطب تلقى في الجنازات.

جراف جـ ٢، ص ٢٠٥
شيخو المجاني جـ ٥، ص ٤٣ ـ ٤٦
شرح المجاني جـ ٢، ص ٧٠٣ وما بعدها

ربيل الدنيسري

قس نسطوري صاحب خطب مسجعة، بمناسبة الصيام الأربعيني نشرت في الموصل سنة ١٨٧٣ واقتبس بعضها الأب شيخو في مجموعة المجاني وشرحها.

جراف جـ ٢ ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩
أبونا ص ٤٢٩ ـ ٤٣٠

يوسف ايشو عياب بن ملكون

ولد في النصف الثاني من القرن الثاني عشر. واتخذ اسم ايشو عياب عندما أقامه البطريرك يهبالاها الثاني مطراناً على نصيبين. وتوفي في النصف الأول من القرن الثالث. له مسائل نحوية ومقالات ورسائل وأغاني باللغة العربية.

١ ـ عقيدة الإيمان، بخاصة في سر التجسد وترجمت إلى اللاتينية.
٢ ـ تفسير قانون إيمان مجمع نيقيا.
٣ ـ مجموعة رسائل نشرها الأب سباط منها: (ص ١٥٢ ـ ١٦٧).

Vingt traités philosophiques et apologétiques, Le Caire 1929.

أ ـ في البراهين على صحة الانجيل.
بـ ـ في الأدلة على صحة الانجيل.
جـ ـ في رد من يتهم النصارى بعبادة الأصنام من حيث انهم يسجدون للصليب ويكرمون الصور.
د ـ مقالة في القيامة.

جراف جـ ٢، ص ٢١٠

عمّار البصري

فيما بين القرنين العاشر والثالث عشر. ذكره أبو اسحاق بن العسّال في كتابه «مجموع أصول الدين».

له من الكتب:

١ ـ كتاب البرهان في الدين على سياقة التدبير الإلهي.

٢ ـ كتاب المسائل والأجوبة. أربع مقالات تعالج المسائل الآتية:

(أ) قدم ووحدة الخالق: ٢٨ مسألة.

(ب) صحة الأناجيل وكيف تتفق ووجود الله: ١٤ مسألة.

(ج) الثالوث الأقدس: ٩ مسائل

الإنسان: ٥١ مسألة.

جراف جـ ٢، ص ٢١١
القفطي ص ٣٦٠
ابن العبري ٤١٦
Ency. de l' Islam
شيخو جـ ٣، ص ١٥ ـ ١٦

ابن ماري ابن المسيحي

أبو العباس يحيى بن سعيد بن ماري المسيحي الطبيب البصري المتوفى سنة ١٢٢٥م. ويروي الحاج خليفة (جـ ٦ ص ٦٥) سنة ٥٨٩هـ/ ١١٩٣ له مقامات على شبه مقامات الحريري دعاها المقامات المسيحية. يقول ابن العبري (ص ٤١٦): صاحب المقامات الستين صنفها وأحسن فيها. وكان فاضلاً في علوم الأوائل وعلم العربية والشعر يرتزق بالطب. ومن شعره في الشيب:

نفرت هند من طلائع شيبي ... واعترتها سآمة من وجومي
هكذا عادة الشياطين ان ينفرْ ... نَ إذا ما بدت نجوم الرجوم

انظر:

ـ السمعاني، المكتبة الشرقية جـ ٣، ١، ص ٥٥٧.

ـ ياقوت، ارشاد الأديب (ط. مرغليون) جـ ٧، ص ٢٩٥.

ـ بروكلمان، جـ ١، ص ٢٧٨؛ ملحق جـ ١ ص ٤٨٩ ـ ٩٦٤.

جراف جـ ٢، ص ٢١٢
السمعاني، المكتبة الشرقية ص ١١٤
شيخو، ص ١٣

إبراهيم بن عون الاسكافي النسطوري

صاحب كتاب اسمه: «حلّ الشكوك والردّ على اليهودي المخالف». وقد أخذ منه الصفي ابن العسّال في كتابه الصحائح. الكتاب مكتوب على شكل حوار وهو يحتوي على أقسام تضم ١٢٣ مسألة. ويقتبس المؤلف من الكتاب المقدس النصوص التي سببت عند اليهود بعض الاعتراضات على المسيحية ويفسرها.

عاش في القرن التاسع الميلادي في عهد الخليفة المتوكل

جراف جـ ٢ ص ٢١٣
شيخو ص ١١٦

سليمان أسقف البصرة

كان في النصف الأول من القرن الثالث عشر. من النساطرة. له كتاب النحلة في أخبار العهدين القديم والجديد. ومعلومات وفوائد شتى كتبه في السريانية في ٤٠ باباً مطبعة العلامة الانجليزي بادّج مع ترجمة انجليزية.

Wallis Budge, The Book of the (Anecdota Oxniensia, Oxford 1886.

وترجم أيضاً إلى اللاتينية وهذا الكتاب قد نقل قديماً إلى العربية.

جراف جـ ٢، ص ٤
شيخو ص ١٤٦

عبد يشوع الصوباوي

مطران نصيبين وأرمينية النسطوري المتوفى سنة ١٣١٨م. أحد مشاهير كتبة الكلدان. مما يعرف له بالعربية:

١ ـ ترجمة الأناجيل المقدسة مسجّعة مقسمة على ترتيب قراءات الطقس الكلداني.
٢ ـ مقالة في التثليث والتوحيد والحلول والاتحاد نشرها الأب شيخو في كتابه: مقالات دينية قديمة (ص ١٢٠ ـ ١٢٤).
٣ ـ كتاب فرائد الفوائد في أصول الدين والعقائد ألفه سنة ١٣١٣م. ذكره عمرو بن متى أنظر غنيمة البغدادي في مجلة المشرق ٧ (١٩٠٤)، ص ٩٩٨ ـ ١٠٠٣.

جراف جـ ٢، ص ٢١٦
شيخو ص ١٤٩
أبونا ص ٤٥٤ ـ ٤٥٧.

عمرو بن متى بن بهنام

الطيرهاني النسطوري كان في الشطر الأول من القرن الرابع عشر. اختصر كتاب ماري بن سليمان الذي عنوانه «كتاب المجدل» في الاستبصار والجدل عن معتقدات وتاريخ النساطرة.
انظر بياناً عن كتاب المجدل في كتاب أدب اللغة الآرامية للأب أبونا ص ٤٥٤ ـ ٤٥٧.
جراف جـ ٢، ص ٢١٧

صليبا بن يوحنا

القسيس الموصلي النسطوري من كتبة أواسط القرن الرابع عشر. من تآليفه:

١ ـ كتاب تاريخ بطاركة الكلدان. وقد طبعه في رومية الأب هنري جسمندي اليسوعي سنة ١٨٩٧ وترجمة إلى اللاتينية.

Henri Gismondi, Maris Amri et Slibae De patriachie Nestorianoeum Commentaria.

والتاريخ المذكور يدخل في تأليف أوسع وهو السفر الثاني من أسفاره الخمسة ومختصر كتاب المجدل لماري بن سليمان.

٢ ـ مجادلة جرت بين ايشوع الراهب ورأس الجالوت رئيس اليهود في أمر السيد يسوع المسيح. كتبه صليبا بقبرص سنة ١٣٣٠م.

٣ ـ تعريب كتاب الإقرار والأمانة التي يعتقدها النصارى السريان المشارقة من إنشاء ميخائيل أسقف آمد وميافارقين.

٤ ـ رسالة البرهان والارشاد.

الفصل الثالث

اليعاقبة

جراف جـ ٢ ص ٥٥٤
شيخو ص ٢٤٥ ـ ٢٤٨

يعقوب البردعاني: البردائي. Jakob Bardacus

توفي سنة ٥٧٨.
وهو منظم الكنيسة الطبيعة الواحدة وقد ألصق اسمه بهذه الكنيسة فسميت الكنيسة اليعقوبية.
وقد عزي له خطأ بعض الكتيبات خاصة بقانون الإيمان والسيدة العذراء ولكن هي، في الحقيقة، من يد البطريرك اغناطيوس نوح.

جراف جـ ٢ ص ٥٢٢

حبيب بن خدمة أبو رائطة التكريتي

مطران يعقوبي في الربع الأول من القرن التاسع وهو معاصر أبو قرّة والخليفة المأمون.

مؤلفاته:

١ ـ رسالة في الثالوث المقدس
يوضح فيها معنى الثالوث مستعيناً ببعض المعاني الفلسفية مثل الواحد، والجوهر والأقنوم والصفات الذاتية: الحياة، العلم والحكمة وببعض الأمثلة في عالم المخلوقات مثل النور والشمس والإنسان ويذكر بعض الشواهد من العهد القديم ومن القرآن. كما أنه يفنّد زعم القائلين بتحريف الكتاب المقدس.
٢ ـ رسالة في التجسد.
٣ ـ صحة النصرانية.

جراف جـ ٢ ص ٢٢٨
ابن أبي أصيبعة ص ٢٠٤
فهرست ٢٤٤ و ٢٥٠
القفطي ٣٧ و ٣٩
سباط ٢٥١٧

عبد المسيح بن ناعمة بن عبد الله الحمصي

نقل إلى العربية، فيا بين سنة ٨٣٠ وسنة ٨٣٥ كتاب السوفيسطيقا لأرسطو إلى السريانية وكتاب الطبيعيات إلى العربية. ولكن أهم ترجماته كتاب الأثولوجيا وقد ورد في ابتداء الرسالة هذه الفقرة:

«الميمر الأول من كتاب ارسطاطاليس الفيلسوف المسمى باليونانية «اثولوجيا» وهو قول على الربوبية تفسير فرفوريوس الصوري ونقله إلى العربية عبد المسيح بن عبد الله بن ناعمة الحمصي وأصلحه لأحمد بن المعتصم بالله، أبو يوسف يعقوب ابن اسحق الكندي رحمه الله.

ولهذا الكتاب تاريخ طويل وأهمية كبرى في تاريخ الفلسفة الإسلامية انظر المقدمة المطولة للدكتور عبد الرحمن بدوي الذي درس فيها هذا التاريخ قبل نشر النص العربي (انظر: افلوطين عند العرب القاهرة ١٩٥٥).

جراف جـ ٢ ص ٢٣٣
ابن ابي أصيبعة جـ ١ ص ٢٣٥
القفطي ص ٣٦١ - ٣٦٤

يحيى بن عديّ

ولد هذا المفكر اليعقوبي الشهير، الغزير الانتاج سنة ٨٩٣ في تكريت. منذ طفولته نزح إلى بغداد وهي حينذاك عاصمة الخلافة والمركز الرئيسي للعلوم العالية. وتتلمذ فيها لأشهر فلاسفة عصره، النسطوري أبو بشر متى وأبو نصر الفارابي (المتوفى سنة ٩٥٠) الذي كان له الفضل الأكبر في إدخال الفلسفة الأرسطية في فلسفة القرون الوسطى.

بعد انتقاله إلى الشام ترأس ابن عدي مكانه في المدرسة الفلسفية التي كان محورها فالتفّ حوله نخبة من الشبان المسيحيين والمسلمين ليستقوا من علمه. فبقي في بغداد طول حياته الطويلة. وقد أمضى حياةً علمية جادة لم يزعجها طارىء من طوارىء الحياة. فكان صابراً على العمل دؤوباً في نسخ الكتب. فقد ذكر ابن النديم في كتاب الفهرست في هذا الصدد: «قال لي يحيى بن عدي يوماً في الوراقين وقد عاتبته على كثرة نسخه. فقال لي: من أي شيء تعجب في هذا الوقت من صبري؟ قد نسخت بخطي نسختين من التفسير للطبري وحملتها إلى ملوك الأطراف وقد كتبت من كتب المتكلمين ما لا يحصى ولعهدي بنفسي وأنا أكتب في اليوم والليلة مائة ورقة وأقل».

وفي نفس الوقت كان يؤلف كتباً في الفلسفة واللاهوت، ففي ميدان الفلسفة ترجم من اليونانية والسريانية كتباً للقدماء وألف في مواضيع فلسفية شتّى. وكثير من أعماله الفلسفية لم يصل

إلينا منها إلاّ عناوينها. وأما كتبه اللاهوتية فقد نجت من التلف وأكثرها محفوظة في مخازن المخطوطات.

عمّر يحيى بن عدي طويلاً فتوفي في سنّ الحادية والثمانين، في ١٥ اغسطس سنة ١٩٧٤.

وقد أجمع معاصروه على تقديره وتفوقه في ميدان الفلسفة وعلم الكلام والجدل. فكانوا يطلقون عليه ألقاباً تشير إلى هذا التقدير فسمّوه «الفيلسوف» و «المنطقي»؛ وقال عنه ابن أبي أصيبعة: «وإليه انتهت الرئاسة ومعرفة العلوم الحكمية في وقته» (جـ ١، ص ٢٣٥).

فقد كان باتصال وثيق، بحكمة الفلاسفة الأقدمين إذ ترجم كثيراً من كتبهم وفسرها. وقد تلقى من الفارابي المنهج الفلسفي وطريقة تناول المسائل الدينية والفلسفية وقد استطاع أن يضع تكوينه الأرسطي في خدمة عقيدته والدفاع عنها واثبات مكانتها من العقل. ولكن لم يسلم أمره إلى أرسطو في كل ما ذهب إليه فلم يسايره عندما يخالف تعليمه الحقائق الدينية، فقد نبذ مثلاً تعليم أرسطو القائل بقدم العالم، وفي نظرية المعرفة لم يتقيّد ابن عدي بالنظرية الأرسطية بحذافيرها بل احتفظ بنزعته الخاصة.

مؤلفاته:

لقد اكتشف أخيراً عدد كبير من رسائل ابن عدي الفلسفية التي تدل على أنه لم يكن لاهوتياً عميقاً فحسب بل أيضاً فيلسوفاً متعمقاً بمعاني الميتافيزيقا.

أما مؤلفاته اللاهوتية فهي كلها إما عبارة عن دفاع عن العقيدة المسيحية، وإما إزاء اعتراضات المفكرين المسلمين.

أما في جداله مع مفكري الإسلام فكان شغله الشاغل إظهار حقيقة الثالوث الأقدس ومعنى سرّ التجسد. ولما كان هناك من قبل من المفكرين المسلمين بتحريف الكتب المقدسة، فقد خصّص ابن عدي عدة رسائل لاثبات صحتها. وفي ميدان الأخلاق عالج ابن عديّ قضية الأخلاق وتهذيب سلوكهم. وإننا نثبت هنا قائمة كتبه كما وردت في آخر باحث في شأنها الأستاذ اندرس.

Gerhard Endress, The works of Yahya ibn Adi. An Analytical inventory Wiesbaden, 1977.

الترجمات

١ ـ كتاب النواميس وكتاب طيماوس لأفلاطون.
٢ ـ لأرسطو: المقولات؛ الجدل؛ المغالطون؛ الطبيعيات؛ كتاب النفس؛ ميتافيزيقا؛ الشعر.
٤ ـ إسكندر الأفروديسي: المقولات؛ الطبيعيات؛ كتاب السماء والعالم؛ الآثار العلوية.
٥ ـ ثميسطيوس: كتاب السماء والعالم.
٦ ـ أولمبيودوس: في الكون والفساد.

٢ ـ تفاسير

١ ـ أرسطو: الأرغافون؛ الطبيعيات؛ الميتافيزيقا.
٢ ـ إسكندر الأفروديسي: في الفرق بين الجنس والمادة.

٣ ـ المنطقيات

١ ـ مقالة في البحوث الخمسة عن الرؤوس الثمانية.
٢ ـ مقالة في البحوث الأربعة العلمية عن صناعة المنطق (الهداية لمن تاه إلى سبيل النجاة).
٣ ـ مقالة في آنيّة صناعة المنطق وماهيتها وعلميتها.
٤ ـ مقالة في تبيين فضل صناعة المنطق.
٥ ـ قول فيه تفسير أشياء ذكرها عند ذكره فضل صناعة المنطق.
٦ ـ مقالة في تبيين الفصل بين صناعتي المنطق الفلسفي والنحو العربي.
٧ ـ عدة مسائل في كتاب الايساغوجي.
٨ ـ كتاب في الحاجة إلى معرفة ماهية الجنس والفصل.
٩ ـ مقالة في تبيين أن الشخص اسم مشترك.
١٠ ـ مقالة في أن المقولات عشر.
١١ ـ مقالة في أن حرارة النار ليست جوهراً للنار.
١٢ ـ مقالة في أن الجسم جوهر وعرض.
١٣ ـ مقالة في أن العرض ليس هو جنساً للتسع مقولات العرضية.
١٤ ـ مقالة في قسمة الأجناس الستة التي لم يقسمها أرسطوطاليس.
١٥ ـ مقالة في أن الكم ليس فيه تضادّ.
١٦ ـ كتاب في تبيين أن للعدد والاضافة ذاتين موجودتين في الأعداد.
١٧ ـ مقالة في نهج السبيل إلى تحليل القياسات.
١٨ ـ مقالة في المخرسات المبطلة لكتاب القياس.
١٩ ـ رسالة في وجوب قول القائل «القائم غير القاعد».
٢٠ ـ تعاليق عدّة عنه عن أبي بشر في أمور جرت بينهما في المنطق.

٤ ـ طبيعيات ورياضيات

أ ـ الكل والأجزاء:
١ ـ مقالة في الكل والأجزاء.
ب ـ نقد المذهب الذرّي:
٢ ـ مقالة في تبيين ان كل متّصل إنّما ينقسم إلى منفصل.
٣ ـ قول في أن كل متصل فإنه ينقسم إلى أشياء تنقسم دائماً إلى غير نهاية.

٤ ـ قول في الجزء الذي لا يتجزأ.
٥ ـ مقالة في تزييف قول القائلين بتركيب الاجسام من أجزاء لا تتجزأ.

ج ـ في غير المتناهي.

٦ ـ مقالة في بحوث عن غير المتناهي.
٧ ـ في أن العدد ليس هو ذا نهاية من تلقاء أوله وغير متناهي من تلقاء آخره.
٨ ـ جواب عن فصل من كتاب أبي الجيش النحوي فيما ظنه في أن العدد غير متناهي.
٩ ـ مقالة في أنه ليس شيء موجود غير متناهي لا عدداً ولا عظماً.

د ـ نظرية الحركة:

١٠ ـ كتاب في الرد على من قال بأن الأجسام مجتلبة على طريق الجدل.

هـ ـ رياضيات:

١١ ـ مقالة في أن القطر غير مشارك للضلع.
١٢ ـ جواب عن مسائل لابي علي عيسى بن زرعة.
١٣ ـ مقالة في استخراج العدد المضمر.

٥ ـ إلهيات

١ ـ مقالة في الموجودات.
٢ ـ مقالة في تبيين البحوث العلمية الأربعة عن أصناف الموجود الثلاثة.
٣ ـ مقالة في تبيين وجود الأمور العاقبة.
٤ ـ جواب مسألة وردت من الريّ.
٥ ـ رؤية.
٦ ـ مقالة في ماهية العلم.
٧ ـ مقالة في التوحيد.
٨ ـ كتاب في اثبات طبيعة الممكن.
٩ ـ جواب الدرامي وأبي الحسن المتكلم عن المسألة في إبطال الممكن.
١٠ ـ كتاب الشبهة في إبطال الممكن.
١١ ـ مقالة في تبيين دلالة من يعتقد أن علم الباريء بالأمور الممكنة قبل وجودها.
١٢ ـ كتاب في نقد الحجج في نصرة قول القائلين ان الأفعال خلق الله واكتساب للعباد.

٦ ـ أخلاقيات

١ ـ كتاب تهذيب الأخلاق.
٢ ـ مقالة في سياسة النفس.
٣ ـ إجابة صديقنا عما استفتيناه من المسائل الثلاث.



٧ ـ مسائل فلسفية مختلفة

١ ـ تعاليق.
٢ ـ أجوبة عن مسائل ابن أبي سعيد بن عثمان بن سعيد.
٣ ـ رسالة فيما تحقق من الاعتقاد بعد النظر والتحقيق.
٤ ـ مقالة في جواب إبراهيم بن عدي الكاتب.

٨ ـ اللاهوت المسيحي

أ ـ الدفاع عن صحة العقيدة المسيحية.
١ ـ تبيين غلط أبي عيسى الورّاق عما ذكره في كتابه الرد على . . .
٢ ـ مقالة في تبيين غلط أبي يوسف يعقوب بن اسحاق الكندي. مقالته في الردّ على النصارى.
٣ ـ مقالة في صحة اعتقاد النصارى في الباريء.
٤ ـ مقالة في تمثيل النصارى الابن بالعاقل. والروح بالمعقول.
٥ ـ جواب عن مسائل في الأقانيم الثلاثة.
٦ ـ مقالة في تبيين الوجه الذي عليه يصح القول في الباري انه جوهر واحد ذو ثلاث خواص.
٧ ـ جواب عن مسائل جرت بين يدي علي بن عيسى بن الجراح في التثليث والتوحيد.
٨ ـ كتاب البرهان في الدين.
٩ ـ كتاب في التوحيد.
١٠ ـ مقالة في المعنى.
١١ ـ حواشي أربعة في وحدانية الله وعلمه بما يكون قبل ما يكون.
١٢ ـ رسالة في القول في وحدانية الباري وبأي الأسماء سمّوه واحداً وثلاثاً.

ب ـ المذهب اليعقوبي في تجسد المسيح
١ ـ مقالة في وجوب التأنس
٢ ـ حل حجّة من رام أن يلزم النصارى ان اتحاد الإله الكلمة بالإنسان في حال موته غير ممكن.
٣ ـ جواب عن مسألة سأل عنها مخالف النصارى في نقدهم أوصاف المسيح من جهة التأنس.
٤ ـ مقالة في غلط من يقول ان المسيح واحد بالعرض.
٥ ـ مقالة في إمكان التأنس وإحالة امتناعه.
٦ ـ ردّ عن ثلاثة سؤالات في تصديق القول بموت الإله.
٧ ـ جواب عن ترك الآباء لفظة «مات» في الأمانة الجامعة.
٨ ـ جواب عن سؤال السائل: أي شيء ولدت مريم؟
٩ ـ في قولنا «تجسّد من الروح القدس ومن مريم العذراء».
١٠ ـ مقالة في تنزيه السيدة مريم عن ملابسة الرجال.

جـ ـ نقد النسطورية
١ ـ رسالة إلى أبي الحسن القاسم بن حبيب فيما سأله انشاءه له من الردّ على النسطورية.

٢ ـ نسخة ما زعم أبو الخير بشر بن فضل الصيرفي.
٣ ـ مناقضة لقرياقس بن زكرية الحراني وردّ عليه من ابانة غلط النسطورية.
٤ ـ مناقضة لأحمد بن محمد المصري في نصرته للنسطورية.
٥ ـ مسألة يدلّ فيها على أن المسيح جوهر لا جوهران.
٦ ـ حجتان على النسطورية.

د ـ صحة الأناجيل

١ ـ مقالة في صدق الانجيل.
٢ ـ قول في اختلاف لفظ الأناجيل ومعانيها.

تفسير الكتاب المقدس
عشر مقالات ورسائل.

العبادات المسيحية
١ ـ قول في تضليل من حذف من الصلاة الانجيلية «اغفر لنا كما غفرنا لمن أخطأ إلينا».
٢ ـ إجابة في الصلاة إلى الشرق.
٣ ـ إجابة عن طلب سبب اكرام النصارى للصليب.
٤ ـ قول في سبب إحراق الذبائح.
٥ ـ من شرح حنين بن اسحق في حاشية كتاب السماء والعالم لارسطو.
٦ ـ مقالة في مناظرة في حال ترك طلب النسل.
٧ ـ إجابة صديقنا عما استفتيناه من المسائل.

مسائل لاهوتية مختلفة.

١ ـ أجوبة عن ثلاث مسائل سأله ع نها أبو علي سعيد بن داديشوع.
٢ ـ شرح ما عنّ لي من معاني ـ القول المنسوب إلى ايراثاوس.
٣ ـ في الهيولي.
٤ ـ ايضاح في التوحيد (أبو سليمان السجستاني: مبادىء الموجودات).
٥ ـ مقالة في النار النازلة في كنيسة القيامة
٩ ـ الطب كتاب في منافع الباه ومضاره.
١٠ ـ الشعر.

جراف جـ٢ ص ٢٥٢ ـ ٢٥٦
ابن أبي أصيبعة جـ١ ص ٢٣٥

أبو علي عيسى بن اسحاق ابن زُرْعة (٩٤٣ ـ ١٠٠٨)

أبو علي عيسى بن اسحاق ابن زُرْعَة فيلسوف مسيحي يعقوبي ومترجم، ولد في بغداد في ذي الحجة الموافق اغسطس سنة ٩٤٣ م. وتوفي في شعبان سنة ٣٩٨ الموافق ابريل سنة ١٩٩٨م. (وهذا خلافاً لما ينقله ابن أصيبعة: ٣٧١/ ٩٨١ ـ ٤٤٨/ ١٠٥٦، إذ أن ابن النديم، المتوفى حوالي ٣٧٧/ ٩٨٧، وابن أبي أصيبعة نفسه يذكران صلته بيحيى بن عديّ المتوفى سنة ٣٦٤/ ٩٧٥).

نشأ ابن زرعة في بغداد، وكان كثير الصحبة والملازمة ليحيى بن عليّ. وقد ورد في عيون الأنباء لأبن أبي أصيبعة ان ابن زرعة كان رجلاً نحيف الجسم، حاد الخاطر، عداثاً، مليح المجلس، ملازماً للتدريس والنقل والتصنيف. وقد اضطر، سعياً وراء الرزق، إلى الالتجاء الى التجارة بخاصة الى بلد الروم، الأمر الذي أخّره في أبحاثه الفلسفية على ما يقوله أبو حيان التوحيدي (الاقناع جـ ١، ص ٣٣). وقد سعى به بعض التجار من أعدائه الى السلطان واتهموه بالتجسس لصالح الروم فصودر. وقد نقل الينا أحد الأطباء من أصدقائه أخباراً عن أيامه الأخيرة فيقول: «ولحقته عدة نكبات. فالتأم عليه حرارة المزاج الأصلي وفساد الأغذية وكدّ الخاطر بالتصنيف ومقاضاة الأضداد ومداراة السلاطين. فعرضت له مرضة حادّة واختلاط أبحر فيها بفالج كما يبحر المرضى بأورام نحوها. وكان الناس يعظمونه للعلم. فاجتمع إليه مشايخ الأطباء كابن بكس وابن كشكرايا وتلميذ سنان، وابن كزورا، والحراني، فمضوا بتدبيره بحسب المسطور في الكنانيش. وأنا أقول من حيث لا قدرة لي على مجاهرتهم بالمخالفة لتقدمهم في الزمان: «والله انهم لمخطئون» لانه فالج تابع لمرض حاد لشخص حار المزاج، ثم انهم سئموا من تدبيره. فنقلته الى المرطبات. فخف قليلاً، وشارف الصلاح. وبعد زمان مات. (ابن أبي أصيبعة جـ ١ ص ٢٣٦). وقد توفي يوم الجمعة ١٧ شعبان ٣٩٨ هـ / ١٦ ابريل ١٠٠٨.

إنتاجه

يمكننا أن نقسم مؤلفاته إلى قسمين: المؤلفات الفلسفية ومؤلفاته اللاهوتية.

(أ) أما مؤلفاته الفلسفية فهي تحتوي على كتب مترجمة من السريانية ومؤلفاته الشخصية

وقد ترجم الكتب الاتية:

١ ـ تاريخ الحيوان لأرسطو.

٢ ـ منفعة أعضاء الحيوان، شرح يوحنا النحوي.

٣ ـ رسالة في الأخلاق لمؤلف مجهول.

٤ ـ خمس مقالات لنيقولا الدمشقي في فلسفة أرسطو. ٥ ـ رسالة عن الوشاية لمؤلف مجهول.

٦ ـ جزء صغير من «كتاب النفس» لبروقلس.

٧ ـ كتاب السفسطة لأرسطو.

وجميع هذه الترجمات فقدت ما عدا كتاب السفسطة وهو موجود في مخطوط باريس رقم ٢٣٤٦.

وقد عُزي خطأً إلى ابن زرعة كتاب المقولات وهو موجود أيضاً في هذا المخطوط. ولقد أثبت زنكر أن المترجم الصحيح له هو اسحاق بن حنين (انظر
(J.T. Zenker, Aristoteles Categoriae... Introductio... 1 – 14

أما مؤلفاته:

١ ـ اختصار كتاب أرسطو طاليس في المعمور من الأرض.
٢ ـ كتاب أغراض كتب أرسطو طاليس المنطقية.
٣ ـ مقالة في معاني كتاب ايساغوجي.
٤ ـ مقالة في معاني قطعة من المقالة الثالثة من كتاب السماء.

وقد ضاعت جميع هذه الكتب وكانت مكتوبة بالسريانية وقد أضاف ابن أبي أصيبعة إلى هذه المؤلفات: مقالة في العقل؛ رسالة أنشأها إلى بعض أوليائه يردّ بها على اليهود وهي موجهة إلى بشرّ بن فنحاس؛ رسالة في علة استنارة الكواكب مع أنها والكراة الحاملة لها من جوهرٍ واحد، بسائط.

(ب) رسائله الجدلية اللاهوتية:

١ ـ رسالة في العقل. وقد ذكر ابن زرعة أنّه كتبها على أثر رؤية طلب منه فيها يحيى بن عديّ أن يؤلفها. وهي في مخطوط باريس مبتورة العنوان، وفي مخطوط الفاتيكان رقم ١٢٧ تحمل العنوان الاتي: «مقالة، في معنى الاب... وهو مركّب». وقد اطلق الدكتور جراف جـ ٢ ص ٢٥٢ على هذه الرسالة العنوان الاتي «في الثالوث». وهذا يتجاوز مضمونها.
وقد الفّها في ٨ رمضان سنة ٣٦٨هـ/ ٨ أبريل ١٩٧٩.
وقد نشرها الاب سباط في «عشرين مقالة...» ص ٦٨ ـ ٧٥ حسب المخطوط ١٥٢٠ من مكتبته.

٢ ـ رسالة إلى صديق مسلم حيث يعالج مسألة وجود الله وصفاته ويدافع عن المذهب المسيحي. حرّرها في ذي الحجة ٣٧٨/ أبريل ٩٨٩ طبعة سباط ص ٦ ـ ١٩.

٣ ـ ردّ على خمسة أسئلة من الكتاب المقدس ليوسف أبي حكيم البُحيري، وهو نسطوري من تلاميذه، أصله من ميافارقين (انظر جراف جـ ٢، ص ١٥٧ ـ ١٥٨).

٤ ـ ردّ على اثني عشر سؤالاً آخر لابي الحكم سنة ٣٨٧هـ/ ٩٩٧ تدور حول الخلق، والمسيح، والرسل، والملائكة إلخ.

٥ ـ الردّ على كتاب أوائل الادلة لابي القاسم عبد الله بن أحمد البلْخي (في القعدة ٣٨٧/ نوفمبر ٩٩٧)، طبعة سباط ص ٥٢ ـ ٥٨.

٦ ـ رسالة إلى اليهودي بشر بن فِنحاس بن شُعَيب الحاسب (٣٨٧هـ/ ٩٩٧). طبعة سباط ص ١٩ ـ ٥٢. ويوجد منها مقتطفات في كتاب «مجموعة أصول الدين» لابي اسحاق بن العسّال الباب السادس والباب ٦٣.

٧ ـ مقالة في الوحدة أي اتحاد اللاهوت والناسوت في المسيح.

٨ ـ الدفاع عن المذهب اليعقوبي ضد من يأخذون عليه أنه يُعزى لله الالام والموت.

٩ ـ مسائل خاصة في هيئة الجسد أثناء الصلاة، والاندرة والصوم والصدقة.

١٠ - رسالة كتبها لأحد ملازميه يدافع فيها عن الذين يزاولون المنطق والفلسفة ويردّ عنهم تهمة الزندقة.

وزيادة عن هذه الرسائل العشرة توجد مجموعة من التعريفات لبعض الاصطلحات الفلسفية مثل الجوهر والعرض والخاص والنسبة والنقطة والمقدار.

نهجه:

يتّسم منهج ابن ذرعة بطابعه العقلي والدفاعي. فيشرع بتحديد موضوع المناقشة، مبتدئاً من المبادىء التي أثبتها، فيذكرها باقتضاب لتكون نقطة انطلاق مسلمة بها. ثم يقسم الموضوع إلى عدّة أجزاء وهو ينتقل من جزء إلى آخره.

وهو يفضّل البراهين العقليّة الصرف فهي تكوّن الجزء الأكبر من مؤلفاته؛ وكثيراً ما تدور حول اثبات الثالوث، واتحاد الطبيعتين في المسيح وصحة الدين المسيحي. أما المبادىء الاساسية فقوامها منطق أرسطو أو أحياناً المذهب الأفلاطوني (أو الأفلوطيني) إذ كان يعتقد كجميع معاصريه في القرون الوسطى أنه لا فرق أساسي بين أرسطو وأفلاطون.

وهناك مصدران آخران يستند إليهما ابن زرعة، هما الكتاب المقدس وآباء الكنيسة. ولم يلجأ إلى الاول إلا في مناقشته مع اليهود والنصارى، وأحياناً أيضاً مع المسلمين عندما يرى لديهم رغبة في التوسع في معرفة المذهب المسيحي. وأهم مصادره في الاباء ديونيسيوس ايرباجي وجريجوريوس النازيتزي وكانا لهما حينذاك شهرة كبيرة لدى المسيحيين.

أما أسلوبه فيشهد له معاصروه بحسنه. فيقول مثلاً ابن النديم والقفطي أنه «أحد النقلة المجودين». ويقول أبو حيّان التوحيدي انه «كان حسن الترجمة، صحيح النقل، كثير الرجوع إلى الكتب، محمود النقل إلى العربية».

مذهبه الفلسفي

لم يؤلف ابن زرعة كتباً شاملة في الفلسفة غير ان الاب كيركس حداد، صاحب رسالة دكتوراه عن ابن زرعة استطاع أن يقتبس بعض النصوص والاراء التي تمتّ إلى الفلسفة من رسائله المختلفة، فلسفية كانت أم لاهوتية.

وقد بين آراء زرعة في الطبيعيات. وقبوله لمذهب أرسطو في العلل واعتقاده بحرية الانسان، واستناده على طبيعة العقل الانساني لمحاولة تفسير العقيدة المسيحية الخاصة بالثالوث، ونظرية المعرفة وأنواعها وموقف ابن زرعة من الاخلاق وكيف يميز بين سنن ثلاثة: طبيعية وعقلية ووضعية.

مذهبه اللاهوتي

لقد كان أعظم انتاج ابن زرعة الفكري منصباً على المسائل اللاهوتية وهو يحاول أن يدافع

عن العقيدة المسيحية، موجهاً بخاصةٍ في موضـوع وحـدانية الله، والثالـوث الأقـدس وألـوهية المسيح.

أما فيا يخصّ الموضوع الأول، فقد أخذ ابن زرعة من مذهبه الخاص بالعقل سبيلاً لاثبات الثالوث في الإله الواحد. ومؤدى برهانه هو أن الذات التي يشار إليها باسم الإله ذات واحدة وهي «والوحدانية فيها موجودة خالصة متى لحظت عرية من الصفات. . . وذلك أنها متى وصفت بصفات مختلفة فإن الذات مع كل واحدة من الصفات المختلفة غيرها مع الصفات الأخرى. وهو يرجع الصفات عند الله إلى ثلاث رئيسه: الجود والحكمة والقدرة. فالذات الإلهية واحدة بالرغم من تعدّد الصفات.

وبين الذات الإلهية وهذه الصفات الرئيسة «مناسبات». «فسمى البادىء العقل من هذه الثلاثة آباً. وسموا تلك الذات كانت عاقلة ذاتها ابناً لتولد هذا المعنى عن ذات الاب الذي خصّوه باسم العقل. . . فالعاقل إنما كان عاقلاً بالعقل، فهو لذلك شديد الملابسة والمشابهة والمشاركة في معنى العقل. فجعلت المناسبة القريبة بينهما أعني العقل والعاقل هي تشبه الابوّة والنبوّة. . . وجعلوا المعقول من هذه الثلاثة المعاني هو الروح علـى جهة التمثيل من قبل أن الروح كأنها أمر خارج من ذي الروح وهو أبعد منه، كما أنّه المعقول أبعد عن معنى العقل من معنى العاقل. فإنّ ذات المعقول قد تكون في بعض الأشياء من خارج وتكون مباينةً للعقل. فأما في هذا المعنى فإنه غير مباين. وإنما قيل ذلك على جهة التشبيه والمناسبة».

أما فيا يخص المسيح فهو يحـاول اثبات ألوهيتـه بشهـادة الانـاجيل ومعجزاتـه وبانتشـار المسيحية. وهو لا يقول بامكان التجسد فحسب بل بضرورته إذ إن الباري يريد «البلوغ بنا إلى أقصى غاية في النعمة وهي أن يصلنا بذاته. ولو لم ينلنا ذلك للزم إحدى الشفاعتين وهما العجز والبخل».

أما طريقة اتحاد الذات الإلهية بالطبيعة الإنـسانية فهو يلجأ في تفسيرها إلى المذهب اليعقوبي ـ وهو مذهبه ـ مع شيء من التعديل فهو يقول: «وأما اليعقوبية فتذهب إلى أنه طبيعة واحدة وقنوم واحد لا يتكثر، وان الطبيعتين لا يفسـدهما تركيب أحدهما مع الآخرى ولا مخالطة إحداهما الآخرى ولا امتزاجهما». (ص ٢٧٤).

المصادر

أهم مصدر هو كتاب الاب كيرلس حدّاد المخلّص: عيسى بن زرعة فيلسوف عربي ومفسر للدين المسيحي في القرن العاشر، بيروت، دار الكلمة ١٩٧١، وهو باللغة الفرنسية ولكن يذكر المؤلف نصوصاً عديدة لابن زرعة. وقد ذكرنا بعضها في مقالتنا وعنوان الكتاب هو:

P. Cyrille Haddad, Isa Ibn Zur a, Philosophe et apologiste chrétien.

ـ مباحث فلسفية دينيّة لبعض القدماء من علماء النصرانية، انتخبهـا القس بولس سبـاط وصححها وعلّق عليها، القاهرة ١٩٢٩. وهي عشرون مقالة؛ الأربـع الأولى لابن زرعة.

ـ دائرة المعارف الإسلامية، مقالة: ابن زرعة (في الطبعة الجديدة) ابن النديم، الفهرست، ط القاهرة ص ٣٦٩ ـ ٣٧٠؛ أبو حيان التوحيدي، الاقناع جـ ١، ص ٣٣؛ ابن القفطي، جـ ٢، ص ٢٤٥؛ ابن العبري، جـ ٣ ص ٢٧٧؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء جـ ١، ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦؛ البيهقي، تتمة... ص ٦٦ ـ ٦٩ جراف، تاريخ الادب العربي المسيحي، جـ ٢، ص ٢٥٢ ـ ٢٥٦.

جراف جـ ٢، ٢٥٩

نجم الدين العباس أحمد بن عبد الرحمن

تلميذ ابن سينا. وقد بقي لدينا ردّه عن سؤال أرسله له باشوس الضرير وهو يُضْفي عليه الاسامي المفخمة. والسؤال خاص ببعض الفوارق بين مذهب اليعاقبة ومذهب النساطرة.

رسالة من باشوس الضرير إلى الشيخ الإمام نجم الدين أبي العباس أحمد وجوابها في تفضيل مذهب اليعاقبة على مذهب النساطرة. قال الخادم الحقير التلميذ باشوس الضرير مفتقر إلى سؤال يلتمس جوابه من سامي مجلس سيدنا الاجل السيد الصدر الاوحد الكامل الفاضل الربّاني الحكيم المتأله المطلق الفيلسوف الحق زبدة العالم الارضي الملآن من الأنوار المتألقة من نور يملأ السموات والأرض نجم الدين بل الاديان سيد علماء الشرائع بل والطبائع.

الجواب من الشيخ الإمام الرئيس الصدر الأوحد نجم الدين أبي العباس أحمد بن عبد الرحمن بن وهبان حرس الله أيامه بسم الله الرحمن الرحيم.

Il me parait douteux cet auteur soit chrerien!
Pourtant Graf. Indique extrait dans Ibn Assal à vérifier: Grundlehrem der religeon Ch. 8.

جراف جـ ٢، ص ٢٥٩

محي الدين العجمي (الاصفهاني)

في القرن العاشر. له في مكتبة باريس (رقم ٢٠٢) مقالة في العقل والمعقول. وفي مكتبة ليدن مقالة أخرى عنوانها، الشرف الحديث في شرف التوحيد والتثليث وهي في ستة فصول.

Graf Shalh Echres 572 et 573.

جراف جـ ٢، ص ٢٦٣

يوحنا يوشاع بن شوش

ولد في صدر المئة الحادية عشرة في مَلَطية. انتخب بطريركاً لليعاقبة باسم يوحنا العاشر سنة ١٠٥٨. توفي سنة ١٠٧٢.

كان نشيطاً، عاكفاً على التأليف واستنساخ الكتب وضع ليتورجية وقوانين كنسية عددها ٢٤ جاء ذكرها في ابن العبري ومقالة في الملح والخمير والزيت الذي يستعمله السريان في خبز القربان وكتبها رداً على كريستودولس بطريرك الاسكندرية للأقباط. وكتب ابن شوشان أيضاً أربع قصائد في نهب الأتراك الملطية سنة ١٠٥٨ وله رسائل عديدة منها بالعربية.

له أيضاً رسالة في التوحيد والتثليث رداً على المسلمين.

جراف جـ ٢ ، ص ٢٦٣
شيخو، ص ٩ و٥٧

ديونيسيوس بن الصليبي

هو يعقوب ثم ديونيسيوس بن صليبي مطران آمد اليعقوبي توفي سنة ١١٧١م له في السريانية تآليف عديدة ذكرها السمعاني في مكتبته الشرقية وروبنس دوفال في تاريخ الاداب السريانية.

ومما يوجد له في العربية:

١ ـ تفسير التوراة بالكرشوني في دير الزعفران.
٢ ـ تفسير الانجيل ترجمه من السرياني مار اغناطيوس البطريرك اليعقوب سنة ١٧٥٤ وعليه شروح واسعة مع مقدمة.
٣ ـ وله في مكتبة الموازنة في حلب قوانين في التأبين (انظر المشرق ١٧ ـ ١٩٠٤ ص ٥٩٩ ـ ٦٠١).

الأب البير أبونا، آداب اللغة الآرامية، بيروت ١٩٧٠، ص ٤٧٠ ـ ٤٧٧.
جراف جـ ٢ ص ٢٦٥
شيخو ص ٢٠١

ميخائيل الكبير Michel le Syrien

بطريرك انطاكية اليعقوبي

المتوفي سنة ١١٧١م (اطلب ترجمته في المشرق ٢١ ـ ١٩٢٣ ص ٨٢٤) له التآليف السريانية الجليلة منها تاريخه الكبير الذي عني بنشره الأب يوحنا شابوChabot مع ترجمته إلى الفرنسية ومن هذا التاريخ ترجمة عربية يوجد منها ثلاث نسخ.
جراف جـ ٢ ص ٢٧٢
شيخو، ص ١٠ و٢٣٠ ـ ٢٣١

ابن العبري (أبو الفرج)

أبو الفرج غريغوريوس بن هارون الطبيب الملطي (١٢٢٦ ـ ١٢٨٦). أشهر أعلام الادب السرياني. فقد شملت معارفه العلوم كلها. أما لقب «ابن العبري» فقد أتاه من أبيه الطبيب هارون. وقد ذهب البعض إلى أن أباه من أصل يهودي ثم اهتدى إلى النصرانية إلا أن عامة الأرثوذكس يستنكرون هذا التعليل ويقولون إن هذا اللقب أتى إلى العائلة لولادة أحد آبائها أو لولادة هارون نفسه في أثناء عبور نهر الفرات. ويقول مار غريغوريوس بولس بهنام مطران بغداد السابق، في تعقيبه التاريخي على هذا اللقب أن على ضفة نهر الفرات اليمنى قرية كبيرة تسمى «عبرى» من أعمال جوباس، بينها وبين ملطية بضعة كيلومترات، ذكرت مراراً في التاريخ. فيكون جد ابن العبري قد جلا من هذه القرية إلى ملطية (انظر: الأب ألبير أبونا، أدب اللغة الارامية، بيروت ١٩٧٠، ص ٤٩٤).

وقد نشر ترجمته ووصف تآليفه في نبذة خاصة بعد طبعها في المشرق سنة ١٨٩٨ الأب شيخو

كما تكلم عنه مطولاً الأب أبونا في الكتاب المذكور.

أهم مؤلفاته كتبت بالسريانية مثل موسوعة «زبدة الحكمة» وكتاب اللاهوت النظري «منارة الأقداس» وكتاب اللاهوت الأدبي أو علم الأخلاق وكتاب الحمامة وكتاب الأحداق في الفلسفة و «تاريخ الزمان» إلخ وقد طبع كثير من هذه المؤلفات وترجم البعض منها إلى اللغات الغربية أو إلى العربية حديثاً.

أما تآليفه المعروفة باللغة العربية فهي:

١ ـ منارة الأقداس تعريب دانيال بن الخطاب في أخص العقائد المسيحية.
٢ ـ كتاب القوانين البيعية في ٤٠ باباً تعريب دانيال بن الخطال.
٣ ـ كتاب الأداب وتهذيب الأخلاق يعرف بالاثيقون. عرّبه ابن الخطاب أيضاً.
٤ ـ كتاب الحمامة في العبادة والروحيات معرّب أيضاً.
٥ ـ رسالة في النفس وخواصها في ٦٢ باباً، نشرها الأب شيخو في المشرق سنة ١٨٦٨. وفي آخر ترجمته ثم في المجموع «مقالات فلسفية قديمة» (الطبعة الثانية ١٩١١، ص ٧٦ ـ ١٠٢).
٦ ـ كتاب مختصر تاريخ الدول عرّبه ابن العبري من كتابه السرياني «تاريخ الأزمنة». طبع أولاً في أكسفورد مع ترجمته اللاتينية في جزئين بهمة المستشرق بوكوك سنة ١٦٦٣ وجدّد طبعه متقناً الأب انطون صالحاني في المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٨٩٠.
٧ ـ وله في مكتبة حلب للموازنة كتاب في المنطق بالسرياني والعربي (انظر المشرق، ١٧ ـ ١٩١٤) ص ٣٥٨.
٨ ـ وفي مكتبة بغداد العمومية كتاب تقدمة المعرفة لأبقراط مع شرحها.
وقد نقل اسم ابن العبري إلى اللاتينية على هذا الشكل BARGBAEUS
٩ ـ الأحاديث المطرية، نشرها الأب شيخو في المشرق ٢٠ (١٩٢٢) ص ٧٠٩، ٧٦٧.

جراف جـ٢، ص ٢٨١

دانيال بن الخطّاب

ربّان دانيال الماردينى اليعقوبي أزهر في أواسط القرن الرابع عشر (اطلب مجلة الشرق المسيحي Revue de l'orient chrétien ، جـ العاشر ص ٣١٨ ـ ٣١٩).

مؤلفاته:

١ ـ كتاب الاشراق في الأصول الدينية والقواعد البيعية.
٢ ـ شرح الأمانة الأرثوذكسية.
٣ ـ كتاب القوانين البيعية في ١٧ فصلاً اختصرها من كتاب أبي الفرج بن العبري. كما اختصر وترجم إلى العربية عدة كتب لابن العبري.

جراف جـ٢، ص ٢٨٤
ابن أبي أصيبعة جـ٢، ص ١٤٠ ـ ١٤٣
القفطي ص ٢٤٥

اليْبرودي

هو أبو الفرج جورجيس بن يوحنا بن سهل بن إبراهيم. كما جاء اسمه الكامل في طبقات الاطباء لابن أبي أصيبعة وهو يقول عنه وكان فاضلا في صناعة الطب، عالماً بأصولها وفروعها. معدوداً من جملة الاكابر من أهلها والمتميزين من أربابها، دائم الاشتغال، محباً للعلم، مؤثراً للفضيلة.

كان مولده ومنشؤه في صدر عمره بيبرود وهي ضيعة كبيرة قريبة من صيدنايا معظم سكانها من المسيحيين. ترك يبرود وذهب إلى دمشق يتعلم صناعة الطب ولما تبصر في أشياء منها وصارت له معرفة بالقوانين العلمية وحاول مداواة المرضى أراد أن يتعمق في أصول مهنته. فذهب إلى بغداد ليتلمذ لإمام وقته في صناعة الطب، وهو أبو الفرج بن الطيب كاتب الجاثليق، وفي نفس الوقت فيلسوف متفنن. فمهر اليبرودي في صناعة الطب وصارت له مباحثات جيّدة ودراية فاضلة في هذه الصناعة واشتغل أيضاً بشيء من المنطق والعلوم الحكيمة. ثم عاد إلى دمشق وأقام بها.

وكانت لليبرودي مراسلات إلى ابن رضوان بمصر وإلى غيره من الاطباء المصريين وله مسائل عدّة إليهم طبية ومباحثات دقيقة. ويضيف ابن أبي أصيبعة «وكتب بخطه شيئاً كثيراً جداً من كتب الطب. ولا سيما من كتب جالينوس وشروحها وجوامعها» وتوفي اليبرودي بدمشق سنة ١٠٣٥م ودفن في كنيسة اليعاقبة بها عند باب توما.

مؤلفاته:

١ ـ مقالة في أن الفرخ أبرد من الفروج نقض كلام ابن الموفق في مسائل ترددت فيما بينهم في النبض.

٢ ـ مقالة في التوحيد والتثليث.

٣ ـ مقالة في صحة الديانة النصرانية.

٤ ـ مقالة في الرد على المسلمين.

٥ ـ مقالة في الرد على اليهود.

وقد نشر الأستاذان يوسف شاخت والدكتور ماكس مايرهوف نص ابن أبي أصيبعة الخاص باليبرودي وترجماه إلى الانجليزية:

Joseph Schacht and Maw Meyerhof, The Medico – philosophical controversy between ibn Bultan of Baghdad and Ibn Ridwan of Cairo. A contribution to the history of Greek learning among the Arabbs (The Egyptian University, The Faculty of Arts, Publication No 13 (Cairo 1937), pp. 28 – 33.

كما ترجمه إلى الفرنسية وشرحه الأستاذ بيانكي:

Thierry Bianquis, Notables ou malandrins d'origine rurale à L'Ipoque fatimide in Bulletin d'Etudes orientales, 26e année 1973 (Damas 1974, pp. I. 185 – 207).

وقد خصص المطران نصر الله مقالاً لليبرودي:

يعقوب السرّوجي

الملقب بكنّارة الروح القدس المتوفي سنة ٥٢١ (اطلب المشرق ٩ ـ ١٩٠٦: ٨٧١ ـ ٩٨١).

كتب بالسريانية ميامير عديدة. وكثير من هذه الميامير قد نقل إلى العربية. فقد طبع الاقباط سنة ١٦٢١ للشهداء ((١٩٠٥) ٥٨ ميمراً عربياً عن بعض مخطوطات دار بطريركيتهم في الاسكندرية. وله ميامير أخرى معرّبة متفرقة في مكتبتي باريس وروما واكسفورد ولندن وكمبردج وفي المكتبة الشرقية للآباء اليسوعيين: أنظر المشرق ٦ (١٩١٣): ٤٥٠ وهي تتناول أعياد السيد المسيح والبتول العذراء والشهداء القديسين ومواضيع أدبية روحيّة.

الفصل الرابع

الملكيّون

جراف جـ٢، ص ٧ ـ ١٩

ثاودروس أبو قرّة

أسقف حران الملكي (٧٤٠ ـ ٨٢٠)

عاش بالأرجح في أواخر القرن الثامن للمسيح وفي أوائل التاسع والمرجح أنه عرف القديس يوحنا الدمشقي. ومما لا ريب فيه أنه تأثر أعقابه وجاراه في محاربة البدع يرد عليها بالبراهين العقلية والأدلة الوضعية.

ولد في الرها ونشأ فيها وجاء إلى Laura مار سابا في فلسطين حيث قابل يوحنا الدمشقي.

وقد أملى بعض مقالاته على توما أسقف أورشليم الذي عاش في أواخر القرن الثامن وكان جالساً على كرسي أورشليم سنة ٨٠٧.

أما مؤلفات ابن قرة فعبارة عن ٤٣ مقالة بين قصيرة ومطوّلة درجت في «أعمال الاباء اليونان» Migne, Patrologie Grecque في المجلد ٩٧ من الصفحة ١٤٦١ إلى ١٦١٠.

وليس هناك اجماع على اللغة التي صنّف أبو قرة تآليفه أهي اليونانية أم العربية. والرأي الأرجح أنه كتبها بالعربية ثم نقلت إلى اليونانية قياساً على ما جاء في مقدمة مقالته الرابعة حيث يقال أنه ملأها بالعربية وترجمها إلى اليونانية الكاهن ميخائيل قيّم كنيسة أورشليم. وبناء على ذلك فتكون مؤلفاته من أقدم الآثار المسيحية في اللغة العربية.

١ ـ أول ما نشر له في مجلة المشرق (سنة ١٩٠٣، ص ٦٣٣) الأب قسطنطين الباشا ميمره في تحقيق ناموس موسى والانجيل الطاهر وتحقيق الأرثوذكسية وإبطال كل ملّة تنتحل النصرانية سواها. ثم طبعه على حدة وأضاف إليه ترجمة فرنسية.

٢ ـ ثم نشر في بيروت تسعة من ميامره نقلاً عن نسخة خطية في مكتبة دير المخلص. وعنوان الكتاب: ميامر ثاودورس أبي قرّة أسقف حران، أقدم تأليف عربي نصراني. (بيروت ١٩٠٤ ـ ٢٢٠ صفحة). وقد نقل هذه الميامر الدكتور جورج جراف إلى الألمانية مع مقدمات وشروح وزيادات.

Georg Graf, Die Arabischen Schriften des Theodor Abu Qurra, Bischofs Von Harran (Ca. 740 – 820), Padeborn, 1910.

٣ ـ وفي المتحف البريطاني توجد نسخة خطية قديمة راقية إلى القرن التاسع (٨٧٧م) تحتوي على

بعض مقالات أبي قرة نشر منها سنة ۱۹۸۷ العالم الألماني جان ارندزن مقالة في عبادة الصور مع ترجمتها إلى اللاتينية.

Joannes Arendzen, Theodori Abu Kurra de Cultu Imaginum Libelluse Codice arabico nunc primum editus Latine Versus Illustratus, Bonn, 1897.

ونشر الأب لويس معلوم في: المقالات الدينية القديمة وخطبته في تأنس الله الكلمة (انظر مجلة المشرق ٦ (١٩٠٣) ص ١٠١١ ـ ١٠٢٣).

٤ ـ وقد نشر الأب لويس شيخو أيضاً في المشرق ١٥ (١٩١٢) ص ٧٥٧ و ٨٢٥ ميمراً في وجود الخالق والدين القديم.

٥ ـ ويروي لأبي قرّة مجادلات لاثبات الدين المسيحي مع علماء مسلمين بحضور الخليفة المأمون.

جراف، جـ ٢ ص ٢٨ ـ ٣٠

إبراهيم الطبراني

راهب من الملكيين أصله من طبريه وتخرج في العراق، في الرها في النصف الأول من القرن التاسع وكان ملكياً. وقد جاء إلى بيت المقدس ولبّى دعوة ولي المدينة عبد الرحمن بن المالك بن صالح الهاشمي (نحو سنتي ٧٩٠ ـ ٨٠٩) لمجادلة فقيه مسلم من البصرة كان مسيحياً: وتوجد هذه المجادلة في مخطوط في الفاتيكان بدايته هكذا: مجادلة إبراهيم الطبراني مع عبد الرحمن بن عبد المالك ذكروا عن عبد الرحمن بن عبد المالك بن صالح الهاشمي طرق فكره في أمر النصارى وفي فكره كثير عقولهم

Vêrifie du: Paris au 214 (1538)

ومواضيع المجادلة هي: الشرك، ابوة الله، ولادة الابن يسمح الله أن يصلب ابنه المفدّى؛ الوضوء، عبادة الصليب، تفوق الأخلاق المسيحية؛ انتشار المسيحية بدون اللجوء إلى القوة؛ اشارة الصليب تحمي من السموم، وتقصي الشياطين.

جراف جـ ٢ ص ٣٠ ـ ٤١

شيخو ص ٣٣

محبوب بن قسطنطين Agapius غابيوس المنبجي

اسقف منبج الرومي الملكي. كان في القرن العاشر للميلاد. كان معاصراً لسعيد ابن البطريق.

له تاريخ عربي من أول الخلقة إلى زمانه ودهره. كتاب العنوان الكامل بفضائل الحكمة أرسله إلى رجل اسمه عيسى بن حسين. والكتاب في قسمين: القسم الأول توجد منه أربع نسخ. اما القسم الثاني فلا تعرف منه إلا نسخة وحيدة وآخرها ناقص تنتهي بخلافة المهدي العباسي.

في تاريخ الكنيسة القديم، استند المؤلف على أساطير وبعض مصادر غير صحيحة. أما فيا يخص القرون الأخرى، استغل مصادر سريانية قيمة مما يجعل تاريخه حافلاً بالوثائق التاريخية الثمينة.

انظر أيضاً:

L. Cheikho, Agapius Episcopus Mabbugensis Historia Universalis, in Corp Scrp. Christ. Orien. (CSCO) Beyrouth – Paris, 1912.

Alexandre VasilievKitab al – Unvan, Histoire universelle écrite par Agapius (Mahboub) de Menbidj, éditée et traduite in patr. Or. V, 4, pp. 557 – 692.

جراف جـ ٢ ص ٤١

انطونيوس الراهب

كان ترهب في دير القديس سابا في فلسطين ثم صار رئيساً على دير القديس سمعان العمودي. القريب من انطاكية في القرن الثاني عشر.

١ ـ قد عرّب ١٥ ميمراً من ميامر القديس غرغوريوس اللاهوتي.

٢ ـ وله محادثات مار غريغوريوس المذكور.

٣ ـ تعريب مقالات القديس يوحنا الدمشقي مع بعض رسائله وترجمة حياته. وهذه الترجمة قد نشرها حضرة الخوري قسطنطين الباشا.

٤ ـ تعريب ميامر القديس يوحنا ضم الذهب على تفسير انجيل يوحنا.

جراف جـ ٢، ص ٤٥ ـ ٤٨

إبراهيم بن يوحنا الأنطاكي

من النصف الثاني من القرن العاشر، مشهور بترجمة أعمال القديس أفرام من ترجمتها اليونانية (الأصل بالسريانية) إلى العربية.

١ ـ أهم عمله هو جمع عدة عظات ورسائل للقديس أفرام وفي آخرها ملح غريغوريوس النيساوي للقديس أفرام. وقد نشر بعض هذه العظات القمص أفرام البراموس في كتاب مقالات مار أفرام القاهرة ١٨٩٢.

٢ ـ مجموعة من ميامر لغريغوريوس الزانيزي ترجمها من اليونانية إلى العربية وكان لها شأن كبير لدى المسيحيين الملكيين والأقباط.

ابن أبي أصيبعة جـ ٢ ص ٨٧

جراف جـ ٢، ص ٤٩

يحيى بن سعيد بن يحيى الأنطاكي

نسيب لسعيد بن البطريق. كتب في أواسط القرن الحادي عشر.

١ ـ وقد كتب ذيلاً واسعاً على تاريخ ابن البطريق من السنة الهجرية ٣٢٦ إلى ٤٢٥هـ (٩٣٧ ـ ١٠٣٤).

وأول نشرة تامة لهذا الذيل قام بها الأب لويس شيخو وكارادي فو وحبيب زيات ونشروه مع تاريخ ابن البطريق في مجموعة الآباء الشرقيين.

Corp. Scrip. Chris. Or., Scriptores arabici, Beyrouth1909

ونشره مرة ثانية مع ترجمته إلى الفرنسية المستشرقان كراتشوفسكي وفاسيليـيف.

L. Kratchkowsky et A. Vasiliev, Histoire de Yahya –
Ibn – Said – Ibn – Bitriq, in Patr. or.
XVIII, 5, pp. 699 – 834, Paris 1924;
XXIII, 3, pp. 345 – 520, Paris 1932.

٢ ـ مقالة في حقيقة الديانة

٣ ـ مقالة في الردّ على المسلمين.

شيخو، المشرق جـ ٩ (١٩٠٦)
ص ٨٨٦ ـ ٨٩٠
٩٤٤ ـ ٩٥٣

أبو الفتح بن الفضل بن عبد الله المطران الأنطاكي.

هو الشماس أبو الفتح عبد الله بن الفضل بن عبد الله المطران الأنطاكي المتوفي بنحو سنة ١٠٥٢ من أعظم مترجمي التراث الكنسي اليوناني إلى العربية وتدل مؤلفاته على ثقافة فلسفية ولاهوتية ممتازة ومعرفة فائقة لآباء الكنيسة. وقد تشبّع من روحهم بحيث يتعذر على القارىء أن يميز بين آرائهم وآرائه الشخصية.

أطلب ترجمته في مجلة المشرق ٩ (١٩٠٦) ص ٨٨٦ و ٩٤٤ له تآليف عديدة لم ينشر منها بالطبع إلا القليل. له:

١ ـ تعريب أسفار الكتاب المقدس مع شروح عليها في العهدين العتيق والحديث. أنظر مجلة المشرق ٨ (١٩٠٦) ص ٩٤٦.

٢ ـ كتاب بهجة المؤمن في أربعة أقسام وفصول عديدة في عقائد المسيحية وآدابها وقوانينها.

٣ ـ كتاب الروضة في ٩١ باباً في مواضيع دينية وحكم وأقوال مقتطفة من الكتب المقدسة والاباء .

٤ ـ كتاب المنفعة الصغير في ١٤ باباً في التوحيد والتثليث وقد نشر الأب شيخو الفصل التاسع الخاص بصفات الله في كتابه Chrestomathia ، بيروت ١٩١١، ص ٢٧٥ ـ ٢٧٧.

٥ ـ كتاب المنفعة الكبير.

٦ ـ شرح الامانة المستقيمة ألفه باليونانية ثم نقله إلى العربية وجعله سبعة تعاليم ضمنها خلاصة الإيمان الكاثوليكي.

٧ ـ كتاب المصابيح يحتوي فصولاً دينية أدبية في أبحاث متباينة.

٨ ـ مقالة على النفس وجوهرها وخواصها.

٩ ـ حلّ خمسين مسألة في مشاكل انجيليّة.

١٠ ـ مديح القديس نيقولاوس.

١١ ـ تعريب أعمال القديس يوحنا فم الذهب: عرّب عظاته ومقالاته على سفر التوراة. وعرّب ميامره على انجيل مار متّى في مجلدين. وعرّب كذلك ميامره على انجيل مار يوحنا. وقد طبع هذا التعريب أولاً غير كامل في مطبعة الشوير سنة ١٨٣٦ ثم كاملاً قسم في بيروت بحرف دقيق وقسم في دمشق بحروف أكبر.

وعرّب ابن الفضل شروح القديس يوحنا فم الذهب على رسالة مار بولس إلى العبرانيين، ثم على رسائل أخرى وعلى أعمال الرسل.

١٢ ـ تعريب كتاب القديس ماسيليوس على الاكساميرون أي ستة أيام الخليقة مع إضافات شتى لابن الفضل.

١٣ ـ كتاب خلقة الإنسان للقديس غريغوريوس أسقف نيصص.

١٤ ـ تعريب ميامر القديس غريغوريوس الزانيزي.

١٥ ـ مناظرة القديس مكسيموس البطريرك بيرُّس القسطنطيني.

١٦ ـ تعريب نسخيات القديس اسحاق النينوي في ٣٥ باباً.

١٧ ـ تعريب للقديس صفرونيوس بطريرك أورشليم كتابه المعنون البرهان في تثبيت الإيمان في ٢٧ باباً.

١٨ ـ مجموعة ارشادات وميامر للآباء انطونيوس وارسانيوس واسحاق وفيلوكسينوس.

١٩ ـ تفسيره لبعض أعمال القديس يوحنا الدمشقي.

٢٠ ـ كتاب البرهان في تثبيت الإيمان.

٢١ ـ مقالة تشتمل على معانٍ نافعة للنفس.

وقد نشرها الأب بولس سباط في كتابه: مقالة Vingt traités، ص ١٣١ ـ ١٤٨.

٢٢ ـ مقالة في الردّ على المنجمين. لقد نشره وترجمه الى الألمانية الأب جراف.

G. Graf, Die Wiherlegung der Astrologen von Abdallah ibn al – Fadl, in Orientalia N. 5. 6. (Rome 1937), pp. 337 – 46.

٢٣ ـ شهادة على مجيء السيد المسيح.

٢٤ ـ مقالة على انتصار الصلب الكريم.

جراف جـ ٢ ص ٧٢
ابن أبي أصيبعة جـ ٢ ص ١٨٣

أبو النجم بن أبي غالب

يقول عنه ابن أبي اصيبعة: «هو أبو النجم بن أبي غالب بن فهد بن منصور بن وهب بن قيس بن مالك كان طبيباً مشهوراً في زمانه جيد المعرفة بصناعة الطب محمود الطريقة فيها مشكور المعالجة حسن العشرة محباً للخير. وكان يقرأ عليه علم الطب ويعدّ من جملة الفضلاء المتميزين في وقته» (ص ١٨٣).

وخدم أبو النجم بصناعة الطب الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وحظي عنده وكان مكيناً في الدولة بقي في خدمته مدة وكان يتردد إلى دوره يعالجهم مع جملة الأطباء . . .

وتوفي أبو النجم بدمشق في سنة ٥٩٩هـ.

جراف جـ ٢ ص ٧٢

بولس الراهب الأنطاكي.

من القرن الرابع عشر ميلادي.

من مواليد انطاكيا. ترّهب وبعد مدة طويلة في رهبنته اختير أسقفاً في صيدا. ومن خلال مراسلته مع أصدقاء مسلمين يتبين أنه زار بلاد الروم والفرنجة وبلد الملاتف(Maldavic) ثم روما.

وكان متمكناً في الفلسفة الأرسطية واستعملها في دفاعه عن الدين المسيحي في محاوراته مع العلماء المسلمين وتتسم كتاباته بالوضوح وحسن الترتيب ومعالجة المسائل بأسلوب قريب مشوق.

L. Steinschenider, Polemische und apologestische Literatur in arabischer Sprache, Leipzig 1877, pp. 61 – 63, N. 42 – 48.

نشرت بعض النصوص من مؤلفاته في المشرق جـ ١ (١٨٩٨)؛ جـ ٤ (١٩٠١)؛ جـ ٧ (١٩٠٤)؛ جـ ٨ (١٩٠٥).

وقد جمعها الأب شيخو في كتابه:

Seize traités théologiques d'auteurs arabes chrétiens.Beyrouth 1906, pp. 1 – 50: et vingt traités théologiques d'auteurs arabes chrétiens Le Caire, 1929, pp. 1 – 63.

انظر أيضاً The Moslem World ، جـ ١٦ (١٩٢٦) ص ٣٥٩ وما بعدها.

Georg Graf, philosophisch – theologische Schriften des paulus al – rahib, Bischofs von Sidon, aus dem Arabischen übersetzt, in Jahrbuch für Philosophie und spekulative Theologie, t. 20)1905(, pp. 55 – 80, 160 – 179.

Max Horten, Paulus Bischof von Sidon)qxiii. Jahr(. Einigr seiner philosophischen Abhandlungen, in philosophisches Jahrbuch, t. 19)1906(, pp. 144 – 166.

مؤلفاته:

١ - رسالة عقلية أي رسالة مختصرة في وجود الخالق وكمالاته وأقانيمه. يتناول بولس في ٢٢ فصلاً مختصراً مسائل وجود الله وقدمه، ولا جسديته ووحدانيته وبساطة جوهريته، وزمنية العالم،

وصلة الله بالزمان والمكان والعلاقات الاقنومية. وفي آخر فصل يعالج مشكلة امكانية بعث الأموات وضرورة العقاب الأبدي.

أنظر: المشرق جـ ٤، ص ٩٦١ - ٩٦٨؛ ١٠٢٢ - ١٠٢٩ شيخو[١]: ٣٥ - ٥٠؛ شيخو[٢] ٤٧ - ٦٣؛ غراف ٥٩ - ٦٠؛ هورتين: ١٤٨ - ١٥٨.

٢ - شرح العقيدة النصرانية

المشرق جـ ٨، ص ٥٥٢ - ٥٥٨؛ شيخو[١]: ١ - ١٢؛[٢] ١ - ١٢.

٣ - رسالة إلى بعض أصدقائه الذين بصيدا من المسلمين عند قدومه من سفره إلى بلاد الروم.

Louis Buffat, Lettre de Paul, reveque de Saïda, moine d'Antioche à un Musulman des ses amis demeurant à Saida, in Revue de l'Orient chrétien, t. 8)1903(, pp. 388 – 390 Introduction; traduction pp. 391 – 412; texte; 413 – 425.

شيخو[٢] ص ١٥ - ٢٦.

في سنة ١٣٢٠/١٣٢١ أخذت الرسالة كأساس لإرسال مراسلة مع اثنين من العلماء المسلمين هما: ابن تيميه (المتوفي سنة ١٣٢٨) ومحمد بن أبي طالب (المتوفى سنة ١٣٢١) في دمشق والفوارق بين رسالة بولس الراهب الاساسية والرسالتين المرسلتين هي طفيفة.

أنظر Fritsch, Islam und Christenum..., pp. 28 – 3

٤ - قول يدّل على الفرق المتعارفة من النصارى في هذا الزمن أي اثبات العقيدة الملكية الخاصة بالمسيح ودحض أخطاء النساطرة واليعاقبة والموارنة، بالنسبة لمجمع نقيا.

Cyrillus von Jerusalem (Pseudonyme), Risala lahutiyya tarikhiyya, Alexandrie (s. date), avec des changements et omissions du texte Joseph Berenbach, Zwei antihäresianische. Traktate des Melchiten Paulus er – Rahib, in Or. christ. t. 5 (1905), pp. 132 – 161.

المشرق جـ ٧ (١٩٠٤) ص ٧٠٢ - ٧٠٩.

شيخو[١] ١٥ - ٢٢.

شيخو[٢] ٢٧ - ٣٤.

غراف ١٧٢ - ١٧٩.

٥ - رسالة ضادّ بها كل أمانة أراسيسية ووضّح بها الحقائق حسب تعليم الآباء عند آريوس، سبلّيوس، نسطوريوس واليعاقبة وأصحاب المشيئة الواحدة.

المشرق جـ ٨، ص ٧٣٣ - ٧٣٩؛ شيخو[١] ٢٣ - ٢٨؛ شيخو[٢] ٣٥ - ٤٠.

٦ - خلاصة معتقد النصارى في التوحيد والاتحاد.

المشرق جـ ١ ص ٨٤٠ - ٨٤٢.

شيخو[١] ١٣ وما بعدها.

شيخو[٢] ١٣ - ١٤.

غراف ١٦٠ - ١٦٢.

هورتن ١٤٥ - ١٤٨.

وهو رد على سؤال وجهه إليه الشيخ أبو السرور التنّيسي الرقّام.

٧ - ثلاث مقالات فلسفية:

١ - مقالة يجيب بها على بعض مشايخ عصر في الخير والشر.

٢ - جواب في معجزات المسيح.

٣ - ردّ على الشيخ في اختيار الله للأبرار وحرّية الإنسان.

المشرق جـ ٧ (١٩٠٤)، ص ٣٧٣ - ٣٧٩.

شيخو[١] ص ٢٨ - ٣٤؛ شيخو[٢] ص ٤٠ - ٤٦.

جراف ١٦٢ - ١٧٢؛ هورتن: ص ١٥٨ - ١٦٦.

٨ - في نسخ شريعة اليهود من التوراة والأنبياء شيخو[٢] ص ٦٣ - ٦٨.

جراف جـ ٢، ص ٧٨ - ٧٩.

عفيف بن المكين بن المؤمل.

من المؤلفين الملكيين وأكبر الظن أنه معاصر الأنطاكي لما في أفكارهم من تقارب فيكون من أواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر.

وله رسالة على مذاهب النصارى في ١٥ فصلاً وقد نشرها الأب إلياس بطارخ في مجلة المشرق جـ ٢٠ (١٩٢٢) ص ٩١١ - ٩٢٩ وعاد طبعها الأب لويس شيخو في ثلاث مقالات Trois traités.. ص ٧٣ - ٩١.

ويمكن تقسيم الرسالة إلى قسمين:

١ - بيان على سر الثالوث. فهو يفسر هذه العقيدة أولاً بموجب العقل فيقول ان الله جوهر قائم بنفسه ناطق وهذا ما يسميه المسيحيون آب، ابن وروح القدس. ويوضح معنى كلمة أقنوم، ومعنى الصفات الجوهرية. ثم يلجأ إلى البرهان النقلي المبني على نصوص الكتاب المقدس.

٢ - التجسّد.

جراف جـ ٢، ص ٧٩.

السمعاني الراهب.

هو الأب جرجس الأنطاكي راهب دير القديس سمعان. له مجادلة جرت بينه وبين ثلاثة أنفار من فقهاء المسلمين بحضرة الأمير الملك المشمّر في حلب على عهد أخيه الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب في القرن الثالث عشر. وقد نشرها للمرة الأولى الأب بولس قرعلي.

Paul Caralli. Le christianisme et L'Islam. Controverse attribuée au moine Georges du Conenr de St. Siméon (Séleucie), soutenue devant le Prince al - Mouchammar, fils de Saladin, en 1207, corrigée et annorée Beit Chehab (Liban), 1933.

وهو مستخرج من مجلة المجلة البطريركية، جـ ٧ (١٩٣٢) رقم ١٠٠٨ تحت عنوان النصرانية والإسلام.

وقد نشرها أيضاً شخص مجهول معدلاً بالنص الأصلي بطريقة اعتباطية، تحت عنوان: مجادلة الانبا جورجي الراهب السمعاني، بيروت ١٩٣٢ أنظر مقالة الأب قرعلي ص ٢٥ ـ ٣٢.

جراف جـ ٢، ص ٨١.

فقهاء ومؤرخون

ابن الحذاء.

مطران الملكيين في القاهرة. ترجم من مصادر يونانية قرارات قانونية خاصة بنظام الإرث. وقد وصلت إلى الراهب مكاريوس القبطي.

أنظر:

Carlo [illegible]nso Nallino, in Studi in onore Pietro Bonfante I (Milano 1930), p. 246.

الأمير جمال الدين وهبة الله.

مؤرخ من الملكيين من القرن الثالث عشر. ألف كتاب قوانين المجامع والآباء.

الراهب توفيل.

المؤرخ، في القرن الحادي عشر صاحب تاريخ عام لغاية زمان المؤرخ.

سمعان الانطاكي.

الراهب من دير مار سمعان العمودي تاريخ مدينة انطاكية العظمى (القرن الثالث عشر).

جراف جـ ٢، ص ٨٢

جراسيموس، رئيس دير مار سمعان العمودي.

كتاب الكافي في المعنى الشافي جمع فيه شواهد من العتيقة والحديثة ومن سائر الأديان على تثبيت الدين الحق ومن كتب الحكماء والوثنيين وكتاب المسلمين.

جراف جـ ٢، ص ٨٤.

شيخو، ص ١٥٥.

سليمان بن حسن الغزّي.

هو الشيخ سليمان بن حسن أسقف غزّة الملكي. يقول الأب شيخو، مستنداً على عيسى اسكندر المعلوف، ان الغزّي ارتدّ عن الإسلام في القرن الرابع عشر. ذكر عيسى المعلوف ترجمته وبعض قصائده وقال إنه مات شهيداً (مجلة المشرق جـ ٢٥ (١٩٢٧)، ص ٤٢ ـ ٥١، ٩٧ ـ ١٠٧، ١٥٩ ولكن يستبعد الأستاذ جراف هذا الرأي (ص ٨٤).

مؤلفاته :

١ ـ ديوان شعر واسع وقصائد حسنة في مواضيع دينية وأدبية.
٢ ـ رسائل وردود على المخالفين للأمانة المستقيمة وعلى الهراطقة كاريوس واوطيخا ونسطور ويعقوب البرداعي وساويرس.
٣ ـ مقالات في وحدانية الخلق وفي التجسد والصلب وفي الإنسان والعالم. وبعض فصولها مسجّعة.
٤ ـ مسائل وأجوبة.

جراف جـ٢، ص ٨٦.
شيخو ٢٦.

اثناسيوس، بطريرك أورشليم.

هو اثناسيوس الرابع بطريرك الروم على القدس الشريف (١٤٥٢ ـ ١٤٦٨). له:

١ ـ كتاب مواعظ عددها ٦٦ عظة للأعياد والآحاد وهذه المواعظ في حلب سنة ١٧١١.

٢ ـ وقد نقل إلى العربية كتاب الدر المنتخب ليوحنا فم الذهب. وقد طبع الكتاب في حلب سنة ١٧٠٧ وهو الكتاب الذي نقحه سنة ١٨٧١ الشيخ ناصيف اليازجي وطبعه في المطبعة الكاثوليكية.

٣ ـ أربع عظات في عيد التجلي وفي دخول العذراء للهيكل وفي نياح العذراء وفي صعود الرب.

جراف جـ ٢، ص ٨٩.

كيرلس اللاذقي

الشماس في القرن الخامس عشر.
١ ـ مقالة في انتشار الانجيل والنصرانية في العالم (سباط، فهرس ٢٦٥٢).
٢ ـ مقالة في ارتفاع الصليب الكريم وانتصاره على العالم (سباط، فهرس ٢٦٥٣).

جراف جـ ٢، ص ٨٩.
شيخو ص ١١٦

سمعان التسالونيكي.

مطران سالونيك الروحي المتوفي سنة ١٤٢٩ له كتاب في الطقوس والحق القانوني كتبه باليونانية. منه نسخة معرّبة في مكتبة دير البَلَمند.

جراف جـ ٢، ص ٨٩.

الشماس الملكي الانطاكي اسطفان.

من القرن السادس عشر دَحْض أضاليل الأقباط اليعاقبة سباط، فهرست ٢٥٣٦ في ٣٥ فصلاً. بجانب بدعهم الخاصة بالمسيح، يؤاخذهم على ما يراه مخالفاً للمذهب الصحيح فيما يخص بعض الطقوس والقوانين الكنسيَّة.

الفهرست

الصفحة

القسم الثاني

تصميم الغلاف: كريم الحاج

المسيحية والحضارة العربية

مصنف هذا الكتاب عالم ولاهوتي بدأ منذ ما يقرب من نصف قرن بدراسة التراث الفلسفي والعلمي واللاهوتي للعرب وتتبع بدقة مدى أثر هذا التراث في الحضارة الغربية إبان القرون الوسطى وفي عهد النهضة.

وقد قسم الكتاب قسمين خصص الأول لدراسة الإطار التاريخي والاجتماعي والثقافي للمسيحية في البلاد العربية منذ نشأتها حتى أوج الحضارة العربية عند العباسيين.

وخصص الثاني لدراسة الشخصيات التي تركت بصماتها على صفحات التاريخ إن كانوا شعراء أو أطباء أو صيادلة أو مؤرخين وفلاسفة ولاهوتيين، وهذا العمل جدير بأن يسمى اسهاماً صادقاً في تعريف بعض مظاهر حضارتنا العربية العظيمة وإبراز ما بذله العلماء المسيحيون العرب مع اخوانهم المسلمين من جهد في سبيل تشييد صرح الحضارة العربية ورفع شأنها، هذه الحضارة التي هي ثمرة مجهود جماعي كما انها موضوع فخر لجميع الناطقين بالضاد.

المؤسسة العربية
للدراسات والنشر

الثمن ٢٥ ل.ل